ܣܝܡܬܐ

ܕܣܝܡܐ ܡܪܝ ܣܘܪܝܘܣ ܝܥܩܘܒ ܒܪܛܠܝܐ
ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܡܬܝ ܘܐܕܪܒܝܓܢ

THE TREASURES

BY

MAR SEVERIOS YACOUB ALBARTALI

METROPOLITAN OF DAIRO DMOR MATTAI, & ADREBIJAN

1241

Translated into Arabic by

DEACON BEHNAM DANIEL AL BARTALI

Read by

GREGORIOS SALIBA SHAMOUN

METROPOLITAN OF NINEVEH

Published with introduction by

GREGORIOS YOHANNA IBRAHIM

METROPOLITAN OF ALEPPO

2007

SIDAWI PRINTING HOUSE
DAMASCUS - SYRIA

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܩܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܓܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܒܝܬ ܒܣܢܩܬܐ
ܘܕܝܢܐ ܡܢ ܩܕܡ ܡܠܟܐ ܘܫܒܪܐ ܕܢܣܒ ܢܟܠ ܐܘ
ܠܗܠ ܠܗ ܫܒܪܐ ܟܠ ܢܣܒ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܪܐ ܒܗܠ
ܒܚܛܗܘܗܝ ܟܕܡܐ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܒܘܟܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

الكنوز

ܣܝܡܬܐ

الكنوز

تأليف

مار سويريوس يعقوب البرطلي

مطران دير مار متى وأذربيجان

ترجمة وتحقيق

الشماس بهنام دانيال

مراجعة

غريغوريوس صليبا شمعون

متروبوليت نينوى

تقديم ونشر

غريغوريوس يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب

٢٠٠٧

حقوق الطبع والنشر

محفوظة لدار ماردين ــ حلب

ܙܕ̈ܩܐ ܕܛܒܥܐ ܘܦܪܣܐ

ܢܛܝܪܝܢ ܠܒܝܬ ܦܪܣܐ ܕܡܪܕܝܢ

دار ماردين

ܒܝܬ ܦܪܣܐ ܕܡܪܕܝܢ

دار الرها

ܒܝܬ ܦܪܣܐ ܕܐܘܪܗܝ

اسم الكتاب : الكنوز

تأليف : مار يعقوب البرطلي

ترجمة وتحقيق : الشماس بهنام دانيال

مراجعة : غريغوريوس صليبا شمعون

تقديم : غريغوريوس يوحنا ابراهيم

تنضيد وإخراج : دار ماردين ــ حلب

الناشر : دار ماردين ــ حلب

المطبعة : ألف باء ــ الأديب ــ دمشق

الطبعة : الثانية ٢٠٠٧/٨/٥٠٠

للمراسلات :

دار ماردين للنشر

ص.ب ٤١٩٤ حلب – سورية

فاكس : ٠٢١ / ٤٦٤٢٢٦٠

هاتف : ٠٢١ / ٤٦٤٢٢١٠

٠٢١ / ٤٦٤٠٣٠٤

ADDRESS :

MARDIN PUBLISHING HOUSE

P.O. BOX 4194 - ALEPPO - SYRIA

FAX : 021 / 4642260

TEL : 021 / 4642210

021 / 4640304

Email: margregorios@net. Sy

margregorios79@hotmail.com

www.alepposuryoye.com

المادة المنشورة تعبّر عن رأي كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الدار

الإهــداء

إلــى

روح ذلــــك الــحــبـر الــهــمــام
صـــاحــب الـلــســان الفــصــيــح
أحـد مشـاهـيـر أمـراء البيان في القرن العشـرين

إلــى

الذي صدح صوته في هذا القرن فرنّ عالياً
وأغنى كنيسة انطاكية علماً ومعرفة وجهاداً
أحد مشاهير بطاركة انطاكية العظام في القرن العشرين

إلــى

قداسة المثلث الرحمات
مار أغناطيوس يعقوب الثالث
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

المترجم

المثلث الرحمة

قداســة مــار أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

١٩٥٧ ــ ١٩٨٠ +

مار سويريوس يعقوب البرطلي
مطران دير مار متى وأذربيجان /+١٢٤١م/

غريغوريوس يوحنا ابراهيم
متروبوليت حلب

(١)

علماء القرن الثالث عشر :

عرف السريان في القرن الثالث عشر عدداً كبيراً من الأدباء، والشعراء، واللاهوتيين، والمؤرخين الذين نسجوا على منوال السلف الصالح في إبراز الثقافة السريانية المتنوعة بعطاءاتها، وكان بينهم من يُشار إليه بالبنان فكراً ومعرفةً ونتاجاً، منهم من عاش أهوال حملات الفرنجة فكتب عنها مثل : **أغناطيوس سهدو** مطران أورشليم /١١٤٩ +؟/، الذي تحدث عن نكبة الرها بين الأعوام /١١٤٤ - ١١٤٦/، ووصف الحملة الثانية للفرنجة. ومنهم من جال في ميادين الشعر بكل أبوابه، واللاهوت، والطقوس، والتاريخ العام والخاص، والفلسفة، والفلك، والمنطق، مثل : **البطريرك يوحنا الثاني عشر** /١٢٢٠ +/ صاحب قصائد سريانية على الوزن السروجي في التوبة، وليتورجية معروفة باسمه بدؤها " أيها الإله الآب وسيد كل أمن وسلام ومحبة بين السماويين والأرضيين". **والرهاوي المجهول** /١٢٣٤ ؟/ الذي ترك لنا كتاباً في التاريخ وقع في مجلدين، فصّل فيه أحداثاً خطيرة وقعت في المنطقة، خاصة في مدينة الرها عاصمة إقليم اسردين وفي بلاد الرافدين التي يظهر أنه كان ينتمي إليها، لهذا يقف عند أحداثها وشخصياتها أكثر من مرة مثلاً : كيف احتل المسلمون الرها ؟ وكيف عادت المدينة إلى المسيحيين، ومجيء الفرنجة

إليها، وتتابع الأخبار فيها، ومجيء الأساقفة إليها. **والبطريرك مار يوحنا ابن المعدني** /١٢٦٣ +/، الذي ذاع صيته في عالم الشعر، ونشر ديوانه الربان يوحنا دولباني في عام /١٩٢٩/ في المطبعة السريانية بدير مار مرقس في القدس، وله خطب سريانية في أعياد الشعانين، والصليب، ودخول يسوع إلى الهيكل، والأحد الجديد، وكان يتقن العربية، وقد نقل بنفسه الخطب إليها، وله أيضاً نافورة مطلعها " أيها الأزلي السرمدي الواجب الوجود ". وأخيراً موسوعة القرن الثالث عشر العلاّمة **مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري** المعروف بـ **أبو الفرج** مفريان المشرق /١٢٨٦ +/، الذي صدر مؤخراً كتاب عنه بعنوان : Barhebraeus A Bio - Bibliography، للمستشرق الياباني المعروف : Hidemi Takahashi، وهو كتاب قيَّم فيه أولاً سيرة حياته بدءاً من ولادته وعائلته ودراساته في ملاطية، وأنطاكية، ودمشق، وطرابلس، ثم أسقفيته في جوباس، ولاقبين، وحلب، وبعدها مفريانيته من عام /١٢٦٤/ إلى تاريخ وفاته /١٢٨٦/، ومعرفته للغات وعلاقته مع اللاتين، ثم ابن العبري الراعي، والمعلم، والناسك، والفيلسوف، والمسكوني، والطبيب. ولكن الأهم في هذا الكتاب أنه يتحدث عن مؤلفاته مفصّلة، وعن جميع ما كُتب عنه بكل اللغات حتى تاريخ نشر الكتاب سنة /٢٠٠٥/ (١). ويبقى الملفان **مار سويريوس يعقوب البرطلي** واحداً من أهم علماء هذا القرن اللامعين، وقد بنى لنفسه بمؤلفاته ونتاجه الفكري، مكانةً بين العلماء السريان، ليس فقط في القرن الثالث عشر، وإنما بين كل العلماء من القرن السابع للميلاد وحتى القرن الخامس عشر، وبدأت الكتابات عنه بعد وفاته مباشرة إذ أن أول من أشار إليه هو العلاّمة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري ذاته، في تاريخه البيعي، ثم ذكره كل المستشرقين الكبار مثل : السمعاني، ورايت، ودوفال، وبومشترك، وشابو (٢)، واعتبره البطريرك مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم : **إمام زمانه البارع ونجم أفقه اللامع** (٣). ورغم أن المعلومات التي بين يدينا ليست كافية لشخصيةٍ من

وزن مار يعقوب البرطلي، ولكن مؤلفاته تكفي لتشير إلى موقعه الهام في الكنيسة السريانية.

(٢)

سيرته :

هو يعقوب بن عيسى بن مرقس، كما ورد في كل المصادر التي كتبت عنه، ولكن نسبته اختلف عليها المؤرخون، فالبطريرك أفرام الأول برصوم /١٩٥٧ +/، ينسبه إلى آل شككو البرطلية [٤]، وهكذا ينقل عنه الكثيرون مثل : الأب ألبير أبونا الذي يغير قليلاً في النسبة، فيقول : شكاكو [٥]. أما البطريرك يعقوب الثالث /١٩٨٠ +/، فإنه يختلف مع من نسبه إلى آل شكو البرطلية، ويقول أنه من آل شَبو، ويعلل ذلك بقوله أن المؤرخين لفظوها شكو خطأ، وذلك لتشابه الباء ܒ Beth والكاف ܟ Kof بالسريانية [٦]، وكلمة شبو هي شابو أو شابا ومعناها الأحد.

وُلد يعقوب في برطلة [٧] البلدة السريانية الواقعة شرقي الموصل على بعد مسافة /١٨/ كم منها. وبحسب المصادر التاريخية قبلت برطلة المسيحية في أوائل القرن الرابع للميلاد، وأصبحت مقراً للكرسي مفريان المشرق درهة من الزمن، مثلاً : المفريان أغناطيوس لعازر عاش في برطلة سنة /١١٥٣/، وهكذا المفريان برصوم الصفي شقيق مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري المتوفى في سنة /١٣٥٧ +/ [٨]. وفي برتوكول رسامة كل مفريان جديد، كان على المفريان أن يزور برطلة بعد بلدة بخديدا (قره قوش)، وذلك ليقيم فيها، وهذا الامتياز الرابع ضمن البروتوكول أعطي للمفريان نظراً لأهمية البلدة [٩]. في هذه البلدة وُلد يعقوب وانتقل في سن مبكرة إلى دير مار متى [١٠] القريب من بلدته حيث تدرج في العلوم والمعارف، وهناك تاقت نفسه إلى الحياة الرهبانية، فقبل الاسكيم الرهباني في الدير ذاته، ولحدة ذكائه انصرف للعلم، فطالع مصنفات الآباء في العلوم اللاهوتية والدينية والتفسيرية على نفسه، بعد أن

أتقن اللغة السريانية، رسم كاهناً. ثم أراد أن يتوسع في معارفه فتتلمذ على يد يوحنا بار زعبي الراهب النسطوري من دير سبر يشوع بيث قوقا في منطقة حدياب (أربيل) [١١] وأخذ عنه علم النحو ومبادئ المنطق.

أما المنطق والفلسفة باللغة العربية، فقد درسها على يد الفيلسوف كمال الدين بن يونس الموصللي [١٢]، وهكذا برز بنشاطه الفكري، وعلمه الواسع، والتزامه بالخدمة، فعرفه المفريان مار يوحنا ابن المعدني الذي كان هو الآخر عالماً كبيراً، وشاعراً من الدرجة الأولى، فقدّره ورشحه ليكون مطراناً على دير مار متى وأذربيجان، ورسمه سنة /١٢٣٢/ وسمّاه **سويريوس**، وعندما بلغت أخباره البطريرك مار أغناطيوس الثالث - وهو أغناطيوس داود الخيشومي - تاق إلى رؤيته فاستدعاه إليه، فقرر الذهاب إلى قصر البطريرك، ولكنه في الطريق، أنتابه مرض فعاد إلى الموصل حيث انتقل إلى الخدور العلوية سنة /١٢٤١م/، ودُفن في مدافن الأحبار في دير مار متى، بعد أن خدم /٩/ سنوات كمطران لهذه الأبرشية. أما مكتبته الضخمة والمتنوعة بمخطوطاتها، فلقد استولى عليها والي الموصل وضمها إلى مكتبته الشخصية. وبعد وفاته أطرى ابن العبري ذكاءه وتحدث عن مكانته في الكنيسة.

(٣)

مؤلفاته :

لقد ترك مار سويريوس يعقوب البرطلي مجموعة من الكتب أهمها :

١- **الديالوغ أو المجادلات** (ܕܝܠܘܓ) وسمي أيضاً المحاورات، وهو عبارة عن أسئلة وأجوبة أعده في مجلدين، وقع في حوالي ثلاثمئة صفحة. يقول البطريرك برصوم أن هذا الكتاب هو أحسن مصنفات البرطلي [١٣]. ويشتمل على النحو، والفصاحة، والبيان، والشعر، واللغة، والمنطق، والفلسفة، وأيضاً فيه شيء من علوم الحساب، والموسيقى، والمساحة، والفلك. ولهذا الكتاب نسخ كثيرة منتشرة في

مكتبات لندن، وبرلين، واكسفورد، وكونفن، ودير الزعفران، والقدس، والبطريركية، ودياربكر [١٤]، وقد ترجم إلى الفرنسية مع النص بالسريانية بواسطة Martin سنة /١٨٧٩/، وقسم آخر بواسطة I. Sprengling، وقسم ثالث ترجم إلى الإيطالية بواسطة G. Furlani، وقسم رابع ترجم إلى اللغة الألمانية بواسطة Juluios Ruska، وقسم خامس نشر بواسطة Margoliouth.

٢- **تفسير الرتب الكنسية، والصلوات، والأسرار البيعية** (ܦܘܫܩ ܛܟܣܐ ܕܥܕܬܐ ܘܨܠܘܬܐ ܘܐܪ̈ܙܐ ܥܕܬܢܝ̈ܐ)، وهو مفقود، وذكره في الفصل التاسع والثلاثين من كتابه **الكنوز**، إذ قال : " بما أننا كنا قد شرحنا تفسير الأسرار، وطقوس الكنيسة كلها بإسهاب " [١٥]، وأيضاً في الفصل الأربعين قال : " ولأننا تكلمنا عن ذلك كثيراً في كتابنا الكبير في تفسير الخدمات وأسرار الكنيسة " [١٦].

٣- **الحق المبين** (ܫܪܪܐ ܓܠܝܐ)، وقد ذكره في الفصل الحادي والأربعين أثناء كلامه عن الدين المسيحي الذي هو برأيه الأكثر حقيقة من سائر الديانات الأخرى، وكتب يقول : " نقول أولاً أننا وضعنا كتاباً بناءً على طلب أحدهم في تفسير ما هي المسيحية، وصحتها، وفي الإيمان، وشرح كلمات قانون الإيمان نيقية، وسمى ذلك الكتاب **الحق المبين**، لأن فيه أوضحنا صواب ديانتنا كما نقضنا فيه كل الاعتراضات والاحتجاجات التي جاءتنا من المماحكين الهراطقة " [١٧].

٤- **الموسيقى البيعية** (ܡܘܣܝܩܝ ܥܕܬܢܝܐ)، وكنا قد أشرنا إلى هذا الكتاب في بحثنا عن الموسيقى السريانية الذي وضعناه في **مقدمة** كتاب **البيث كاز** بالنوطة، الأول وهو بحسب تقليد دير الزعفران [١٨]، والثاني بحسب تقليد مدرسة الرها السريانية [١٩]، وقلنا فيه : " إن العلامة يعقوب البرطلي قد ذكر أكثر من مرة بأنه ترك كتاباً في الموسيقى البيعية بحث فيه عن أشعار وألحان كنيسته، وفنونها، وناظميها، وزمان دخولها إلى الكنيسة، وهذا الكتاب مفقود حتى

تاريخه، وكان البرطلي ذاته قد ترك فصلاً في كتابه أحاديث ومجادلات أي " الديالوغ عن الموسيقى السريانية " (٢٠).

٥- **الاسجاع (ܡ̈ܠܐ ܡܫܘܚܬܐ)**، وهو ما يعرف باليونانية هليكاوس، أي الكلام المقوم الموزون، وقد ذكره البرطلي ذاته في المسألة العاشرة من المقالة الثانية من كتاب الديالوغ.

٦- **اثنتان وعشرون رسالة على الأبجدية (ܬܪܬܝܢ ܘܥܣܪܝܢ ܐܓܪ̈ܬܐ ܥܠ ܐܠܦ ܒܝܬ)**، أيضاً ذكرها في المسألة العاشرة من كتاب الديالوغ.

٧- **رسالتان منظومتان بالوزن السباعي (ܬܪܬܝܢ ܐܓܪ̈ܬܐ ܒܟܝܠܐ ܫܒܥܝܐ)**، قرظ بهما الطبيبين الوجيهين فخرالدين ماري، وتاج الدولة أبا طاهر ابني أمين الدولة أبي الكرم صاعد بن توما الطبيب البغدادي السرياني كاتب الناصر الخليفة العباسي /١٢٢٣م/.

ثامناً وأخيراً : **الكنوز (ܣܝܡ̈ܬܐ)**، وهو هذا الكتاب الذي نضعه بين يديك. إنه كتاب لاهوتي قيم ومهم في آن. كتبه وهو بعد راهب، ويُشير فيه إلى تلمذته في دير مار متى، وإلى جذوره في برطلة. قسمهُ إلى أربعة مقالات، وفي كل مقال فصول. وكانت هذه الطريقة كلاسيكية معروفة عند معظم الكتّاب السريان، ويستعمل كلمة ܙܢܐ التي تعني نوع أو صنف للتعبير عن المقال، وكلمة ܩܦܠܐܘܢ تعبيراً عن الفصل. ففي كل مقال يختار مواضيع تناسب عنوانه، مثلاً : في **المقال الأول** وهو بعنوان : **اللاهوت / الثالوث الأقدس**، يتناول الثالوث الأقدس، وهو يعالج هذا الموضوع لأنه في رأيه أن الكثيرين تخبطوا في بحر الأبحاث الإلهية، وهو بالتالي يريد أن يضع فصل الخطاب في إيمان المسيحيين بالثالوث الأقدس، وتجسد الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس. إذاً الكتاب في ظاهره هو رد على ما قرأه من لاهوتيين في كنائس أخرى زجوا أنفسهم في مواضيع لاهوتية حساسة، اعتقد أنهم قد تخبطوا في طرح الموضوع ومعالجته. وفي هذا المقال يثبت أن وجود الله الأزلي غير متناه، وغير مدرك، ولكنه في ثلاثة أقانيم. ومصادره في هذا المقال هي من أسفار العهدين القديم والجديد.

أما **المقال الثاني** وهو بعنوان : **تجسد الكلمة**، وفيه واحد وأربعون فصلاً فهو أوسع بين المقالات الأربع، ويتضمن شرحاً لتجسد الكلمة، فإذا كان في المقال الأول قد دحض اعتراضات الوثنيين واليهود حول التثليث والتوحيد، نراه في هذا المقال يرد على احتجاجات الهراطقة والوثنيين، ويخص بكلامه الهراطقة الذين ضلوا عن الحق وأضلوا كثيرين أيضاً، وهنا نرى لائحة بالهرطقات والهراطقة بحسب رأيه، مثلاً : والنطينوس، ومرقيان، وبرديصان، وسابيليوس، وبولس السميساطي، وماني، وأبوليناريوس، ونسطور، وآريوس، وأنوميوس، وأوطاخي، ودومينا، وأخيراً يوليان الخيالي، ومن الجماعات اختار الخلقيدونيين أي أتباع مجمع خلقيدونية، والسفسطائيين، والهاجريين. وإلقاء نظرة على الأسماء الواردة في هذه السلسلة تبين صعوبة الولوج إلى موضوع اختلف عليه المسيحيون أيضاً، ووقعت بينهم جدالات أدت إلى تقسيم الكنيسة إلى مذاهب وطوائف. وبما أن مار يعقوب البرطلي هو من أتباع كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية، التي تقر وتؤمن بالطبيعة الواحدة، لهذا نراه يتحدث بإسهاب عن من يقول أن المسيح هو في طبيعتين، ويفنِّد آراءهم. وفي دفاعه عن عقيدة كنيسته يستشهد بأسفار العهدين القديم والجديد، ويتناول كل المواضيع التي تخص موضوع تجسد الكلمة. وهو في الفصل الثامن والعشرين وما بعد يبدأ بإقحام نفسه بمواضيع أخرى قد لا تكون لها علاقة بموضع تجسد الكلمة، مثلاً : **وجوب السجود للصليب، وسبب رسمنا الصليب بأصبع واحدة ونقلها من اليسار إلى اليمين، ولماذا نحن في الكنيسة نردد عبارة : يا من صُلبت عوضاً عنا في النريصاجيون** أي التقديسات الثلاث، ولماذا **نقول عن أمنا مريم العذراء والدة الله**، ثم **السجود لا يكون إلا إلى جهة الشرق** وبعد هذا نراه يأخذ بعض الأسرار ويتحدث عنها، مثلاً : **الميرون المقدس ماهيته ماذا يدل تركيبه من العقاقير، والكهنوت السماوي والأرضي، والمعمودية، والقربان المقدس، ووجوب تناوله، وتفسير الأسرار، وفروض الصلوات**، ولا ندري لماذا أدخل مثلا هنا موضوع **السيرة الرهبانية، ومعنى الثوب الأسود في هذا**

المقال، والصلاة من أجل الموتى والقرابين، وأخيراً نراه يختتم هذا المقال بفصل يؤكد فيه أن الدين المسيحي هو الأكثر حقيقةً من سائر الديانات، ومن هذا الفصل نعلم أنه قد وضع كتاباً، ويظهر أنه كبير في حجمه، بعنوان : **الحق المبين**، وضح فيه صواب الديانة المسيحية، وربما كما يذكر في هذا الفصل قد ركز على شرح كلمات قانون الإيمان النيقاوي.

ومرة أخرى نراه يستشهد بآيات أسفار العهدين القديم والجديد، وهو عندما يتحدث عن الكنيسة المقدسة، وما رتب ووضع فيها، يزودنا بمعلومات قيّمة جداً عن شكل الكنيسة وما فيها من رموز وتفاسير الصلوات التي يؤديها المؤمن، وقد اعتمد على هذه المعلومات كثير من شرّاح طقس القداس، وفي كثير من الأحيان دون ذكر المصدر، فبعد نشر هذا الكتاب سيعرف القراء من أين أتت المعلومات في بعض مؤلفات تتناول شرح طقس القداس، وذلك من إعداد وتأليف مؤلفين معاصرين.

أما **المقال الثالث**، فهو بعنوان : **العناية الإلهية**، وهو موضوع حساس وخطير في آن، لأن بعض شرّاح مفهوم العناية الإلهية قد سقطوا في أخطاء أدت بهم إلى الهرطقة، وقد كان من المواضيع الهامة في ذلك العصر، إذ أن العلاّمة مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران آمد /١١٧٢+/، كان قد وضع مقالاً بعنوان : **العناية الإلهية** فيها ميَّز القصاصات التي ينزلها الله بالناس، عن المصائب التي تأتيهم من جراء تهاونهم وتقاعسهم. وجاءت المقالة رداً على يوحنا مطران ماردين /١١٦٥+/ وعلى مزاعمه في نفي تدخّل العناية الإلهية في حوادث سقوط الرها على يد زنكي سنة /١١٤٤/. فاغتاظ المطران من رد الشماس عليه، ورفع شكواه إلى البطريرك أثناسيوس الثامن الذي دافع عن المطران وشجب مقالة يعقوب، دون أن يلمّ بما جاء فيها، حفظاً منه لكرامة السلطة الكنسية. ولكن يعقوب حضر أمام المجمع، وعوضاً عن أن يدافع عن وجهة نظره، انبرى يقرأ مقالته على مسامع الحاضرين. وما أن أتى على نهايتها حتى تغيَّر رأي البطريرك فيها وأقرها ووضع ثقته بيعقوب.

فالمقال الثالث يعالج موضوع هذا الشر الذي يستولي على العالم، هل هو من الله ؟ ومن أين يأتي ؟ وأين يكمن الشر الحقيقي ؟ وما هو الخير وما هي أنواعه ؟ كل هذه الأسئلة يطرحها المؤلف مار يعقوب ويشرحها بأسلوب لا يخلو من الصعوبة، فالقارئ لهذه المواضيع عليه أن يستوعب كلمة الإيمان التي تجعله أن يعيش تحت كنف الكنيسة، ومع تعاليم الملافنة القديسين، وكما كان يحصل في أيامه أن أناساً كانوا يتساءلون عندما يرون الأحداث مثل الحروب والانشقاقات والمصائب المتنوعة، ويقولون كيف ولماذا يسمح الله أن تكون شرور كهذه ولو أنها حدثت وتحدث، فما مصدر حدوثها ؟ وأين هي عناية الله القادرة على كل شيء، إذا ما قلبت مثل هذه الشرور على الصالحات، هكذا حتى يومنا هذا نرى أسئلةً كثيرة توجه من المؤمنين إلى الكنيسة ورجالاتها عن عناية الله التي يجب أن تحمي كل شيء، ويقول المؤلف أن اعتماده في شرح آرائه يعتمد على ما نهله من معين الملافنة الملهمين من الروح القدس، وهو لا يُشير إليهم إلا في ما ندر، ولكن استشهاده بآيات من أسفار العهدين القديم والجديد يؤكد على أنه كان يعيش الكتاب يومياً.

وفي المواضيع الأخرى التي يتطرق إليها نراه كأنه يرد على أفكار جديدة دخلت أو تكاد تدخل إلى المسيحية مقتحمة المفهوم المسيحي المبني على الكتاب المقدس، وكتابات الآباء مثلاً : في موضوع التسليم والتجارب، وسبب سماح الله بوقوعها، وأعمار البشر، وكيف يجب أن نفهم الأجل، كل المواضيع يعالجها واحدة فواحدة، دون أن يشعر بملل من طرح مواضيع لاهوتية صعبة مثل هذه.

في **المقال الرابع** وعنوانه واضح وهو : **خلقة هذا العالم وكل ما فيه**، يتناول خلقة هذا العالم وكل ما فيه، وهو يعني الملائكة والشياطين، العناصر الأربعة في الكون الشمس، والقمر، والكواكب، والتغيرات التي تحصل على الكرة الأرضية، ثم الصخور والجبال والسهول، المعادن، وتقسيم الأرض بما فيها من بحار وأنهار وينابيع وأمطار وثلوج ورعود وأعاصير وزلازل، ثم الحيوان بأنواعه الثلاثة، والإنسان عندما كان في

الفردوس في النفس، وبحث كامل عن حساب الأجيال والسنين من آدم حتى الآن أي في أيامه، وفي الآخرة وفي النهاية ثم في الدينونة والمجازاة، فقيامة الأجساد، إلى أن يأتي إلى خاتمة بحثه. في مقاله الرابع الذي من خلاله أراد أن يثبت صحة الإيمان الأرثوذكسي يقول إذا ما وجد خطأ ما في كل هذا الكتاب إنما يعود إلى الضعف البشري، وهو في هذه الخاتمة يُشير بشكل واضح إلى ضعفه مرة يسمي نفسه بالبائس، ومرة أخرى بالتعيس الخاطئ، وهي عبارات مألوفة عند الكتّاب السريان للدلالة على التواضع الجم الذي يريد كل كاتب أن يتصف به، لكنه يُشير أيضاً إلى أنه لجأ إلى كتّاب آخرين يستوضحهم إذا ما كان يعيش الرب هو هو، والرب الإله يسكن فيه وجد أن كلاً منهم يتحدث عن بيته على أنه هو مسكن إله يعقوب إلى أن يقول : " فلما دخلت قدس أقداس أسفار الله... " وهنا يوضح مدى قناعته بإيمان كنيسته وكيف عليه أن ينشر الإيمان.

كلمة أخيرة هو أن يبقى هذا الكتاب مرجعاً مهماً للباحثين واللاهوتيين من كل الكنائس، للتعرف على مفهوم كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية، في المواضيع التي تطرق إليها المؤلف أولاً، وأن تكون محتويات هذا الكتاب مادة مهمة للإكليروس السرياني، في الوعظ، والتعليم، فلكي نبتعد عن الأفكار المستوردة غير المبنية على الحقائق المسلم بها في كنيستنا، علينا أن نستشهد بأقوال عالم ثقة من علمائنا الكبار ثانياً، وثالثاً وأخيراً أن يُبسَّط هذا الكتاب لغةً وأسلوباً ويوضع في متناول اليد خاصة في مراكز التربية الدينية والخدمة الاجتماعية بكل فروعها، فالمواضيع الهامة التي يتطرق إليها المؤلف، والأسئلة التي تدور حولها، لا نجد لها جواباً مقنعاً كما في هذا الكتاب.

وأخيراً لا بد من كلمة شكر نوجهها باسم القراء جميعاً إلى من له الفضل في نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ونقصد به العزيز **الشماس بهنان دانيال البرطلي** الذي زين المكتبة العربية بنتاج فكري مميز منها هذا الكتاب، وكتاب آخر بعنوان : **الكنوز** أيضاً لأيوب الرهاوي الذي هو أول موسوعة فلسفية علمية عند السريان، وقد صدر أيضاً في دار ماردين

ـ الرها، والشماس بهنام دانيال ابن الكنيسة البار الذي ربط نفسه بتعاليم الآباء من خلال عشقه لتراث الآباء ومحبته للغة مار أفرام السرياني، ومار يعقوب السروجي، والرهاوي، والبرطلي، وميخائيل الكبير، وابن العبري، أي اللغة السريانية، وحماسه الزائد في نقل هذا الفكر الناضج والمتميز بتنوعه إلى لغة الضاد ليقف الناطقون بها على عظمة الفكر السرياني، ودوره في نقل الثقافة إلى كل إنسان، فإليه الشكر مع دعائنا بأن يوفقه الله ليقدم المزيد من العطاء، والله نسأل أن يؤهلنا دائماً لخدمة الكنيسة المقدسة.

حلب ٢٠٠٧/٤/١٧
عيد مار آقاق أسقف حلب

المصادر :

١- HIDEMI TAKAHASHI, **BARHEBRAEUS A BIO-BIBLIOGRAPHY**, Gorgias press, ٢٠٠٥.
٢- CYRIL MOSS, B.A.,O.B.E. **CATALOGUE OF SYRIAC PRINTED BOOKS AND RELATED LITERATURE**,Published London,USA, ١٩٦٢
٣- أغناطيوس أفرام الأول برصوم، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، سلسلة التراث السرياني، ط ٥، دار الرها ـ حلب، ١٩٨٧، ص ٤٠٤.
٤- المصدر نفسه، ص ٤٠٤.
٥- الأب ألبير أبونا، **أدب اللغة الآرامية**، ط ٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤٤١.
٦- أغناطيوس يعقوب الثالث، **دفقات الطيب**، ١٩٦١، ص ١٠٥.

٧- تقع بلدة برطلة شرقي مدينة الموصل، وهي الجزء الحديث لنينوى التاريخية. يعود تاريخ تأسيسها إلى ما قبل المسيحية، فقد ذكرها بعض المؤرخين الثقات كواحدة من القرى بين نينوى وأربيل في عهد اسكندر الكبير المعروف بـ ذي القرنين، ودخلتها المسيحية على ما يظن في أوائل القرن الرابع للميلاد، وأصبحت واحدة من أهم البلدان في كورة نينوى، خاصة عندما اختارها بعض المفارنة مقراً لهم. مازالت عامرة ويقطنها اليوم /٨٠٠٠/ نسمة ونيف معظمهم من السريان

الأرثوذكس. عضدت الكنيسة بعدد من المطارنة والخوارنة والرهبان يتقدمهم المثلث الرحمة البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث البرطلي بطريرك أنطاكية وسائر المشرق /١٩٨٠+/ الذي طبع بصمة مهمة في تاريخ الكنيسة السريانية المعاصر .

٨- أغناطيوس يعقوب الثالث، **دفقات الطيب**، ١٩٦١، ص ٨١.

٩- سهيل قاشا، **برطلة في مرآة الزمان**، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٨ و ٢٩.

١٠- دير مار متى هو واحد من أشهر أديرة السريان في العراق اليوم، يقع على صدر جبل الفاف شمال شرقي مدينة الموصل، وعلى بعد /٣٥/ كم، ويُعرف اليوم بجبل دير مار متى. أسسه سنحاريب ملك آثور بناءً على طلب القديس مار متى بحدود النصف الثاني من القرن الرابع، وعاش فيه عدد كبير من القديسين والرهبان والنسّاك، وعرف الدير أحداثاً غريبة مقلقة، عقد فيه أكثر من مجمع وأصبح مقراً لمفريانية تكريت، بعد أن غادر المفريان هذه المدينة. خرّجت مدرسته عدداً من الإكليروس أهمهم البطريرك يعقوب الثالث الذي ارّخ للدير في كتاب : **دفقات الطيب في تاريخ دير مار متى العجيب**، ١٩٦١.

١١- الأب ألبير أبونا، **أدب اللغة الآرامية**، ص ٣٩٣.

١٢- هو كمال الدين بن يونس رياضي وفقيه شهير، علم في كمالية الموصل، وهو من مواليد هذه المدينة سنة /١١٥٦/، له : رسالة في البرهان على المقدمة التي أهملها أرخميدس في تسبيع الدائرة.

١٣- أغناطيوس أفرام الأول برصوم، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، سلسلة التراث السرياني، ط ٥، دار الرها ــ حلب، ١٩٨٧، ص ٤٠٥.

١٤- المطران يوحنا ابراهيم، فهارس مخطوطات سريانية، مطرانية السريان الأرثوذكس، توجد مخطوطة في مطرانية الموصل رقمها ١/٩٦، لكتاب الديالوغ مجهول الناسخ والتاريخ.

١٥- هنا ص ١٠٠.

١٦- هنا ص ١٣٣.

١٧- هنا ص ١٣٨.

١٨- المطران يوحنا ابراهيم، **الموسيقى السريانية**، دار ماردين ــ حلب، ١٩٩٦.

١٩- المطران يوحنا ابراهيم، **الموسيقى السريانية**، دار ماردين ــ حلب، ٢٠٠٣.

٢٠- المطران يوحنا ابراهيم، **الموسيقى السريانية**، دار ماردين ــ حلب، ١٩٩٦.

مقدمة المترجم

إن دراسة التراث من الأمور الملذّة للإنسان لان في دراسته ونشره اعترافاً بفضل السلف الصالح لما قدّمه من نتاج في سبيل تقدم الإنسانية وخدمتها وازدهارها وإعلاء شأنها.

وإذ لم تكن في العصور الخوالي مدارس ومعاهد كما هو الحال الآن، نجد ان الأديرة كانت خير موئل وملاذ لدراسة وتعليم أصناف العلوم الدينية والأدبية واللاهوتية والفلسفية وغيرها، وذلك بفضل الرهبان الذين كانوا يعيشون فيها حياة نسكية بعيدة كل البعد عن ضوضاء وضجيج هذا العالم، فكانوا في خلوتهم وفي ذلك المقام الهادئ والجو الرائع ينكبّون على دراسة الكتاب المقدس وينهلون من معينه العذب ويشبعونه درسا وتمحيصا، فيكتبون ويؤلفون ما يوحي إليهم الروح من مختلف العلوم وصنوف أنواع البيان.

وكتاب **الكنوز** **ܣܝܡܬܐ** الذي يسرنا ان نقدمه اليوم إلى قراء الضّاد الكرام بعد تحقيقه ونقله من السريانية إلى العربية، ما هو إلاّ إحدى تلك النتاجات التي تمخض بها عقل وفكر أحد المطارنة الميامين، وأحد أعلام السريان ألا وهو **مار سويريوس يعقوب البرطلي مطران دير مار متى وأذربيجان** ١٢٤١ +.

ويعتبر كتاب **الكنوز** من الكتب التراثية العريقة، الذي يزخر بها الأدب السرياني العريق، نظرا لأهمية وشهرة مؤلفه في هذا المضمار، إذ كان أحد الذين مخروا عباب اللغة السريانية، واستخرجوا من كنوزها لآلئ نفيسة، وبذلك أصبح واحدا من فرسانها.

وقد استندنا في ترجمة وتحقيق هذا الكتاب إلى النسخ التالية:

١ـ نسخة في حوزتي مكتوبة في سنة ١٩١٢ م.

٢ـ نسخة خاصة لنيافة المطران صليبا كتبت في سنة ١٨٨٩ م.

٣ـ نسخة محفوظة في مكتبة مطرانية الموصل كتبت في سنة ١٧١٨ م.

وقد وفقنا الله إلى الجمع بين هذه النسخ الثلاث ومعارضتها ببعضها، ولدى مراجعتنا هذه النسخ ومقارنتها مع بعضها، ظهرت لنا بعض الاختلافات والأخطاء الإملائية الكثيرة جاء أغلبها نتيجة النسخ، لم نشر إليها، وقد أثبتنا ما ورد في الترجمة بعد التدقيق والتحقيق والتمحيص.

أكتفي بهذا الكلام الوجيز وأُقدم شكري الجزيل **لنيافة الحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا شمعون مطران الموصل وتوابعها** على تشجيعي ومساعدتي، للقيام بهذا العمل وعلى ما بذله من جهد كبير في ملاحظة ومراجعة هذا الكتاب، وتنقيحه وإبداء ملاحظاته القيمة بهذا الخصوص، رغم انشغاله لمهامه الراعوية إضافة إلى مسؤولياته الكثيرة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل **لنيافة الحبر الهمام مار سويريوس اسحق ساكا** الذي لم يألُ جهدا في إبداء ملاحظاته القيمة حول بعض الأمور التي تحتاج إلى دراسة وتمحيص، ومساعدتي في مراجعة وترجمة العديد من العبارات الغامضة وصياغتها بقالب لغوي فصيح.

كما أشكر كافة الاخوة الذين آزروني وقدموا لي أية مساعدة أثناء قيامي بالترجمة.

وان أنسَ فلا أنسى ان أشترك مع كل السريان بتقديم واجب التقدير والثناء **لنيافة الحبر الجليل مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم متروبوليت حلب وتوابعها** الذي إلى جانب خدماته الرعوية والمسكونية

وعطاءاته الفكرية، يتولى اليوم مهمة شاقة بتبنيه فكرة نشر الكتب التراثية، وتشجيعه لمن فيهم الكفاءة لترجمة فكر الآباء الميامين من اللغة السريانية إلى العربية. وقد أغنى المكتبتين السريانية والعربية بمؤلفات ومواضيع متنوعة نشرها في أربع سلاسل معروفة وهي: **ـ دراسات سريانية، التراث السرياني، دراسات كتابية، الله معنا، إلى جانب كتب أخرى نفيسة كان آخرها كتاب قيّم ومهم بعنوان "الحوار السرياني" وهو ترجمة كتاب The Syriac Dialogue** ـ ونيافته سيتولى مشكوراً تقديم الكتاب والكاتب بصورة مفصلة، وسيشرف على إعداده وإخراجه ونشره بالطبع في **دار ماردين ـ الرها** في مدينة حلب وهي مركز أبرشيته العامرة. إنني احيي همة نيافته العالية، وجهوده المخلصة، وجَلده في سبيل بعث التراث السرياني الخالد وإحيائه لينهل من ينابيعه أحفاد حضارات هذا الشرق العزيز.

وعلى الله الاتكال.

الشماس
بهنام دانيال

برطلة في ٢/شباط/٢٠٠٧
عيد مار شمعون الشيخ

المقال الاول

اللاهوت / الثالوث الاقدس

نبدأ بكتاب " الكنوز " معتمدين على قوة العناية الإلهية. والذي أهتم بجمعه بإيجاز وبقدر الامكان، يعقوب الضعيف الراهب، الماتي التلمذة، والبرطلي الأصل، بناءً على طلب أحد أخوانه الروحيين.

الفصل الاول

مقدمة هذا الكتاب

حيث أنك رأيت الكثيرين وقد تخبطوا في بحر الأبحاث الإلهية، طلبت مني أنا العاجزِ أيها الأخ الحبيب أن أضع لك فصل الخطاب في إيمان المسيحيين بالثالوث الاقدس وتجسد المسيح، لكي عندما تتأمل به تستطيع أن تجيب الذين يطلبون إليك حجّة، وذلك من أجل ترسيخ إيمانك كما قال الرسول الطوباوي [1]، وعليه واتكالا على قوة الذي سيدور حديثنا عنه، نتقدم ونحقق طلبك، لكيما يضرب بعصا لطفه حجر ذهننا لنجري منه مياه الحياة للمشتاق، معنونين بحثنا هذا بـ **كتاب الكنوز**. ينقسم هذا البحث إلى أربعة مقالات :

١- انظر رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٥
والنص "--- لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم ---"

المقـال الأول : في كمال لاهوت الثالوث الاقدس.
المقال الثاني : في تأنس المسيح أحد أقانيم الثالوث.
المقال الثالث : في العناية الإلهية.
المقال الرابع : في خلقة هذا العـالم وكـل مـا فيـه، وفـي النفس والقيامـة والدينونة ومجازاة الأخيار والأشرار.

ونباشر الآن متكلين على الله ومبتدئين كلامنـا بـالبراهين الكتابيّـة والطبيعية، ولتكن البداية من هنا.

الفصل الثاني

إثبات وجود الله

يستدل على وجود الله من الطبيعة ومن الكتاب.
فمن الطبيعة، لوجود صنفين : أزلي، وزمني.

فالأزلي، هو منزّه عن الأزمان أي لا بداية له ولا نهاية.
والزمني، له بداية ونهاية.

يتضح إذن وجود الله من كون هذا العالم زمنياً ومخلوقاً وتثبت خلقة هذا العالم من كونه جسماً، والجسم ليس أزلياً، إذاً فالعالم متناه وله حدود، وهو مركب ومحسوس وينقسم إلى أجزاء. وتطرأ عليه التغيرات ويخضع لحوادث، وتوجد فيه المتناقضات، وهو محصور في مكان، ومن نسبت إليه هذه الأمور كلها ليس أزلياً، ومن ليس أزلياً فهو زمني ومخلوق وله خالق أزلي وهذا (الأزلي) هو الله لا بداية له ولا نهاية.

ومعلوم أيضاً أن الله موجود، لأننا عندما نشاهد بيتاً ندرك بأن مهندساً ما شيّده، ولئن لم يكن قريباً، وكذلك قل عن الكرسي والسفينة أيضاً، هكذا عندما نرى المخلوقات نحكم بأن الله خلقها، والأكثر من هذا ثبات العالم رغم وجود المتناقضات فيه، ومن هنا نعلم بوجود الله حافظاً للعالم الذي يستند بدوره على قوة الله، إذاً فالله موجود.

وواضح وجود الله من الكتب أيضاً، فممّا كتبه موسى : " **في البدء خلق الله السموات والأرض**"[1] ، ومما كتبه الأنبياء والرسل عن وجود الله. **فالله إذن موجود**.

١- تكوين ١:١

الفصل الثالث

اللـــه أزلـــي

فالله إذاً كان ويكون وسيكون وهو كائن دائماً بكلمته وروحه القدوس بلا بداية ولا نهاية، فلا يوجد زمن لم يكن موجوداً فيه، ولن يكون موجوداً إذا تخلى عما هو عليه، لكنه موجود دائماً وإنما بشكل يسمو عن البداية وعن كل فترة زمنية، لأنه إن لم يكن أزلياً فهو مخلوق، وإن كان مخلوقاً يحتاج إلى خالق، وذلك الخالق إلى آخر، وهذا إلى آخر وهكذا إلى ما لا نهاية. وهنا تحدث بلبلة إذا بقي العالم بلا مدبر إن لم يكن الله موجوداً، وأن يتسامى إلى درجة الخالق الذي لا يسمو عليه أحد، ذلك الذي يدور بحثنا عنه لكونه الله خالق هذا العالم، فالله إذن أزلي.

ومثلما ندرك الخالق من المخلوق وغير المتناهي، وهكذا ومن الزمني ندرك الازلي، ومن الذي له البداية والنهاية ندرك الذي لا بداية له ولا نهاية، **فالله إذن أزلي**.

الفصل الرابع

الله غير متناهٍ

فهذا الأزلي، الذي هو الله إذاً، لا حد له ولا نهاية، لا يحد في مكان أو موضع ولا في حد أو نهاية أو عقل أو فكر لأنه أزلي، ومن كان أزلياً فهو غير محدود، ومن ثمة فإنه ليس جسماً، ومن لا جسم له هو غير محدود، ومن كان محدوداً فهو يحتاج إلى مكان وموضع يحصره، ومن

كان محصوراً في مكان أو موضع لا يكون أزلياً، وبذلك تكون الخلائق قد سبقت خالقها في الوجود وهذا محال.

قال داود : " **أين أذهب من روحك وأين أختبئ من أمامك، إن صعدتُ إلى السماء فأنت هناك وإن نزلتْ إلى الهاوية كذلك.. الخ** "[1].

فليس حد لإدراكه.

فكما نفهم من هذه الخليقة الزمنية أزلية خالقها، هكذا نفهم من محدوديتها لا محدوديته.

الفصل الخامس

الله غير مدرك

يقول الحكماء : كل شيء يدرك فإنه يدرك في حالتين :

إما بالحواس أو بالعقل والفهم والفكر، فمن كان أرفع وأسمى من عقول المخلوقين لا يدرك أبدا، إذاً فالله غير مدرك.

كما ولك أن تختبر بعقلك، بأن الله لا يدرك أبداً من وجود مخلوقات كثيرة، كمقياس البحر، وكيل الأرض، وعلو السماء، وتعداد الكواكب، التي لا يمكن إدراكها بصورة دقيقة، فاعلم إذن أن **الله لا يدرك**.

١- مزمور ١٣٩:٧

الفصل السادس

اللـــه واحـــد

الله واحد لا أكثر كما يقول الوثنيون البلداء، وهذا معروف من أن الواحد لا ينقسم، أما اثنان أو أكثر فتنقسم، فالله إذن واحد. ثم إن الواحد لا يخضع للعد، بينما الاثنان أو أكثر تخضع للعد، إذاً هو واحد.

الواحد ليس له علة، أما الاثنان أو أكثر فلها علة، فهو إذن واحد. الواحد ليس له شبيه، أما الاثنان أو أكثر فلهما شبيه، أي أن الواحد يشبه الآخر، وإذ ليس لله شبيه، فهو إذن واحد.

ليس في الواحد كل وجزء، أما الاثنان أو أكثر فلها أجزاء جمعها يشكّل كلاً، وعليه فالله إذن كلٌّ وواحد وليس كثرة.

الواحد لا ينقص ولا يزيد، أما الاثنان أو أكثر فتنقص وتزيد، وحيث إن الله لا ينقص ولا يزيد فهو إذن واحد.

وتظهر وحدته من كونه تاماً وكاملاً بالقوة والجود والعدل، فحيث لا تغير هناك الوحدة، وحيث التغير توجد الكثرة.

وبما أنه لا يشبه العناصر الأربعة المحدودة، فهو إذن غير محدود، وبما أنه غير محدود، فهو واحد.

غير المحدود ليس له حد ولا نهاية، وما ليس له نهاية، له حالة واحدة فقط، ومن له حالة واحدة فهو واحد أبداً، فإذاً وحدته حقيقية، أما الذي كان واحداً أو ممكن أن يكون فليس واحداً بالحقيقة بل مجازاً، وكذلك الواحد الذي يعد مع آخر ليس واحداً، ومن كان أبداً واحداً لا حد له.

الفصل السابع

كيف يجب أن نؤمن بأن الله واحد حقاً ؟

نؤمن بإله واحد الآب الضابط الكل، وبرب واحد يسوع المسيح. الله فوق الكل، وبالروح القدس الذي منه الكل، الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم، جوهر واحد، طبيعة واحدة، فعل واحد، لاهوت واحد، إرادة واحدة، فندعو هؤلاء : الأقانيم الثلاثة، معطين لكل واحد اسماً خاصاً وصفة خاصة ومتميزة ليس للطبائع بل للاقانيم.

فنقول الآب والابن والروح القدس كالعقل والكلمة والروح، ليس ثلاثة آلهة حيث ثلاث صفات، بل إله واحد له كلمة وروح، والكلمة ندعوها ابناً، وندعو الروح باسمه روحاً ونضيف كلمة **القدس** لكي يتميز من بقية الأرواح. حيث نعطي الآب خاصية الأبوة، والابن الولادة، والروح الانبثاق.

لا نستطيع أن نغيّر أو نفسّر الخواص التي للأقانيم، أي أن ندعو الآب مولوداً أو منبثقاً، أو الابن والداً، أو الروح والدا أو مولودا، لأن الخواص هي أزلية مع الأقانيم، فلا تتغير أو تتبدّل أبدا، وإنما نقول الآب والد وغير مولود، الابن مولود وغير والد، الروح منبثق وغير مولود وغير والد، الواحد ثلاثة بالخواص، والثلاثة واحد باللاهوت، تميز موحد واتحاد متميز، فليس ذلك الواحد شيئاً آخر بدون الثلاثة، ولا الثلاثة شيء آخر دون ذلك الواحد، بل تلك الأقانيم هي اللاهوت واللاهوت هو الأقانيم.

الفصل الثامن

الله هو في ثلاثة أقانيم

لو سُئلتم : **حيث أنكم تؤمنون بإله واحد فَلِمَ تقولون أنه ثلاثة أقانيم ؟ ومن أين يعرف ذلك ؟**

نقول : **يعرف من أمور كثيرة أي من الأبحاث الطبيعية والمنطقية، ومن كتب الأنبياء.**

أما من **الأبحاث الطبيعية** فتعرف هكذا :

ـ أولاً :

من حيث إن الخليقة مكونة من عنصرين، الواحد بسيط والآخر مركب، أي من مادة وصورة، والله ليس أقنوماً واحداً، لكي لا يكون ناقصاً عن الخلائق، وليس هو أقنومين لئلا يكون مساوياً للخلائق. فهو ثلاثة أقانيم ليكون أسمى من الخلائق، وليس أربعة لئلا تدخل في باب تعدد الآلهة.

ـ ثانياً :

لا يقال لكل من الملاك والإنسان أنه حي وناطق، أي له الكلمة، ولا يقال أنه أقنوم وكلمته أقنوم وروحه أقنوم، والآب هو العلة، والابن والروح معلولان، وتكون العلة على ثلاثة أنواع :

طبيعية وفاعلة وهيولية، والإنسان هو علة طبيعية لابنه الذي ولد، وفاعلة كالبخار الذي عمل الصندوق.

فالله (الآب) هو العلة الطبيعية للابن الذي ولد منه أزلياً، وللروح الذي منه ينبثق، وهو أيضاً علة فاعلة أي مبدعة الخلائق التي خلق. وإذا كان علة طبيعية للابن والروح فهو إذاً ثلاثة أقانيم.

ـ ثالثاً :

كل مخلوق أيّاً كان، إما أن يكون حياً وناطقاً، أو غير حي وغير ناطق، أو حياً لا ناطقاً، فالحي والناطق الملاك والإنسان، فهو حي بروحه، وناطق بكلمته، أما الذي ليس حياً ولا ناطقاً فلا يمتلك هذه الأمور. والناطق والحي هو أسمى وأكثر كمالاً ممن هو غير ناطق وغير حي، اذن فالخالق إما أن يكون حياً وناطقاً أو غير حي وغير ناطق، لا يمكن أن يكون حياً وناطقاً وغير حي وغير ناطق، إنها المتناقضات. ولا يجوز أن يكون غير حي وغير ناطق لئلا يكون ناقصاً عن الخلائق، ومن المعلوم إذاً أنه حي وناطق، وله كلمة وروح، وهو أقنوم، وكلمته أقنوم وروحه أقنوم، فهو اذن ثلاثة أقانيم.

ـ رابعاً :

تتبين حقيقة المسيحية من أمور كثيرة كما سنوضح بإرشاد الرب. وإذا كانت المسيحية حقيقة، والمسيحية تؤمن وتقر بأن الله ثلاثة أقانيم، فهو إذن ثلاثة أقانيم.

ومن الكتب أيضاً، فقد جاء في التوراة : " **نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا** " [١] ، و " **نصنع لآدم معيناً نظيره** " [٢] ، و " **هلم ننزل إلى بابل ونبلبل الألسنة** " [٣] ، و " **فأمطر الرب على سدوم ناراً من عند الرب** " [٤]، و " **الرب إلهك رب واحد** " [٥] .

فبقوله الرب، والإله، الرب دلّل على ثلاثة أقانيم، وبما أنه واحد عبّر عن لاهوت وجوهر واحد.

١- تكوين ١: ٢٦

٢- تكوين ٢: ١٨

٣- تكوين ١١: ٧ والنص هو: "هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم..".

٤- تكوين ١٩: ٢٤ والنص هو: "فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب".

٥- تثنية ٦: ٤ والنص هو: "الرب الهنا رب واحد".

وقول داود : " **يُباركنا الله إلهنا ويباركنا الله** "[1]. وأشعياء : " **قدوس قدوس قدوس** "[2] ثلاث مرات، دلّت على ثلاثة أقانيم مقدسة و(آيات) كثيرة كهذه. والشهادات في العهد الجديد جلية لا ضرورة لإيرادها الآن.

الفصل التاسع

كلمته وروحه أقنومان جوهريان وأزليان

مثلما تتميز علامات الله عن علاماتنا هكذا أيضاً كلمته وروحه متميزان عن كلمتنا وروحنا، فكيف يسمع إذاً ؟ ما دامت حياته وقوته متميزتين عن حياتنا وقوتنا، فإن حياته لا تبدأ ولا تنتهي، بينما حياتنا تبدأ وتنتهي، وقوته أيضاً لا تقتطع من ضعف، ولكنه القادر على كل شيء، وقوتنا ليست فقط غير قادرة بل مقتطعة من ضعفه. هكذا تكون كلمته وروحه متميزتين عنا أيضاً، وذلك لأن كلمتنا وروحنا ليستا ثابتتين وليستا أقنومين، أما كلمته وروحه فثابتان. فهما إذاً أقنومان.

ثم أن الله إما أنه كامل أو ناقص، أو كامل وناقص معاً، أو غير كامل وغير ناقص، ومن هو ناقص، أو ناقص وكامل معاً، أو غير كامل وغير ناقص، فلا يكون آلهاً، لأن من المحال أن تجتمع هذه الحالات الثلاث. فكيف يسمع مثلاً من كان ناقصاً ؟ ومن هو كذلك لا يكون كاملاً، ولا يمكن لغير الكامل أن يكون آلهاً.

---

١ – مزمور ٦٧: ٦ و ٧

٢– أشعياء: ٦: ٣

وإذا كان ناقصا وغير كامل فيكون مركبا، والمركب مخلوق، والمخلوق ليس الله، أما إن كان غير كامل وغير ناقص فهو غير موجود إطلاقاً، لأن كل كائن إما هو كامل أو ناقص، وما ليس موجودا لا يقال عنه غير كامل وغير ناقص، فالله إذن كامل، وإذا كان كاملاً فله كلمة وروح، لأن الذين لهم كلمة وروح أكثر كمالاً من الذين ليس لهم كلمة وروح، وأن هو كامل يكون كلمته وروحه أقنومين ثابتين هو أكثر كمالا من الذي لم يتثبت.

فكلمتنا هي أسماء وكلمات تخرج بالأصوات من الأفواه والألسنة والشفاه، وتتلاشى في الهواء وتتبدّد، أما كلمة الله فليس هكذا، بل هو أقنوم ثابت وخالق، كما " **بكلمة الرب صنعت السموات.. الخ؟** " (١)، وقال يوحنا: " **كل شيء به كان** " (٢)، و(قول) بولس : " **الكل خلق بالمسيح**.. " (٣).

ثم أن روحنا هو هواء يدخل بواسطة التنفس داخل الرئة ويندفع ويخرج إلى الخارج، وينتشر في الهواء العادي الذي استنشق منه.

أما روح الله فليس كذلك، بل أنه أقنوم ثابت وهو مكمل الخلائق، حيث إن الآب أوعز أن تخلق الخلائق، والابن خلقها، والروح القدس أكملها وأتمّها.

إذاً فالكلمة والروح أقنومان ثابتان. ونبرهن على كونهما أزليين بقولنا أن لم يكن لله كلمة وروح فهو ناقص الكلمة والروح، والناقص غير كامل، وغير الكامل ليس آلها.

١- مزمور ٣٣: ٦

٢- يوحنا ١: ٣

٣- كولوسي ١: ١٦ والنص : " فأنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض.. الكل به وله قد خُلق ".

ومن حيث إن الله كامل أزلياً ندرك أن كلمته وروحه أزليان. ونقول أيضاً : من هو زمني تكون كلمته وروحه زمنيتين أيضاً، ومن هو أزلي.. تكون كلمته وروحه أزليتين أيضاً، وبما أن الله أزلي فكلمته وروحه أزليتان أيضاً.

الفصل العاشر

يتضمّن اعتراضات وردوداً

ـ يسأل الوثنيون واليهود :

كيف لا تقولون إنكم تسجدون لثلاثة آلهة، وأنتم تعترفون بالله الآب، والله الابن، والله الروح ؟.

ـ رد :

أنك، أيها الوثني، إذا ما أمسكت بيدك ثلاثة دنانير ذهبية، فانك تدعو كلاً منها ذهباً حقيقة، لكنه لا تستطيع أن تسميها ثلاثة أنواع من ذهب، لأنها على كل حال ذهب واحد لا كثرة. وهكذا قل عن ثلاثة أنواع فضة لثلاثة دراهم، وعن ثلاثة أنواع نحاس لثلاثة فلوس، وعن ثلاثة أنواع كتّان لما هو نوع واحد من الكتان.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى آنية ما ومصنوعات محددة، وهذا ما يقال عن كل شيء متساوٍ مع مثيله في جنسه.

وهكذا والشمس لها قرصها ونورها وحرارتها، ولا يقال إنها ثلاث شموس بل واحدة فقط.

كذلك الماء الذي في الينبوع، والذي في المعين، والذي في الأنهر، له طبيعة واحدة، فلا يقال ثلاث طبائع للماء، بل طبيعة واحدة.

ونحن لا نستطيع أن نبرهن ونظهر معرفة الله غير المنظور، ما لم يكن ذلك عن طريق مخلوقاته المنظورة، أو من كتب أنبيائه القديسين، كما بيّنا أعلاه.

ـ اعتراض :

تقول : أن طبيعة إلهك مميزة بالأقانيم كما في الدنانير والدراهم وبقية الأمور التي قلت.

ـ رد :

لقد أعطيتك، حسب سؤالك براهين كثيرة، على أننا لا نعترف ونقر بثلاثة آلهة بل بآله واحد، فإذا كان الله غير المحدود يسكن في خلائقه ويملؤها جوهرياً، في حين أن طبيعته تختلف عنها، ولا ينقسم ولا يقتطع منها، كما يقتطع الضعيف من القوي، أي كالخشب من قبل الحديد، والسفينة بالنسبة إلى الماء، والنار إلى أجزاء، بل يلبث واحداً وغير منقسم في طبيعته، مع أنه يسكن فيها ولئن لا يشترك وإياها في الجوهر، فكم بالحري نقول عن كل واحد من هذه الأقانيم بأنه الله الواحد، دون أن ينقسم بذلك طبيعة الله غير المنقسم وحده ؟ ولا في أمكنة ولا في أزمان ولا في الملك ولا في الإرادة وغيرها، بل تتميز تلك الأقانيم بالخواص التي تميّز الأقانيم أي تدل عليها، دون أن تتحتم تجزئة الطبيعة.

فها أن الشمس تولد النور وتبعث الحرارة ولا تنقسم طبيعتها، إنما يستدل من هذه القوى الثلاث كما في ثلاثة أقانيم، طبيعة واحدة للآب والابن والروح القدس.

وكذلك إذا أدخل إنسان ثلاثة مصابيح إلى البيت، رأى نورها ممتزجاً ببعضه، مع أنها متساوية بدون اختلاط، حيث أن لكل منها نور أقنومه، ويدل على طبيعة النور الواحدة، ومعها تلك التي تساويه في الجوهر.

وقال موسى النبي أيضاً : " **واجتاز الرب أمام الرب** " [1]، حيث أَحلّ الرب أمام الرب، ترى ألا يفهم من هذه الكلمات التي شدّد عليها الكتاب بقوة أنه غير متجزئ ومنقسم في طبعه ؟

فكيف إذن ذاك الذي يملأ السماء والأرض والكل منه وبه وبواسطته ؟ فيجب أن تفهم هنا شيئاً ما، أَلا وهو تمييز الأقانيم، ولكن دون انقسام جوهر الله.

كذلك أبونا آدم ولد شيتاً وجاء بحواء، وحيث أن هؤلاء لا يختلفون عن بعضهم بعضاً. لهم طبيعة واحدة غير متغيرة، ولكنها تتغير من حيث خواص الأقانيم، الأبوة لآدم، والبنوة لشيت، والصدود لحواء، في حين أن طبيعة ثلاثتهم واحدة.

وعندما تتحد الخاصية مع الطبيعة تجعله واحداً ولكنه ليس منقسماً أو متميزاً عن طبيعة الذين يساوونه في الجوهر.

ـ اعتراض :

هل يقال لهذه الأقانيم الثلاثة ثلاثة آلهة ؟

ـ رد :

نقول : كلا.

ـ اعتراض :

ولماذا ؟

ـ رد :

لأنهم غير متميزين بالجوهر ولا بالطبيعة ولا بالإرادة ولا بالقوة ولا بالفعل، بل أنهم متساوون في هذه كلها. وعليه لا يقال ثلاثة آلهة بل آله واحد، ثم لأنهم ليسوا ثلاثة رؤوس، وإنما رأس واحد هو، الآب.

١- خروج ٣٤: ٦

ـ اعتراض :

كيف أنهم لا يتميزون بالجوهر ولا بالطبيعة ولا بالإرادة ولا بالقوة ولا بالفعل ولا بالسيادة ؟

ـ رد :

نقول : لا يتميز جوهر الآب من جوهر الابن وجوهر الروح القدس، كما لا يتميز ما لهما عمّا له، ولكنهم مساوون في الجوهر، كما لا تتميز طبيعة الآب عن طبيعة الابن وطبيعة الروح القدس، ولا ما لهما عمّا له، لكنهم مساوون في الطبيعة، وليس الآب أقوى من الابن والروح ولا هما أقوى منه، وليس فيهم من قوته متميزة، لكن لهم قوة واحدة، قدرة واحدة، وهكذا قل عن الإرادة أيضاً : فلا تمييز بين إرادة الآب وإرادة الابن وإرادة الروح، ولا ما لهما مما له، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السيادة، فليس فيهم متسلط على الخلائق أكثر من صنوه، ولكن له سلطة واحدة وسيادة واحدة.

الفصل الحادي عشر

ـ يسأل بعضهم أيضا :

كيف يمكن أن يكون ابن للّه دون أن يتخذ امرأة ؟

ـ الرد :

إن كان الله إنسانا لكان اعتراضهم صحيحا، وإن كان إلها لا جسم له فلا يلد كالإنسان، ولا يعمل كإنسان ويخلق بتعب أو ضمن زمن، كما لا يحتاج إلى المادة التي يحتاج إليها الإنسان.

وعليه فالابن مولود من الآب روحيا دون الحاجة إلى امرأة وزواج. ثم أن كلمة " الابن " لا تقال بمعنى واحد بل بمعان متعددة، وبما أنكم تفزعون من كلمة " الابن "، نقول : أن الابن الطبيعي هو كسليمان

الذي هو ابن داود، فهو ابن حقيقي، وليس في الأمر ما يشين، أما ولادة الابن من الآب فهي كالشعاع من الشمس، وكالضياء من النور، وكالثمرة من الشجرة، وكالكلمة من العقل، فهي ليست كالمثل الأول.

وقد وردت كلمة " **الابن** " في كتب أحد الأنبياء : " **قبل التلال أُبدِئْتُ، ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت** " [١] .

فلماذا تتهربون من كلمة " **ابن** " الله، في حين ورد في الكتب بأن الله له عينان وأذنان وفم لأنه يرى ويسمع ويتكلم، فهل تقولون أن له جسماً كالذي لنا به يرى ويسمع ويتكلم، أنه أسمى من الجسم، يرى ويسمع ويتكلم روحياً وليس مثلنا.

وهكذا عندما نقول : الابن مولود من الآب، نفهم ولادة روحية، كالعقل مع أنه مخلوق يلد الكلمة والفهم، والشمس تبعث النور والنور يبعث الحرارة، فالولادة لدى العقل لا تمت بصلة إلى المرأة والزواج، كما لا علاقة للشمس والنور في ولادتهما بالمنى والتجزؤ والزمن.

ـ اعتراض :

أن المولود هو غير الوالد، بل آخر، لذا يكونان إلهين وليس واحداً.

ـ رد :

نقول : أن الابن هو آخر بالأقنوم وليس بالطبيعة والجوهر، كما أن آدم وشيتاً ليسا طبيعتين، بل هما جوهر واحد وأقنومان.

١- أمثال ٨: ٢٥ و ٣٠: ٤

ـ اعتراض :

لكن آدم وشيت وحواء هم ثلاثة من بشر، فإذا كانوا واحدا بالطبيعة، لزم أن يدعى الآب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة.. أو لعل لكل واحد من الأقانيم ثلث الألوهية ؟

ـ رد :

نقول : لو كان آدم وشيت وحواء المتساوون في الجوهر وهم واحد في الطبيعة، واحداً في الزمان والقوة والإرادة والفعل والمعرفة، لكانوا حقاً إنساناً واحداً، ولكنهم ليسوا متساوين في ذلك فلا يقال إنهم واحد. أن صيغة الجمع المطلقة عليهم يدل على عدم مساواتهم في ما ذكرت، الأمر الذي لا يوجد لدى هذه الأقانيم المسجود لها.

وأيضاً لأن الواحد هو علة الاثنين وليس كل واحد علة بذاته. وحيث أن الرئاسة والعلة واحدة، فأنهم إذن إله واحد.

أما القول بأن يكون لكل واحد من الأقانيم ثلث الألوهة فأمر مشين. فثلاثة دنانير مثلاً هي ذهب، ولا يقال لواحد أنه ذهب، أو ثلث الذهب، أو جزء الذهب.

وأن نور مصابيح كثيرة هو نور واحد وليس أنواراً، في حين أن لكل منها نوره المنبعث من ذاته وليس جزءا من النور.

ـ اعتراض :

كيف يكونون متميزين بالأقانيم ومتحدين بالطبيعة ؟

ـ رد :

نقول : لا توجد براهين تبرهن على حقيقة الله. ولكننا نقول بشكل بسيط: هوذا قرص الشمس ونورها متميزة عن بعضها ومتحدة. وكذلك للنفس والعقل والكلمة وحدة وتميز. وحواس الجسم أيضا هي الأخرى متحدة مع بعضها بالجسد، في حين أنها متميزة عن بعضها بعضا في المواضع وكذلك في العمل، ولا يسبق اتحادها تمييزها ولا تمييزها اتحادها.

ـ اعتراض :

وكيف يكون ثلاثة أقانيم جوهراً واحداً ؟

ـ رد :

نقول : كما أن آدم وشيتاً وحواء ثلاثة أقانيم وجوهر واحد، وحواء وشيت كلاهما من آدم، كذلك الابن والروح من الآب. وكما أن الآب غير مولود، والابن مولود، والروح منبثق، كذلك آدم لم يولد، وشيت وُلد، وحواء انبثقت من آدم، وهم واحد بالطبيعة، وإن اختلفوا بالخواص، وتميزوا بالأقانيم، ولكنهم بالطبيعة متساوون.

كمصابيح ثلاثة وضعت في البيت ولها نور واحد ولكل منها نورها الخاص المستقل، رغم أنها متحدة ببعضها، وعندما يبعد أحدها، يبعد معه نوره كله. علماً بأن التشبيه لا يتطابق في كل شيء.

ـ اعتراض :

إذا كانت الألوهة ثلاثة أقانيم وليس واحداً فيشترط فيها الانقسام.

ـ رد :

ولئن كان ثلاثة أقانيم، فالنار أيضاً ترى ثلاث قوى ولا تنقسم : الاستنارة والإحمرار والحرارة، تدفئ وتحرق وتنير. ويتركز قوامها على هذه الخواص الثلاث المختلفة، الواحدة باسم الرب " **واجتاز الرب أمام الرب** " (١) ، أي رب اجتاز أمام الرب ؟ ، وأي رب تكلم باسم الرب ؟. فالظاهر إذن أنه تراءى وتكلم في الابن. أني أصمت عما قيل، بلسان الله لجميع إسرائيل : " **اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد** " (٢) ، ولم تقل مرة واحدة بل ثلاث مرات لذلك الرب الإله الواحد بالطبيعة.. وتلك التي رتلها داود العظيم : " **يباركنا الله إلهنا، ويباركنا الله** " (٣) ، وما ورد في سفر الملوك إذ قال الله لايليا : " **اخرج وقف على الجبل أمام الرب، وإذا بالرب عابر وريحٌ عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسّرت الصخور أمام الرب** " (٤).

١- انظر خروج ٣٤: ٦
٢- تثنية ٦: ٤
٣- مزمور ٦٧: ٦ و ٧
٤- الملوك الاول ١٩: ١١

وقول أشعياء : " **قدوس قدوس قدوس رب الجنود** "[١]، وما ورد في دانيال : " **لك يقولون يا نبوخذنصر الملك إنَّ المُلكَ قد زال عنك** "[٢]، ولم يقل لك أقول وإنما لك يقولون، وغيرها كثير التي تدل على أن الله واحد يسجد بثلاثة أقانيم .

ـ وأيضاً مكتوب بالنبي عن **الآب** : " **هو يدعوني الآب** "[٣].

ـ عن **الابن** : مكتوب في المزامير : " **بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه**.. الخ "[٤]، و " **الرب قال لي أنت ابني** "[٥]، و " **قدام الشمس يمتد اسمه**.. الخ "[٦]، " **في زينَةٍ مقدسةٍ مِن رَحِمِ الفَجرِ لك طَلٌّ حَداثَـتِكَ** "[٧].

يتضح جلياً أن الابن هو ابن بالطبيعة لله الآب، إذ قال من بطن الله ولد الله، من بمقدوره أن يكون في بطن الله سوى ابن طبيعته.

ـ وقال أشعياء: " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً "[٨].

ـ وداود : " إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة في السموات "[٩].

ـ وسليمان : " فإني كنت ابناً لأبي مطيعاً "[١٠].

ـ وأيضاً : " من صرّ المياه بثوب، وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض، ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت "[١١].

ـ وأيضاً : " لما ثبت السموات كنت هنا أنا "[١٢].

ـ عن **الروح القدس** : قال ـ **ميخا النبي : " لا يلحقكم العار الذي قيل على بيت يعقوب الذين أغضبوا روح الرب بأعمالهم "**[١٣].

١- أشعياء ٦: ٣ ٢- دانيال ٤: ٣١
٣- مزمور ٨٩: ٢٦ والنص العربي "هو يدعوني أبي انت". ٤- مزمور ٣٣: ٦
٥- مزمور ٢: ٧ ٦- مزمور ٧٢: ١٧ ٧- مزمور ١١٠: ٣
٨- أشعياء ٩: ٦ ٩- مزمور ١١٩: ٨٩ ١٠- أمثال ٤: ٣
١١- أمثال ٣٠: ٤ وأشعياء ٤٠: ١٢ ١٢- أمثال ٨: ٢٧ ١٣- انظر ميخا ١: ٣-٦و ٣: ٨

- أشعياء : " **ولكنهم تمرّدوا وأحزنوا روح قدسه** " الرب الإله وابنه وروحه [١].
- أيوب : " **نفخة الله في أنفي** " [٢].
- داود : " **روحك القدوس لا تنزعه مني** " [٣].
- موسى : " **وروح الله يَرِفُّ على وجه المياه** " [٤].

وآيات كثيرة كهذه مكتوبة في أسفار الأنبياء عن الابن والروح وعن الثالوث الأقدس، تدل على أن الله واحد الذي يسجد له بثلاثة أقانيم، وبالحق والقداسة نعترف بكل واحد منهم، كما سبق فأوضحنا وبرهنّا بما فيه الكفاية.

فإذا وجد إنسان ما بعد ذلك ظالمٌ كثيراً فأنه يظلم الطبيعة والكتاب ويتجرأ على الحق القوي والسني. وإذ يرفض هذا فإنه يكون يجدّف على حياته الأبدية : فلا تتعجب منه، أيا محب الحق. فالعسل يحال مرّاً للمعلولين بالسم، وأن الحق بالنسبة إلى مرضى الحقد والشهوة يبدو، كما تبدو الأرض في دورانها للمعتوهين، وكما تبدو الشمس نيرة في غيابها لضعيفي البصر، فمثل هؤلاء يسميهم الرب خنازير نظراً لحقدهم، وكلاباً نظراً لشهوتهم، وأوصى بأن لا تلقى لهم الأقداس، ولا تطرح لهم جواهر التعاليم النقية، وتعاليمنا المسيحية الزاهرة، وخاصة إن لم يذعنوا في المرة الأولى والثانية، وأن من يعمل على انحراف الآخرين عن الحق، يستحق أن يبعد عن البشر كالقول الرسولي.

هنا ينتهي الموضوع الأول للبحث اللاهوتي هذا، عن الثالوث الأقدس. وإذا أطال الرب حياتي سنتكلم بنفس الأسلوب باختصار في الموضوع الثاني الذي يليه والذي يدور حول تجسد الكلمة أحد الثالوث.

وأنت أيها الأخ الأمين والحريص على ما روي، كلما تأملت بها أرفع الصلاة من أجل الجاهل يعقوب الذي تعب وجمع بحسب قدرته، وعلى والديه لكي يستحق الصفح عن الخطايا وغفران الذنوب آمين.

١- أشعياء ٦٣: ١٠
٢- أيوب ٢٧: ٣
٣- مزمور ٥١: ١٢
٤- تكوين ١: ٢

المقـال الثانـي

انتهى المقال الأول من كتاب : **الكنوز** في علم لاهوت الثالوث الأقدس وكان في ثلاثة عشر فصلاً [1].

اللهم برحمتك اغفر ليعقوب الخاطئ الذي ألّف وكتب : ما ارتكب من الخطايا.

نبدأ أيضاً بعونه تعالى بالمقال الثاني من كتاب : **الكنوز**، الذي جمعه الضعيف يعقوب وهو في : تجسد الكلمة أحد الثالوث الأقدس، بعد أن أنهينا كلامنا بإيجاز عن علم لاهوت الثالوث الأقدس حيث برهنّا على وجود الله وكونه واحداً، وكيف يجب أن نعترف بأنه ثلاثة أقانيم، كما دحضنا اعتراضات الوثنيين واليهود وتساؤلاتهم التي احتجّوا بها علينا، ننتقل بعون الله المرشد الهادي إلى الحديث في هذا الركن أي المقال الثاني، لهذا البحث الموسوم بالكنوز، فنتحدث باختصار وعلى قدر الامكان، في اللاهوت متناولين تجسد الكلمة أحد الثالوث. وسنفنّد أيضاً احتجاجات الهراطقة والوثنيين واعتراضاتهم التي يوجهونها إلينا، مبينين كيف يجب أن نؤمن بالكلمة الذي اتحد بالجسد، وسنتناول بالحديث في بداية مقالنا هذا، الهراطقة الذين ضلّوا عن الحق وأضلّوا الكثيرين أيضاً، حيث بيّنا اعتقاد كل منهم باختصار، وبماذا ضلّت إرادتهم الشريرة، فقادتهم إلى هذه (الهرطقة)، وإذ أرادوا أن يصطادوا لهم مجداً زائلا، فقدوا ذلك المجد الخالد.

١- الصواب أحد عشر فصلاً.

الفصل الأول

انشقاق الهراطقة

يجب أن نعلم بأنه قد ظهرت هرطقات كثيرة في العالم منذ وجود الخليقة وحتى الآن : أولاً **الهمجية** التي نشأت من ذاتها منذ زمن آدم وحتى نوح وبعدها [illegible] ثم **الوثنية** مباشرة في زمن سروج، وهذه انقسمت إلى **بدع** كثيرة. لذلك وجدت هرطقات كثيرة بين الوثنيين، تلك التي لا مجال للكلام عنها الآن. وبعد ذلك جاءت **اليهودية** في عهد موسى والتي انبثقت منها سبع هرطقات حتى مجيء المسيح وإعلان الثالوث الأقدس، كما ظهرت في زمن الرسل القديسين هرطقات كثيرة أيضاً كالسيمونية وغيرها. لذلك سيدور حديثنا عن الشهيرة منها فقط وبإيجاز.

والنطينوس :

يرفض الوالنطينيون الجسد وقيامته، كما ينبذون العهد القديم وأسفار الأنبياء، ويسلمون فقط بما يجدونه مشابهاً بشكل من الأشكال لهرطقاتهم ويقبلونه، ويدخلون أموراً أخرى كالتكلم بأمثال ورؤى أيضاً، زاعمين بوجود ثلاثين عالماً ويدعونها بأسماء الذكور والإناث ويعتبرونها آلهة أيضاً ولدت سوية من أبي الكل، وزعموا أن المسيح جاء بجسده من السماء واجتاز في مريم كما في مئزاب.

المرقيانيون :

يعتقد مرقيان بثلاثة مبادئ : الصالح والعادل والشرير، وأن العهد القديم غريب عن الجديد ولم يوحَ بأسفارهما آله واحد، وانكر قيامة

الأجساد وعلم بإعادة المعمودية مرات عديدة بحسب ما يرتكبه الإنسان من آثام.

الديصانيون :

تورط برديصان في أضاليل والنطينوس وزاد عليها أمورا أخرى.

السابيليون :

زعم سابيليوس أن أقنوم الآب والابن والروح واحد، إنما اختلفوا بأسماء ثلاثة فقط.

بولس السميساطي :

زعم أن المسيح بدون كيان ولا قوام لا أكثر ولا أقل، له بداية اكتسبها بكلمة غير أقنومية وانما بصدود كما من الفم.

المانويون :

زعم ماني بوجود مبدأين أزليين : الخير والشر، وزعموا أن المسيح تألم بنوع خيالي، وأنه ولد وظهر في العالم بالوهم والخيال.

الابوليناريون :

زعموا أن جسد فادينا كان بلا نفس وبدون عقل.

النساطرة :

يقول نسطور أن الله الكلمة اتخذ ناسوتاً بدلا من القول : أنه تأنّس قائلاً : أن الذي اتخذه هو آخر، وآخر الذي أُخذ منه، وقال بطبيعتين وأقنومين للذي تجسد، وأن الله الكلمة هو ابن الله بالطبيعة، أما الناسوت الذي اتخذه فابن بالنعمة بسبب الاتحاد بالكلمة الذي اتخذه.

الأوطاخيون :

تجرأ أوطاخي على القول بأن جسد ربنا ليس ابن طبيعتنا، ولكن الله الكلمة خلق له جسداً في أحشاء مريم واتحد معه طبيعياً كما حسن له.

الخلقيدونيون :

يعترف هؤلاء بابن واحد وأقنوم واحد بطبيعتين غير منفصلتين.

آريوس :

زعم أن ابن الله مخلوق.

أنوميوس :

زعم هذا أن الكلمة اتخذ من مريم جسداً فقط بينما لم يتخذ نفساً، قائلاً بأن اللاهوت حلّ محل النفس.

السفسطائيون :

لقد خبط هؤلاء بقولهم أن ما اجتمع باتحاد متغير، هو كمزج الخمر والماء.

دومينا :

زعم هذا أن الجوهر الإلهي شيء آخر خارج الآب والابن والروح القدس، ولا وجود للأبوة والبنوة والانبثاق.

اليوليانيون :

أنكر هؤلاء آلام مخلصنا الطبيعية وغير المشينة قائلين : أن جسد ربنا صار غير متألم بسبب الاتحاد.

الهاجريون :

هؤلاء يعترفون بإله واحد خالق وسيد الكل، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفء، ويقولون بأن التوراة والإنجيل والأنبياء موحى بها من الله، ويقبلونها إلاّ أنهم لا يسلمون بها كلياً. ويعتقدون أن المسيح هو حقاً الشخص الذي تنبأ الأنبياء عنه إلاّ أنه كان إنساناً بسيطاً وباراً كأحد الأنبياء وليس ابناً لله، ويدعونه كلمة الله وروحه، أي أنه كان بكلمة الله من دون زواج، ويقولون إن المسيح لم يصلب ولم يمت بل شُبِّه لليهود كأنهم صلبوه واختفى عنهم، ويؤمنون بالقيامة والدينونة وجزاء الحسنات والسيئات، ويقولون أن لهم في الجنة مأكلاً ومشرباً وزواجاً، مع أمور أخرى كثيرة.

هذا باختصار بقدر الامكان عن الهرطقات وليس عن كلها بل الشهيرة منها.

الفصل الثاني

بيان الإيمان الصحيح بالمسيح
وكيف يجب أن نقر بأن المسيح هو الحق

نعترف بأن الله الكلمة أحد الثالوث الأقدس غير متألم وغير مائت في طبيعته، اتحد بجسدنا الطبيعي المتألم والمائت وبه اقتبل إرادياً وعوضاً عنّا الآلام الطبيعية التي لا شائبة فيها، فالآلام الإرادية بالنسبة إلى اللاهوت، والطبيعية بالنسبة إلى الناسوت، فلا الإرادة تضرّرت بسبب الطبيعة، ولا الطبيعة تضرّرت بسبب الإرادة، فلا تتصور بالإرادة خيالاً، ولا في الطبيعة إرغاماً، ولا يفترض كثرة الخواص أو إقحام الطبيعتين،

لأن الذي فعل واحتمل هو واحد، الإله المتأنس الذي أظهر لاهوته بالإرادة وناسوته بالطبيعة، وإرادته بالطبيعة دون إكراه، له المجد إلى الأبد.

الفصل الثالث

بيان سبب تجسد الابن لا الآب والروح

نقول : لكي لا تفسد خواص الأقانيم، فالآب والد، والابن مولود، والروح منبثق، فالابن الذي خاصيته التولد هو الذي تجسّد، ثم أن الكلمة ولد من الآب كما تلد كلمتنا من العقل، ومثلما ترتسم كلمتنا وتتجسّد على القرطاس لا العقل الذي تفوّه بها، ولا الروح الذي صدرت منه، هكذا تجسد الكلمة لا العقل (المتمثل) بالآب ولا الروح الذي ينبثق من الآب.

الفصل الرابع

يبيّن أن الذي حلّ في العذراء هو كلمة الله لا إرادته

قال يوحنا : " **والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا** " [١]، وقال بولس أيضاً : " **أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة** " [٢]، وكذلك (قال) عن ابنه أنه " **ولد بالجسد** " [٣]، وبقوله ولد بالجسد بين أنّ له ولادة ثانية أزلية، وقال جبرائيل (الملاك) لمريم : " **أن قوة العلي تظللكِ** " [٤] أي الكلمة الله، فليخجلن إذن الذين يقولون إن إرادته فقط حلّت في العذراء.

١- يوحنا ١: ١٤ ٢- غلاطية ٤: ٤

٣- انظر تيموثاوس الاولى ٣: ١٦ " عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد ".

٤- لوقا ١: ٣٤

الفصل الخامس

يبحث عن الصيغة التي يعبر بها الكتاب عن نزول الكلمة الله وحلوله في العذراء وكيفية إرسال الله ابنه

نقول : ليس كمن ينتقل من مكان إلى مكان أو يترك موضعا ويحلّ في آخر، لأن ذلك من خصائص الأجسام والأمور المحدودة، ولكن الذي كان خفياً ظهر بالجسد، وصار منظوراً من كان غير منظور، وكما يهبط شعاع على الأرض في حين لم يفرغ منه قرصه، وكما ينطلق العقل متفقدا أماكن بعيدة في حين لم ينتقل أو يزول من الإنسان، وكما ترسل الكلمة في رسالة بعيداً ولم تنتقل أو تزول من الإنسان الذي كتبها، وكما يحلّ الروح القدس على القرابين (الموضوعة) التي على المذابح في كل مكان ولم ينفصل، هكذا نزل ابن الله من السماء إلى الأرض في حين لم ينفصل عن أبيه، إنّ لفظة " **أينَ** " تقع على الأجسام لا على ما ليس بجسم.

الفصل السادس

الهاجريون الذين يقولون : بأن المسيح ليس إلهاً بل إنساناً

نجيبهم قائلين : أن المسيح هو كلمة الله، نعم أعني كلمة الله وروحه، فهل كلمة الله أزلية مع الله وبلا نهاية ؟

فإذا كان الجواب بنعم إذن إله، لأن كل أزلي وبلا بداية يكون إلها، وإذا كان المسيح كلمة الله، وكلمة الله أزلية وبلا بداية فتسمى إلها، فالمسيح إله بالضرورة، وإن قالوا أن كلمة الله ليست أزلية وبلا بداية،

لوجد الله بلا كلمة في حين ما، ومن لم يكن لـه كلمـة فهو صـامت وغير ناطق كأحد الحيوانات، ولكان الإنسان أفضل من اللـه لأن لـه نطقاً، لأن الناطق يفضل على غير الناطق، ولمّا كان ذلك غير ممكن وقوعه إطلاقاً، أي أن يكون الله بلا كلمة، وبما أن المسيح هو كلمة الله، وكلمة اللـه إلـه، فبالضرورة أن يكون المسيح آلهاً لا انساناً بسيطاً.

الفصل السابع

ضد الذين يقولون ان كلمة الله مخلوق ومُبدَع

يقول بعض الهاجريين مع أشياع آريوس : أن كلمة اللـه مخلـوق ومبدَع، ويناقشوننا بقولهم : أن المسيح هو كلمة الله، إلاّ أن كلمة الله هـذه مخلوقة، فيكون المسيح مخلوقاً وليس آلهاً.

نجيبهم : احكموا أيها الباحثون عن القضية المركبة من المغالطـات المتوافقـة ذات المسمى الواحـد، ففـي قضيتهـم الثانيـة اعتـبروا الخـالق والمخلوق مخلوقاً، حيث افترضوا أن كلمة الله مخلوقة وأوجبـوا أن تكون بداية لكلمة اللـه الـذي لا بدايـة لـه، مثـل المخلوقـات، وتتحـد معهـا بالاسم الواحد، فاسمعوا إذن إفحام قضية المغالطين :

قولوا لنا أنتم هل من الضـرورة أن تكـون كلمـة اللـه حيث يكـون الله؟

فإذا كان الجواب بنعم على اعتبار أن اللـه فـوق السموات وتحت الأرض وهو غير محدود أبـداً، فكلمتـه إذن يكـون فـوق السموات وتحت الأرض وغير محدود أبداً، ومن كان في الكل فهو آله غير محـدود وغـير مخلوق، فيكون كلمته إذن إلهاً لا خليقة.

وإذا كان جوابهم : ليس من الضرورة أن يكون كلمة الله حيث يكون هو، لأن كلمته مخلوق ومحدود، يكونون قد أقرّوا هنا بإلهين واحد له كلمة وآخر لا كلمة له، فحيث تكون كلمته يكون إلهاً واحداً ذا كلمة، وحيث لا تكون الكلمة يكون إلهاً آخر لا كلمة له، ويتميز هذا الإله الذي له كلمة عن الذي لا كلمة له، كما يتميز الناطق عن غير الناطق أي الإنسان عن الفرس، ومن هنا فأنهم يقرّون بإلهين متناقضين لبعضهما بعضاً من حيث لا يريدون، فأي منهما يا ترى هو الخالق : الذي له الكلمة أم الذي ليس له؟ وإذا كان الله قد خلق الخليقة بكلمة، فالإله الذي ليس له كلمة لم يخلق الخليقة. وإذا قلتم أن كليهما خلقا الخليقة، هذا بالكلمة وذاك بالصمت، فالخليقة تكون متناقضة كتناقضهم، فالناطق يخلق الناطقين مثله، أما غير الناطق فغير الناطقين، ومن ثم يترتب أن يكون الله الذي خلق البشر والملائكة آخر، والذي خلق الحيوانات غير الناطقة آخر، الأمر الذي لا يمكن حدوثه، وهنا تكونون قد أكّدتم أن كلمة الله هو آله، وحيث أن المسيح هو كلمة الله فهو آله وليس مخلوقاً.

الفصل الثامن

ضد الذين يقولون إن المسيح هو كلمة الله كعمل الله وبيت الله

إنهم يحاولون أن يجعلونا نقول إن المسيح هو كلمة الله مثلما نقول عمل الله وبيت الله، وغيرهما من الأمور التي هي خليقة الله، فبيت الله وعمل الله وبقية مخلوقات الله محدودة ولها مكان معين، وتقع تحت الحواس الخمس كما أنها متناهية وملموسة، ومنها ما هو مركب كبيوت الله ومنها مصنوعة كأعمال الله، فإذا كانت كلمة الله كعمل الله وبيت الله

محدودة وتقع تحت الحواس، فهي محدودة ومحسوسة كبيت الله وعمل الله، فحدّدوا لنا موقع كلمة الله وفي أي مكان توجد، فهي ذات أبعاد ثلاثة، الطول والعرض والعمق، كعمل الله وبيت الله وتقع تحت الحواس. أَرونا أين هي وفي أي مكان توجد، لأن كل من اكتسب أبعاداً ثلاثة هو جسم مركب من العناصر الأربعة ويتطلب أن يكون له صنف معين.

فبيّنوا لنا إذن ما هو صنف كلمة الله من أصناف هذا العالم عدا الأصناف المعروفة، وإن كان ذلك غير مناسب لعدم توفر الحجة فيها، فتكون كلمة الله ليس كبيت الله وعمل الله، بل هي خالقة للبيت والعمل.

✠ الأسباب التي من أجلها تجسد كلمة الله ✠

١- بسبب النعمة والرحمة، لأن الله عادل ورحيم بطبعه، وهو الذي خلق الإنسان بنعمته ورحمته من لا شيء وأتى به إلى الوجود، ولما أخطأ هذا الإنسان واجتاز وصية الله، نزل كلمة الله بنعمته ورحمته وتجسد وخلص الكيان البشري وأحياه وأقامه من بين الاموات.

٢- لأن الله عادل ومستقيم، ولا يقود أحداً من المخلوقات الناطقة بالإكراه، ولكن لما أغوى الشيطان آدم الإنسان (الأول) في الفردوس وانتصر عليه وخذله، تجسد وتأنس كلمة الله وقاتل الشيطان بالطريقة عينها بعدل واستقامة وانتصر عليه وخذله وحكم عليه حكماً عادلاً ومستقيماً وأنقذ الطبيعة البشرية من عبودية الشيطان.

٣- لأن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله الحقيقي، فكان يجب على الله بالذات أن يخلص صورته وينقذ مثاله من أشراك الشيطان المحتال ويسترد صورته الإلهية، فيخلص الله منه صورته ومثاله لكي لا تحتقر وتهان الصورة الإلهية ويزدرى بها عند تخليصها من يد من

هو ليس بآله، لذلك تجسد الله الكلمة بذاته وولد من امرأة وتألم ومات وقام وخلص صورته.

٤- بما أن الإنسان كان خلقة الله ولا يوجد خالق وصانع آخر إلا الله الواحد الحق، فمن أجل ذلك كان عليه أن يخلق الإنسان خليقة جديدة ثانية وذلك لأنه فسد باجتيازه الوصية.

٥- لأن الله حكم عليه بالقضاء العادل وأوجب عليه الذنب وذلك لأن آدم تجاوز على وصية الله بغواية الشيطان اللّدود، ولم يكن بمقدور أحد من الخلائق أن ينقض حكم الله الذي حتمه على آدم نتيجة ذنبه. لذلك كان من الضروري أن يأتي الله ويتجسد ويتألم ويموت وينقض الحكم والقضاء الذي صدر منه على الطبيعة البشرية.

٦- لأن الشيطان كان قويا بمكره، والكيان البشري ضعيفاً بطبعه، ولم يكن باستطاعة الكيان البشري الضعيف أن يتغلب على مكر الشيطان، لذلك جاء كلمة الله وتجسد وتأنس ليتغلب الكيان البشري على الشيطان بكلمة الله الذي صار إنسانا، وبما أن آدم كان يرغب ويتوق أن يكون إلهاً، إلا أن كلمة الله صار إنسانا بنعمته ورحمته، ليصير الإنسان إلها بنعمته، وذلك من خلال صيرورة كلمة الله إنسانا بالاتحاد الطبيعي ولكي يتمم رغبة آدم وإرادته، فيظهر بذلك أن الله صالح وعادل.

الفصل التاسع

يبيّن السبب الذي أوجَبَ أن يتجسد كلمة الله

الله إذن خالق ومبدع الكل، شاء بنعمته أن يصنع الإنسان الذي جبله " **على صورته كمثاله** " [١] أي ليتشبّه به ما أمكن للمخلوق أن يتشبّه

١- انظر سفر التكوين ١: ٢٦

بخالقه، وإذ يستحيل على المخلوق والمصنوع أن يَتَشبّه بخالقه من ذاته، لا سيما وقد فسد بالخطيئة، وتوجّب أن يخلي الله ذاته ويتخذ صورة عبد ويتشبّه بنا ويخالطنا وينير ظلمتنا، ومن أجل أن يتم هذا استوجب أن يمتزج ويختلط خالق الطبيعة بالطبيعة البشرية، وهكذا أتمّ هدفه المنشود الذي كان له في خلقه الإنسان، أي أن يُشَبِّهه به.

الفصل العاشر

سبب مجيء الرب بشخصه لخلاصنا

نقول : أن كل ما ابتدأ من لا شيء، وبدأ يكون شيئاً فهو متغيّر دائماً، وبدؤه متغير أصلاً، فمن الأشياء ما يتغير إلى النقص بصورة مستمرة، ومنها ما يتقدم دائماً ولكن دون فائدة، وبما أن جميع المخلوقات متغيرة، لم يكن ممكناً ولائقاً أن يكون تجديدنا بواسطة متغير، وما كان ممكناً أن نقبل ملكوتاً غير متغير ولا متزعزع ونصير غير متغيرين وغير قابلي الفساد بواسطة متغير وقابل للفساد، ولأجل ذلك كنا بحاجة إلى الله غير المتغير أو المتبدل وغير قابل الفساد ليأتي لخلاصنا وتجديدنا.

وقد جاء بشخصه ولم يُنِط الخلاص بملاك أو رسول، لأنه ما كان ممكناً أن تنقذ البشرية بواسطة كائن مخلوق بل بواسطة خالق الكائنات، وقد سبق وأرسل الأنبياء والصديقين ولم ننتفع شيئاً، فالإناء الزجاجي عند تحطمه لا يصلحه مهندس أو نجار إلاّ صانع الزّجّاج ذاته، هكذا نحن أيضاً لما هلكنا بالخطيئة، لم يكن ممكناً أن يصلحنا آخر إلاّ الله الذي خلقنا، ثم أنه لم يصنع خلاصنا بواسطة رسول لئلا يسجد الضّالون للرسول أو النبي أو الملاك المرسل.

الفصل الحادي عشر

اعتراض الذين يقولون : لماذا أنجز كلمة الله الخلاص لدى تجسده بالألم والموت، لا بسلطان وأمر كما يليق بالله ؟

نقول : أنه عادل، والعادل لا يكره الإنسان على شيء، فهو يستطيع أن يرد كل إنسان بالقوة إلاّ أنه لا يظلم العدالة ولا يقود الحرية بالقوة، وعليه لم يخلص بسلطان بل بكلمة العدالة، ثم أن البشر أخضعوا ذواتهم بأنفسهم للشيطان لأنهم أحرار، فلو كان قد خلصهم بأمر وسلطان لما كان يرى عادلاً، ولكان يظلم الحرية، لكنه (خلّص) بكلمة العدالة كي لا يسمع للشيطان الذي أخضع الإنسان بواسطة شهوة الألوهة أن يحر جواباً، كالذين يبيعون حريتهم بالتمرد ويصيرون عبيدا للذين يشترونهم، لأنهم هم الذين باعوا أنفسهم لا أولئك، وليس بمقدور انسان آخر أن يحررهم إلاّ أن يشتريهم ثانية، ككلمة العدالة، هكذا البشر أيضا باعوا أنفسهم للنمّام وصاروا له عبيدا بإرادتهم، فلم يكن ممكنا أن يأخذهم خالقهم ككلمة العدالة إلاّ إذا اشتراهم ممّن صار سيداً لهم، لذلك منحه الاختيار أن يطلب كل ما يشاء ليأخذ الخلاص عوض ذلك الإنسان الذي كان محكوما عليه، ولأن الشيطان كان مصاباً بحب الرئاسة، لم يشأ أن يبدل ما كان حائزاً عليه إلاّ بما هو أغلى منه، ولأنه رأى المسيح والأعاجيب والأمور العظيمة التي اجترحها، وظن أنه مخلوق لذلك اختاره أن يكون بديلا عن جميع الذين كانوا خاضعين له، فتجرأ عليه جورا لا عدلا لأنه لم يجد فيه خطية تفتح بابا للموت، فسمح الرب الفرصة أمام الشيطان أن يقبض عليه، وإذا ما قبض عليه جورا وظلماً أنقذ منه الجنس البشري كله بعدل وصواب.

الفصل الثاني عشر

سبب عدم مجيء المسيح لخلاصنا من البدء

نقول : بما أن الله هو خالق الطبيعة وصانعها، وعالم بأن الخير بالإرادة أفضل من الذي بالاكراه، لذلك جبل الإنسان وجعله حرّاً لكي يمارس بمحض إرادته الفضيلة التي تناسبه، ولأنه سقط بإرادته إلى ما هو عكس ذلك، لهذا أتى لخلاصنا في آخر الأزمان لكي ينجينا من الخطيئة التي استحوذت علينا، فلو جاء من البدء ومن ثم مرغنا أنفسنا بمثل هذه الشرور، فمن كان قادراً أن يجد لنا خلاصاً ؟ ولكنه كآله سبق فعرف نهاية الشر، فلما ظهر بَشّر بالخلاص، من أجل ذلك قبل الموت بواسطة الصليب من قبل الأشرار ليزيل بيديهِ كثرة الإثم.

ومثلما أن الطفل الذي لا يعطونه من البداية أن يأكل اللحم، حتى يبلغ الكمال، هكذا في الوقت الذي بلغ فيه جنسنا الكمال، جاءه الطبيب الشافي بعد أن فاض مكيال الخطايا، ولم يبقَ صنف من خطايا البشر إلاَّ وظهر، حينئذٍ جاء الطبيب لخلاصنا.

- **اعتراض :** لماذا لا نزال نتعذب بالخطايا وقد نلنا الشفاء ؟
- **رد :** نقول : كما أن الحية التي يسحق رأسها لا تموت حالاً بل يستمر ذنبها متحركاً، كذلك الشر ولئن انتصر عليه ربنا وأبطله بقوة، إلاّ أن رواسبه لا تزال تؤذي العالم.

- **اعتراض :** ولماذا لم يقد البشر إلى الخير عنوةً ؟
- **رد :** نقول : ما كانوا لينتفعوا شيئاً من قانون الغصب، بل لتمادوا بالخطأ أكثر، كإنسانٍ صار عبداً لمن يبغضه بالإكراه، فإن إرادته تكون دائماً ضد إرادة سيده.

- **اعتراض :** لماذا لم يجعل الله الإنسان أن يحب عبوديته بصورة طبيعية ؟

- **رد :** نقول : لو أنه فعل ذلك، لكان قد ظلم الحرية، ولما وُجد حرٌّ أبداً يختار بإرادته ما يريد، لأنه ما كان ليفعل ما يريد بل يعمل تحت تأثير إرادة الله، فتكون الطبيعة والحالة هذه وقد أضحت أسيرة، كالنار التي تحرق الأرض المعشوشبة بإرادتها والشمس التي تدور على معظم المخلوقات الخاضعة للقانون، لا حرية لها ولا فضل ولا أجر على عملها.

الفصل الثالث عشر

قول بعضهم أن جسد كلمة الله : مخلوق وبعضهم الآخر غير مخلوق

نقول : إن الجسد هو غير الألوهة، وأنه أخذ البداية من مريم، وإلاّ فلماذا كانت مريم واسطة لأن يخلق منها غير المخلوق، كما يشهد الإنجيل: " **الكلمة صار جسداً** " [1] ، والرسول (بولس بقوله) : " **أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة** " [2]، صار **جسداً** دون أن يتغير. ولكنه اتحد بجسد مخلوق له نفس عاقلة، ولم يكن جسدا موجودا مسبقا، وإلاَ لما كان هو، ولأن سر التدبير الإلهي فوق الإدراك، وليس لنا أن نقول إلاَ بما هو تحت الإدراك، فلو كان غير مخلوق لألزمنا القول أنه متغيّر ، حاشا. لأن كل متغير يصبح كأنه غير موجود، لأن تغييره أفسد ما كان عليه، ولأن الله لا يتغير كما يشهد على ذلك ما جاء بالنبي القائل : " **أنا هو ولم أتغيَر** "[3].

١- يوحنا ١: ١٤ ٢- غلاطية ٤: ٤ ٣- ملاخي ٣: ٦

اتضح من ذلك إذن أن الجسد مخلوق، وحتى غير المخلوق، فباتحاده مع المخلوق يقال له مخلوق، ويقال مخلوق وغير مخلوق، مخلوق من جهة الجسد، وغير مخلوق من جهة الكلمة، وهكذا نؤمن، برب واحد وابن واحد. وواحد هو الرب يسوع المسيح من اللاهوت ومن الناسوت، وهو بعينه من كليهما مخلوق وغير مخلوق، وهكذا يقال أيضاً غير مخلوق ومخلوق، بالاتحاد نظراً لغير المخلوق، ومخلوق نظراً للخالق. لأن الخالق والمخلوق هو هو في كلا الأمرين بفعل الاتحاد الذي لا يوصف، ويشهد بذلك **اللاهوتي** حيث يقول : " خلق غير المخلوق، ضبط الذي لا يضبط عبر نفسه التي توسطت ما بين اللاهوت وكثافة الجسد "، وقال **مار أفرام** : " إذ رأى الله أننا نسجد للمصنوعات فليس جسداً مصنوعاً ليصطادنا بعادتنا ". وفي هذا الكفاية.

الفصل الرابع عشر

يبين أنواع التركيب، وأنواع الاتحاد وأي نوع نعني بقولنا اتحاد الكلمة بالجسد وكيف يعترف به طبيعة واحدة

نقول : يقال التركيب بستة أنواع كما يبين التقسيم أدناه :

يقال التركيب بستة أنواع :

- + كالعالم المحسوس المركب من جميع العناصر ← انه تركيب عرضي
- + وكالمسيح من اللاهوت والناسوت
- + وكالانسان من النفس والجسد
  - وهذا تركيب طبيعي
- + وكالبهيمة من العناصر الأربعة
- + وكجميع الأجسام من المادة والنوع
  - وهذا تركيب حقيقي
- + وكالملائكة من الطبيعة والقداسة ← وهذا تركيب بالنعمة

أما الاتحاد فهو نوعان :
طبيعي وعرضي، فالطبيعي كالنفس والجسد واللاهوت والناسوت، والعرضي يشمل جميع الأمور الأخرى.
إذا كان إراديا كاتحاد الرجل والمرأة، وبقية الأمور التي ستعرف من هذا التقسيم.

الاتحاد

- + إما طبيعي
  - كطبيعة اللاهوت الواحدة والاقانيم الثلاثة.
  - وكطبيعة المسيح من اللاهوت والناسوت.
  - وكطبيعة الانسان من النفس والجسد.
- + أو إرادي
  - كسلطان وكرامة الرسل = طبيعة سلطوية.
  - كالذي لكلب البحر واليابسة والجبار - نفس الاسم.
- وودي
  - كالذي للمحب ومحبه والمرأة والبيت.
- أو عرضي
  - كالذي للباب والمائدة والبيت.
  - المكونة من أجزاء كثيرة ومختلفة - تابعة.

فالاتحاد إذن يخضع للنوعِ الطبيعي والعرضـي، فـالذي لا يعترف باتحـاد الكلمـة مع جسدنا طبيعياً وأقنومياً، فـلا بد مـن أن يقـر باتحـاد عرضي، فاعلم إذن انه ليس كـل مـن كـان متحـداً بالطبيعـة يكـون متحـداً بالأقنوم، ولكن كل من كان متحداً بالأقنوم يكـون متحـداً بالطبيعـة، كاتحـاد الثالوث بالطبيعـة مثـلاً وليس بالأقـانيم، والإنسـانية كلهـا متحـدة بالطبيعـة ومنفردة بالأقانيم. فكل من كان متحداً بالأقنوم يكون متحداً بالطبيعة أيضـاً، كـالنفس والجسد واللاهـوت، المتحـدة اتحـاداً طبيعيـاً وأقنوميـاً دون تبلبـل وامتزاج واختـلاط. ثـم أن هذيـن النوعيـن مـن الاتحـاد يأتيـان علـى ثلاثـة أجناس :

الأول : اتحاد الأجسام المحسوسة مع بعضها كالخمر والماء.

والآخر : اتحـاد البسـطاء (الأرواح البسيطة) مـع بعضهـم البعـض كالملائكة.

والثالث : اتحاد الأجسام مع اللاجسم كـالنفس مـع الجسـد، والكلمـة التـي تمـزج بـالمداد وتكتتـب علـى القرطـاس، وكشـعاع الشمس الممزوج برقة الهواء، وكـالقوة فـي الجـذور التـي هي الأخرى لا تقبل زيادة.

ومن هذا القبيل نقول عن اتحاد الله الكلمة بالجسـد، دون أن تطـرأ عليه زيادة أو تعدد ولا تبلبـل ولا انقسـام، فـإذا مـا اختلـط مـا ليـس بجسـم بالجسم لا يأتي زيـادة ولا ينتـج تبلبـلاً لعـدم وجـود توافـق، وعليـه فعندمـا يختلط جسم مع ما ليس بجسم فأن الأمـر يكـون معجـزة، وليـس شيئاً يقـع تحت الحـواس أو يتثبت علمياً، كما بيّنا أعلاه.

فإن مفسّمي الأقانيم والطبائع أهملوا النظر إلى نـوع اتحـاد مـا هـو بسيط مع المركب واقتصروا على النظر إلى اتحاد الأجسام فقط، لأن ليس

بمقدور الأجسام أن تتحد دون تبلبل، ولا أن تحتفظ بخواصها. فقد افترضوا أن اتحاد الطبيعة البسيطة مع المركبة هي على هذا النمط ولم يعلموا أو يفقهوا أن اتحاد الأنواع غريبة الجنس هو مخالف لاتحاد الأنواع المساوية في الجنس.

فالأنواع المتساوية في الجنس عند اتحادها تفقد خواصها وتحتمل التبلبل كالخمر والماء، أما الأنواع الغريبة في الجنس فلا تفقد خواصها عند اتحادها لأن الله موحدها، بينما التي تحتمل التبلبل موحدها عرض. وممكن أن يتم اتحاد جسم مع جسم من قبل البشر، أما اتحاد الأجسام مع الأمور البسيطة، فلا يمكن أن يتم إلاّ من قبل الخالق فقط كاتحاد النفس والجسد، وهكذا عندما نقول عن المسيح طبيعة واحدة بعد الاتحاد لا نعني أنها كانت اثنتين قبل الاتحاد ثم صارتا واحدة بعد اتحاد الكلمة بالجسد، وفي هذا الاتحاد (صار) الكلمة جسداً دون اختلاف، وفيه اكتسب قواماً كما يكتسب النحاس شكلاً. فقبل الاتحاد كان بسيطاً، وبعد الاتحاد مركباً وليس اثنين لا قبل الاتحاد ولا بعد الاتحاد. فقبل الاتحاد إذن واحد بسيط، وبعد الاتحاد واحد مركب، نقول واحداً لا قياساً مع الاثنين بل واحداً مركبا قياساً للواحد البسيط، فالمسيح إذن طبيعة واحدة بالضرورة وليس اثنتين، وإذا اعتبرنا للإنسان طبيعتين، النفس والجسد، فيكون المسيح والحالة هذه ثلاث طبائع لا طبيعتين، أعني النفس والجسد واللاهوت.

ولكن قولهم هذا ليس صحيحاً، فليس كل ما يخضع لتركيب ما واتحاد، يخضع للعدد والتقسيم، ولكننا بالعقل نبصر اختلاف الأعمال في المركب، فاتحاد المركب لا يترك مجالاً لقوة العدد أن تؤثر على ما تكوّن منه لكي لا يفسد المركب ذاته، فالجسم يتكون من الخط والامتداد والسمك، والجسد من العناصر الأربعة، وإنسان واحد من الجسد والنفس، ومسيح واحد من اللاهوت والناسوت، فالعدد منفصل ويقع على الأفعال المنفصلة، أما الأفعال التي خضعت للتركيب والتكوين فلا مكان فيها لعدد منقسم،

ولئن كان قد ثبت هذا الإجراء من كثرة الأنواع المختلفة ثنائية الجنس في التقسيم، فالتقسيم إذن معطل للاتحاد.

الفصل الخامس عشر

يبيّن أن المسيح طبيعة واحدة مركبة

يمكن البرهنة باختصار على أن المسيح طبيعة واحدة مركبة كما يلي : أن المسيح موجود من ذاته، ومن كان موجوداً من ذاته فهو طبيعة واحدة، إما بسيطة أو مركبة، فالمسيح إذن هو طبيعة واحدة. ومن المعلوم أنه مركب وإلاّ فليتفضّل أي إنسان ويبرهن على وجود شيء واحد موجود من ذاته، سواء كان بسيطاً أو مركباً، بأنه ليس طبيعة واحدة. فالإنسان الذي هو مركب يُعتَرَف بأنه طبيعة واحدة، والنفس التي هي بسيطة يُعتَرف بأنها طبيعة واحدة أيضاً. ثم أن كل شيء يعمل ويؤثر، فإما أن يعمل ويؤثر مع آخر أو لمفرده، فالذي يعمل ويؤثر سواء كان بسيطاً أو مركباً فأنه طبيعة واحدة، وإلاّ فليدلّل أي إنسان على وجود شيء من الأمور البسيطة أو المركبة يعمل ويؤثر كشيء واحد وليس طبيعة واحدة.

فالمسيح إذن إما أن يعمل ويؤثر سوية، أو ليس كشيء واحد، وبالتالي لا يكون يعمل ويؤثر كابن واحد، ولا كمسيح واحد، ولا كرب واحد، ولا كإله واحد، أما لو كان يعمل ويؤثر كواحد، فكل من يعمل ويؤثر كواحد هو طبيعة واحدة، والمسيح يعمل ويؤثر كواحد، فالمسيح إذن هو طبيعة واحدة.

اتضح من ذلك إذن أن المسيح طبيعة واحدة مركبة، ثم أن المسيح كلٌّ مركب من أجزاء، وكل ما هو كل هو طبيعة واحدة، فواضح إذن أن المسيح هو طبيعة واحدة مركبة.

الفصل السادس عشر

يبرهن على أن المسيح ليس طبيعتين

لا يُقال عن المسيح انه يختلف عن بعضهما، ولكن يُقال للطبيعتين إنهما مختلفتان عن بعضهما، فالمسيح إذن ليس طبيعتين. ولا يُقال عن مركب واحد أنه " مركبون "، ولكن يُقال لطبيعتي اللاهوت والناسوت اللتين تركب منهما المسيح، تركّبتا، ولا يوجد مركب واحد هو طبيعتا لاهوت وناسوت اللّتان تركب منهما المسيح. فتبين إذن أنه لا يوجد ولا مركب واحد ذو طبيعتين، أي طبيعة اللاهوت والناسوت اللتين (تركب) منهما المسيح. فلو أن المسيح لم يتركب من هاتين الطبيعتين، فلا يمكن أن يكون قد تركب من طبيعتين أخريين ؟

فكل طبيعتين تركبتا، والتي منها الواحد المركب تُقال للمركب، ولا يُقال واحد مركب للمركب أنه طبيعتان مركبتان واللتين منهما كان المركب، فلو لم يتركب المسيح من هاتين الطبيعتين اللتين تركبتا، لا يمكن أن تكون هناك طبيعتان أخريان. فلو وجد من طبيعتين أخريين، لكان طبيعتين من غير طبيعتي اللاهوت والناسوت، أو ربّما لاهوت وناسوت آخر عدا اللتين تركب منهما، ولكان تبين أنه لم يتركب منهما، وهذا أمر ظاهر، إذا ما اعتبرت المركب وما تركب منها كشيء نهائي تام، وإذا قيل عن الكل والأجزاء كلاً، فلا يوجد شيء من الضد هو ضده، لأجل هذا لا للشمال يمينه، ولا للآب ابنه، ولا للكل أجزاؤه، ولا للكمال وما يتكامل به، ولا للمركب وما تركّب، فليس المسيح إذن طبيعتين اللتين هما أجزاؤه، أو التي جاءت لتركيبه أو التي يتكامل بها، فإذا كان ليس الأمور التي جاءت لإتمامه أو لتركيبه أو أجزائه، فليس هو طبيعتين مطلقا.

ولذلك ففي الرسالة إلى ايليا النسطوري مطران الجزيرة جواباً لسؤال في رسالته والرهبان الذين بمعيته من رهبان دير مار ميخائيل الواقع على نهر دجلة، كتبنا الكثير في هذا الفرض. يكفي ما أوردناه بالنسبة إلى الموضوع، ولنعد قليلاً إلى اسئلتهم واعتراضاتهم ونفنّدها.

الفصل السابع عشر

ـ اعتراض :

يعترضون بقولهم : إن لم تقولوا بطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد فأنكم تفسدون طبيعتي المسيح، فإما أنهما ثابتتان أو غير ثابتتين، فإن كانتا ثابتتين فاعترفوا بما هو ثابت بعد الاتحاد، وإن لم تكونا ثابتتين فقد فسدتا.

ـ رد :

نرد عليهم بنفس الأسلوب فنقول :إن قلتم أقنومين بعد الاتحاد تسببون فساداً للأقنومين اللذين قال عنهما القديس قورلس إن المسيح منهما، فإما أن يكونا ثابتين أو غير ثابتين، فإن كانا ثابتين فاعترفوا بما هو واقع بعد الاتحاد، وإن لم يكونا ثابتين فقد فسدا.

لقد أقرّ قورلس بثبات الأقانيم، ولكن لا يعتقد بكونهما الأقانيم بعد الاتحاد، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الطبائع التي يعترف بثباتها بعد الاتحاد أيضاً. هكذا نقول أيضاً عن الاتحاد، إما أنه ثابت أو غير ثابت، فإن كان ثابتاً، فقل اتحاداً بعد اتحاد، وإن لم يكن ثابتاً فقد فسد، هذه الأمور ذاتها نقولها لهم.

وإذا قالوا يجب أن نقول إن الطبيعتين قائمتان نقول أولاً ما هو الاختلاف ما بين تلك التي قبل الاتحاد أو تلك التي بعد الاتحاد.

يجب أن نميز أولاً ما الذي نفهمه من تلك التي بعد الاتحاد، تعني أموراً كثيرة تلك التي بعد الاتحاد وكذلك تلك التي قبل الاتحاد، فحيثما

يوجد أول وأخير، يقال هناك قبل وبعد، يقال أول وأخير، إما بالنسبة إلى الزمان أو الطبيعة أو العلة أو الترتيب أو العدد :

- فبالنسبة إلى **الزمان** : كقولنا إن حرب الآشوريين سابقة لحرب البابليين.
- وبالنسبة إلى **الطبيعة** : كالذي يَدخل مع آخر ولا يدع آخر يدخل معه، ويزيل الآخر ولا يخضع للزوال، مثال لذلك : أن صنف الجنس يذكر أولاً، يدخل مع النوع ولا يدخل النوع معه. فحيثما يوجد إنسان، توجد حياة، ولكن ليس من الضروري وجود إنسان حيث توجد حياة، كما يزيل النوع ولا يزيله النوع، فحيث لا حياة لا إنسان، وحيث لا إنسان فليس بالضرورة انعدام حياة.
- في **العلة** : كالأب الذي يسبق الابن والشمس بالنسبة إلى شعاعها.
- في **الترتيب** : كالملك الذي يتقدم زعماءهُ.
- في **العدد** : كواحد واثنين وثلاثة.

إن عبارة ما بعد وما قبل تدل على أمور كثيرة، فمتى نقول بعد الاتحاد يأتي الكمال، لا نعني الزمان بقولنا ما بعد وما قبل، بحيث يسبق الاتحاد من حيث الزمان ومن ثم يحصل الكمال، فإذا قلنا بهذا نكون قد اعترفنا بوجود الاتحاد دون أن يكون هناك كمال بسبب الاتحاد. وهذا مستحيل.

فمن المعلوم إذن، أننا لا نقول عبارة بعد الاتحاد، بالنسبة إلى الزمان، بل إلى العلة، فعلة الكمال هي الاتحاد، وهكذا الأمر إذن بالنسبة إلى الطبيعتين بعد الاتحاد كما تقولون.

فإن قلتم ذلك بالنسبة إلى الزمان لأمكن وجود اتحاد في الوقت الذي لم تكن فيه الطبيعتان اللتان تم بهما الاتحاد، كما ولا تُقال طبيعتان بعد الاتحاد بالنسبة إلى العلة أيضاً، فالاتحاد ليس علة لوجود طبيعتين، وإلاّ لوجد اتحاد حيثما وجدت طبيعتان. ومتى نقول أن الاتحاد تم من طبيعتين، فالاتحاد ليس علة لوجود الطبيعتين، حتى ولا يُقال طبيعتين بعد الاتحاد بصورة طبيعية. وحيث أنه لا ضرورة من وجود الجنس حيث يوجد النوع، كذلك أيضاً فحيثما وجدت طبيعتان وجد اتحاد، ووجد اتحاد عام، فالطبيعتان إذن هما أجزاء.

كما لا تجوز طبيعتان بالنسبة إلى الترتيب بعد الاتحاد، وإلاّ لبطل القول بأن الاتحاد بالنسبة إلى الزمان يسبق الأزلية، ولكان الاتحاد وهو ضمن الزمان.

وبالنسبة إلى العدد أيضاً، فيقال إذ ذاك أول وأخير، حينما نعد واحد، اثنين، ثلاثة والخ.. وهنا لا نعد عدّاً، وبذلك لا يجوز أن نعد الاتحاد قبل الطبيعتين، فلا يجب أن نقول بأي شكل من الأشكال طبيعتين بعد الاتحاد، فالاتحاد هو وحدة الطبيعتين اللتين اتحدتا، إذن فالاتحاد يتكون من جنس الشيء، والطبيعتان اللتان اتحدتا، هما موجودتان سوية في شيء ما، ولم تسبق إحداهما الأخرى في الزمان. فلا الأب سابق في الزمان ولا اليمين سابقة للشمال، فلا يجوز أن يُقال عن الطبيعتين اللتين اتحدتا، إنهما موجودتان بعد الاتحاد بالنسبة إلى الزمان، ولا بالنسبة إلى العلة أو الطبيعة أو الترتيب أو العدد كما بيّنا أعلاه.

كل شيء يُقال بعد شيء آخر، يكون ذلك الشيء الآخر قد سبقه، فان لم يُقل إنه قبله، لا يقال لذلك الآخر أنه بعده. فلو كانت طبيعتان بعد الاتحاد، لتوجب أن يكون الاتحاد قبل الطبيعتين، ولكن الاتحاد لم يسبق

الطبيعتين في الزمان، وإلاّ لما كان يوجد اتحاد، حيث لا يوجد ما يبرّر الاتحاد، وكذلك ليس الاتحاد قبل الطبيعتين بالنسبة إلى العلة، ولا طبيعتان بعد الاتحاد. فيوجد ما يتحد اتحادا كاملاً، ونحن نفتكر بهذه قبل كل شيء، ومن ثم بالاتحاد، وبعد ذلك الكمال.

وكما لا يجوز أن نقول " **كمالاً** " قبل الاتحاد، أو قبل الطبيعتين، كذلك لا طبيعتان بعد الكمال أو بعد الاتحاد، فالاتحاد يتوسط الطبيعتين والكمال، ثلاثة هي التي يتكون منها المسيح، ويُقال عن الاتحاد والكمال اللذين منهما المسيح بأنهما مختلفان عن بعضهما، بينما لا يُقال عن الكمالات بأنها مختلفة عن بعضها، فالاختلاف يقع على الأمور المختلفة عن بعضها وليس عن الأمور التي لا تختلف، فاختلاف الكمال إذن ليس بشيء لأنه ليس كمالاً، كما ولا يُقال اختلاف بعد الاتحاد.

الفصل الثامن عشر

يبين ماهية الآلام الحقيقية وما هو عمل الطبيعة

يوصف الألم بالضبط بأنه ميل الإرادة نحو الشر، أما اختلاف الطبيعة فيوصف على الأكثر بأنه عمل وليس ألما.

وليس الموت شرا كما يتوهم محبو الجسد بل علاج. فقد سلك مخلصنا سلوكاً طبيعياً، أي بالولادة والنمو التدريجي المعتمد على الغذاء والألم والموت، فقد أتمّ عملا وليس ألما، أن الألم هو شر حقا كما يقولون، وليس حركة الطبيعة.

فإذا قلنا إن محيينا مال إلى الشر فهذا تعليم باطل، أما إذا قلنا إن محيينا مال إلى الطبيعة، فقد انحرفت كلمتنا عن التفكير اللائق بالله، فميلاده بعيد عن الشهوة بُعد الفرح عن الحزن. وإذا اعتبر إنسان انفصال النفس عن الجسد ألماً، لتوجب أولاً أن يدعو مسيرة كليهما ألماً، فإذا كان انفصال المتحدين ألماً، فإن ما يتبع ذلك يكون ألماً، فإذا لم تكن الحركة الأولى أي الولادة ألماً، فلا تسمى الحركة الثانية أي الموت ألماً، فقد خضع مخلصنا لكليهما، اقتبل الموت في حين لم ينفصل اللاهوت عن الجسد.

فالاتحاد الذي لا يوصف غير منحل، وإنما فصل النفس عن الجسد زمناً يسيراً، ولهذا جدّد ووحّد جسده بقوته، فشمل هذا الاتحاد بالقوة كل الطبيعة البشرية.

الفصل التاسع عشر

ماهية آلام الطبيعة البشرية
وبأي منها شارك الوحيد، ولماذا اشترك بالآلام ؟

تأتي آلام (أو شهوات) الطبيعة البشرية على ثلاثة أنواع :

+ طبيعية واضطرارية و غير مشينة ـــ كالجوع و العطش و التعب و النوم.
+ طبيعية ارادية و غير اضطرارية و غير مشينة ـــ كمن يريد أن يتزوج لينجب الأولاد.
+ طبيعية و غير طبيعية و غير اضطرارية ومشينة ـــ كالذي يزني ويسكر ويغضب.

آلام الطبيعة البشرية

+ ومنها للنفس التي تتصرف بحسب الجسد
  - في الحزن
  - في الغم
  - في الفكر
  - وبقية الأمور التي تشبهها
+ ومنها للجسد و النفس
  - عندما يتعب
  - عندما يتوجع
  - عندما يجوع
  - عندما يعطش ويشرب سوية
+ منها للجسد فقط
  - عندما يتقطع
  - عندما ينقص
  - عندما ينحل

فمن هذه الآلام (أو الشهوات) ما هي طبيعية وضرورية للحياة، أما الناتجة عن الإرادة الشريرة : فهي تأتي بسبب كبرياء العالم وقلة تجربة الفضيلة. لقد احتمل الرب يسوع الآلام الطبيعية لتاكيد تجسده الحقيقي والإلهي وغير الخيالي، لقد طرد جميع الآلام الرديئة التي تدنس نقاوة حياتنا كتلك التي لا تليق باللاهوت، ولهذا السبب قيل " **كان في شبه جسد الخطيئة** " [١]، فاتخذ إذن جسدنا بكل آلامه الطبيعية، ولم يقترف خطية، ولكي يتحقق موته الجسدي ابتلع باللاهوت. هكذا الخطية أيضاً ابتلعت البر الذي بيسوع المسيح، لكي نستعيده نحن في القيامة دون أن يخضع للموت أو للخطيئة، لقد نسب إليه كلمة الله لدى تجسده، آلام الجسد الحي والنفس الطبيعية وغير المشينة، وما اجتمع من كليهما من أجل الاتحاد الحقيقي، وإحدى هذه القوى والآلام هي من أجل مساواة كليهما، ومن أجل انفصالهما عن بعضهما أيضاً أي النفس والجسد، كما نسب قوى للعقل :

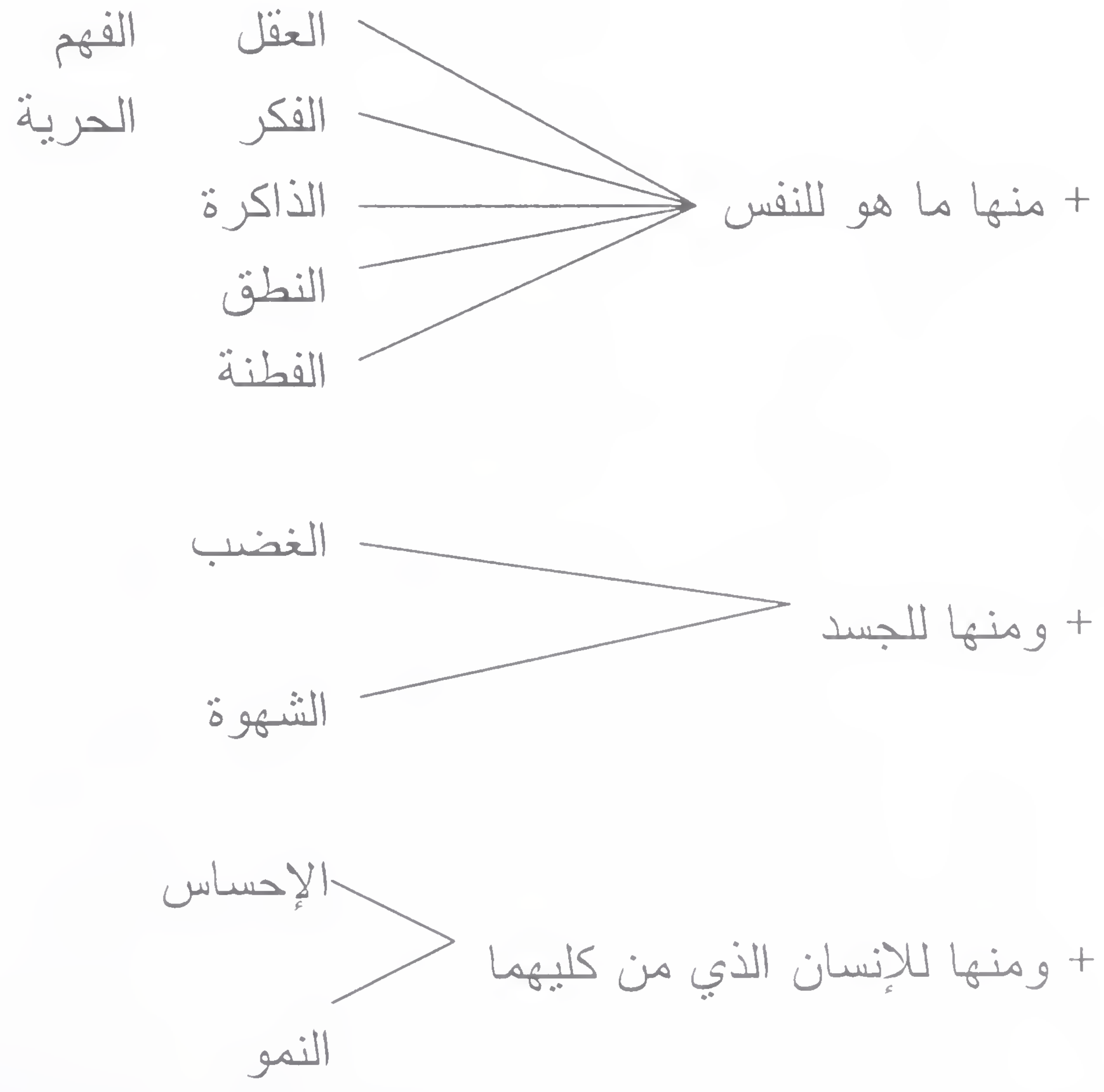

١- رومية ٨: ٣

الفصل العشرون

يبيّن سبب تألم المسيح الرب وموته وما نوع موته ؟

نقول : إن نوع موت المسيح هو انفصال نفسه عن جسده لا لاهوته عن ناسوته، كما قال هو : " **يا أبتاه بيديك أستودع روحي** " لا لاهوتي[1]. " **فصرخ بصوت عظيم وأسلم الروح** "[2]، ولكنه لبث حيا بموته لا بحياة النفس بل بالحياة الإلهية.

عندما تنفصل أنفس البشر عن أجسادهم تبقى أجسادا مائتة، فلا تعمل ولا ترى أو تسمع إطلاقا بسبب انفصال النفس الحية التي كانت تعمل فيها.

أما بالنسبة إلى المسيح، فلئن انفصلت النفس عن الجسد وتوقف الجسد عن تأثراته، أي الحس والرؤية والسمع.. الخ، إلاّ أن لاهوت الكلمة كان مقترنا ومتحدا معه، وكان حالا في جميع أعضائه، ويفعل فيه كل ما تفعله النفس بالجسد، كما منحه لا أن يسمع ويرى بالأذنين والعينين وحسب، بل ليكون بكليته، يسمع الكل ويرى الكل ويعرف الكل. وعليه كان المسيح ذاته مائتا وحيّا، مائتا نظرا لانفصال النفس البشرية، وحيا بسبب اللاهوت الحالّ فيه، أي أنه كان متحدا معه ليمنحه حياة، وإحساسا بلا حد وليس قليلا كالذي من النفس.

١- لوقا ٢٣: ٤٦ ٢- متى ٢٧: ٥٠ ومرقس ١٥: ٣٧

فإذا كان **أليشع النبي** [1] قد استطاع وهو ميت ونفسه بعيدة عنه أن يقيم ميتاً من خلال منحه النعمة النبويّة، فكم بالأحرى تكون حيوية الجسد باتحاد الكلمة معه ؟

إن الجسد يحيا من حياة النفس، ويفعل أكثر من النفس كما ويخضع للموت البشري أيضاً من انحلال وفساد وتبدّد العناصر في القبر، وليس هذا موتاً، بل فساداً يلي الموت بعد الممات، أن الموت هو الطريق الذي يقود إلى الفساد، والفساد بعيد عن الموت ثلاثة أيام، وقبل أن يبلغ الفساد جسد ربّنا قام كما هو مكتوب : " **لأنك لا تترك نفسي في الهاوية ولن تدع تقيّك يرى فساداً** " [2].

الفصل الحادي والعشرون

يبيّن فيما إذا مات المسيح موتاً طبيعياً كالبشر أو بوجه آخر

نقول: لا يموت أي منا موتاً إرادياً. أما المسيح فقد أسلم بإرادته نفسه بسبب قصاص الخطيئة الأول، كما قال : " **يا أبتاه بيديك استودع روحي** " [3] ، " **لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها** " [4]. ولئن اجترح الأنبياء والصديقون الأعاجيب لكنهم وهنوا أمام الموت، ولم يقوموا من بين الأموات، أما المسيح فقد أبطل الموت بموته وقام من بين الأموات. وبذلك دلّ على كونه الله أكثر من أي شيء آخر صنعه،

١- انظر الملوك الثاني ١٣: ٢٠

٢- مزمور ١٦: ١٠

٣- لوقا ٢٣: ٤٦

٤- يوحنا ١٠: ١٨

والرسول يشهد على ذلك بقوله : " **فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما** "[1]، أي كالأنفس التي يدعوها أبناء، اشتركت بالاتحاد مع الجسد والدم، كذلك المسيح أيضا اتحد بها طبيعيا وأقنومياً، لكي يبطل بموته الشيطان القابض على سلطان الموت، ويطلق الذين كانوا مأسورين ويَعدّ لنا القيامة بقيامته.

الفصل الثاني والعشرون

ضد اليهود والوثنيين والهراطقة الذين يعيبون علينا قولنا : إن الله تألم ومات

يجب أن نعلم أن الوثنيين واليهود والهراطقة أنفسهم يقولون إن الله تألم من حيث لا يدرون، فكيف ؟

نقول : بما أنه يهان ويشتم ويُجدّف عليه، وأنهم يغيضونه ويزعجونه ويعاندونه وينكرونه بسجودهم للآخرين بدلا منه. ترى هل يرضى الله بما يقوله الكافرون أم أنه يتألم ؟ فإن لم يتألم فمعنى هذا أنه راض بما يفعلونه، وإن لم يرض، فإنه يغضب ويغتم، والغم والغضب هما آلام.

من الناس من يقول ليس آله، وآخرون يقولون بوجود آلهة كثيرة، فهو عند المجوس النار، وعند الوثنيين الكواكب السبعة الضّالة، فإن سنحاريب[2] وابن الاسرائيلية[3] شتما الله، واستبدله العبرانيون[4] بالعجل وغيرها من الأمور، فهل غضب وتضايق من هذا أم لا ؟

١- الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤

٢- انظر الملوك الثاني ١٨: ٣٣-٣٥ و ١٩: ٤، واشعياء ٣٦-٣٧

٣- لاويين ٢٤: ١٠-١٢ ٤- خروج ٣٢: ٤ و ٨

فإن كان الجواب : لا. فهو غير حاسّ ولا يتألم حتى عن جبلته التي أخطأت وفسدت، أما إذا تضايق وغضب من هذه كلها عندما شتم، فهذا أَلَمٌ بحد ذاته.

وبطريقة روحية نقول هكذا : كل إنسان يؤمن بأن ديانة ما هي حقة، فغير الحقة إذن تنكر الذي أرسل الديانة الحقة وتهين وتشتم مرسلها، وهذا اَلَمٌ.

فقد قتل العبرانيون الأنبياء لأنهم كانوا يكرزون باسم الرب، كما قالوا لأرميا : " **لا تتنبأ باسم الرب وإلاّ قتلناك** "[1]، وهذا إما يؤلم الله أو لا يؤلمه، فإن كان لا يؤلمه، فالأنبياء مظلومون ومغلوبون على أمرهم، لأن الذي أرسلهم لم يتألم من أجلهم ولو يسيراً، أما إذا كان يتألم من أجلهم، فقد تألم الله إذن.

ثم أيتألم إله الوثنيين واليهود بسبب الشيطان وابليس أم لا ؟
فإن قالوا يتألم فقد أذعنوا للحق، وإلاّ فكيف لا يتألم بسبب الذين يضادونه ويغضبونه في كل شيء ؟

لقد دعا آدم وأمَره أن يحفظ الوصية، ولكن الشيطان أغواه وخطفه من الله، فاستعبد له وللخطيئة، فأغضب بذلك الله. ويتضح ذلك من لعنة الحية والأرض، وطرده إياه من الفردوس، فأي ألم أعظم من هذا ؟ فإن الآلام التي يعانيها من الأبالسة الذين يضلون البشر دائماً لا حصر لها، فهل شاء أن يكون هكذا، أم لم يشأ ؟ فلو شاء، لنتج شران :

١- أرميا: ٢٦: ٨-٩

الأول : أنه يسبب الأتعاب لذاته يوميا، ومن يتاجر بذلك لنفسه اختياريا فهو جاهل.
الثاني : يقدم الشكر للأبالسة الذين يعملون مشيئته.

أما إذا كان يتم ذلك دون مشيئته فقد تمرد عليه وظلم وتألم، والأعظم من ذلك يكون الشيطان قد اغتصب عبادته حتى مجيء الرب، فأصبح كل إنسان يسجد للأبالسة، فأي أَلَمٍ أعظم من هذا أن يسجد ما ليس بآلهة، ويهمل الآله (الحق).

الفصل الثالث والعشرون

اعتراض الخصوم

لو قال الخصوم : أن احتمال شتائم وتجاديف البشر مع العناء والنكد وعبادة الأصنام لا يمسّ الله، ولكن ثقب الجنب وجرح المسامير، والجلدات والقتل والموت تمسّ المسيح.

نقول : أن تلك لم تمس طبيعة الله، ولم يقل أنه تألم بها، كذلك هذه لم تمس الكلمة المتجسد، إذ لا يمكن لطبيعته أن تتقبل ذلك لا بالجسد ولا بدون جسد. ولكن لأن جسده تقبلها فنسبت إليه. فالآلام لم تمس لاهوته حتى باتحاده بالجسد كنفس كل إنسان، فالنفس تتألم مع جسدها لأن طبيعتها متالمة، بينما اللاهوت لا يتألم لا مع الجسد ولا مع النفس لأن طبيعته أسمى من الآلام، ولكنها تنسب إليه بسبب الاتحاد الحقيقي.

إضافة إلى ذلك فإن جسده لم يتحمل الآلام شبه جسد كل إنسان، إلاّ أنه وإن تحمل الآلم طبيعياً فأنه كان يطوع جسده ليتحمل ذلك اختيارياً، وكما أن الجسد حي بالنفس، فمتى ضرب وجرح فإنه يعود فيبرأ ويشفى من خلال حياة النفس الحالة فيه، وليس كالجسد المائت الذي إذا قُطِّع لا يمكن أن يشفى، كذلك جسد الله الكلمة، ولئن تحمل الآلام والموت إلاّ أنه بواسطة اتحاد اللاهوت غير المنفصل، لا يدعى الذي طاله الألم والموت فاسداً، وإنما الذي كان ممكناً أن يحتويه الموت، لا يرى فساداً أيضاً.

ولكنهم يقولون : أن الإهانات والشتائم واللعنات أقل شأناً من الصلب والموت.

نقول : ليست غاية الكلمة أن تكون الآلام قليلة أم كثيرة، بل أن يتنازل الله ويطيع ويكابد ويتحمل ما هو عكس ما يتوجب عليهم تجاهه، أعني الاعتراف والسجود، فيضطرب بذلك قليلاً أو كثيراً، ويدعى ذلك الاضطراب أَلَماً.

ونقول أيضاً : كما عانى واحتمل تلك الآلام، هكذا احتمل الألم والموت والصليب ولبث غير مضطرب وغير متغير.

لم تظهر الآلام ضعيفة بالنسبة لأولئك الذين سبقوا فجدّفوا وشتموا وكفروا، لكنه احتمل ذلك دون أذى من خلال عدم الرؤية والتجسيد.

الفصل الرابع والعشرون

يثبت بالبرهان أن الله لبث دون ألم
حتى باتحاده بجسدنا المتألم

إن الأمور التي تتّحد اتحاداً أقنوميا وطبيعيا دون تبلبل ولا تغيير، تظل علاماتها الطبيعية محفوظة، وعليه يُقال أن الله الكلمة باتحاده بالجسد المتألم، تألم بالجسد، في حين لم يتألم في اللاهوت، فهو إذن متألم وغير متألم في آن واحد، كالنور المنتشر والمنبسط في العالم فأنه لا يتألم عندما يرشقونه بالسهام والسيوف. هكذا الله الذي هو غير متناهٍ كلياً.

إن السهم لا يتألم عند نفاذه ولا السيف عند القتل ولا الحديد عند طرقه، حيث لا يبتعد ولا ينتقل، وأكثر من ذلك وكما أن طبيعة النور لا تتقبل الآلام لفقدان الإحساس لديها، هكذا لا يمكن للطبيعة الإلهية أن تتقبل الألم لسموّها وبهائها.

فإذا كانت طبيعة السمندر [1] خلقت كي لا تحترق بالنار، ولا الالماس يقطع بالحديد، فكم بالحري إذن الطبيعة الإلهية تكون أسمى من الآلام والقطع ؟

لكل طبيعة آلامها المعروفة فهي تتألم بآلام طبيعة أخرى لا تلائمها، فإذا وضعت قرميدا ولُبنة في الماء، فاللبنة تنحل لأنها اكتسبت طبيعة تتأثر بالماء، أما القرميد فلأنه أكثر نضجا وجمالا فقد اكتسب طبيعة لا تتأثر بالماء. فلكل طبيعة إذن تأثيراتها المتميزة، إذا كانت منفعلة، ولا تنفعل بانفعالات ما يخالف طبيعتها، أما تلك الطبيعة غير المنفعلة فليس ممكنا أن تنفعل لا مع الجسد ولا مع النفس ولا دون ذلك.

١- ܣܡܢܕܪܐ عظاية لا تحرقها النار.

وكالإنسان الذي يكتب كلام الله بمداد على قرطاس، ثم يحرق ذلك القرطاس، فلا يكون قد أحرق وأفسد كلام الله، ولئن كان متجسداً ومتحداً بالمداد، وإنما أحرق القرطاس وأتلف المداد فقط.

هكذا كلمة الله المتجسد، فاليهود لم يؤلموا أزليته وطبيعته ويميتوهما، وإنما غرزوا المسامير في جسده فقط وطعنوه بالحربة. ولم يتلف موسى كلام الله عند كسره اللوحين [١]، وإنما أتلف اللوحين المجسمين اللذين في يديه. ولم يحرق صدقيا كلام الله عندما أحرق دَرج السِّفر [٢] الذي كتب فيه باروك عن لسان أرميا كلام الرب وإنما الدرج فقط، ولم ينشر منسى نفس أشعياء عندما نشره، بل جسده.

بهذا الشكل إذا ما طرح إنسان جمرة القربان في نار، أو سكب ماء المعمودية في مكان نجس، أو محا الإنجيل أو أحرقه، فإنه لا يحرق جسد الله أو كلامه أو الروح القدس، وإنما خبزاً عادياً وماءً بسيطاً وكلمات مكتوبة. هكذا صنع اليهود بجسد الله وليس بلاهوته.

ولكنهم يقولون : إذا كانت طبيعته لا تقبل الآلام كما تُقرّون أنتم الآن، فكيف تقولون أنه تألم ؟

نجيب : كما أن نفس الإنسان في خلقته لا تُقتَل ولا تموت وليس لها دمٌ، ولكن بسبب الاتحاد التام والطبيعي والأقنومي غالباً ما تنسب إليها الكتب المقدسة القتل والدم والموت، بهذا المعنى تطلق على الله الكلمة، كلمات الصليب والدم والألم وموت جسده، بسبب الاتحاد التام مع جسده. قال الله لموسى : " **افرزوا مدناً للملجأ لكي يهرب إليها كل قاتل الذي يقتل نفساً خطأ** " [٣].

١- انظر سفر الخروج، الإصحاح ٣٢

٢- انظر أرميا ٣٦: ٢- ٢٦.

٣- تثنية الإصحاح التاسع عشر.

وقال الله لابراهيم : " **كل نفس لا يُختَنْ في لحم غرلتها فتقطع تلك النفس من شعبها** " (١).

وقالت راحاب للجاسوسين : " **وتخلّصا أنفسنا من الموت، فقال لها الرجلان نفسنا عوضكم للموت** " (٢).

وقال داود عن يوسف : " **في الحديد دخلت نفسه** " (٣).

وقال عن الرجال الذين جلبوا له الماء من بئر بيت لحم : " **هذا دم الرجال الذين خاطروا بأنفسهم** " (٤).

وورد في سفر الخروج : " **ماتت نفس الشعب في الطريق** " (٥).

وقال حزقيال : " **النفس التي تُخطيء هي تموت** " (٦).

ونتيجة اتحاد النفس مع الجسد ينسب إليها القتل والدم وموت الجسد، لأن الجسد صار خاصتها بسبب الاتحاد.

هكذا تنسب إلى الله الكلمة أيضاً، كلمات الصليب والدم والألم وموت جسده، فقد تأثر وتألم المسيح بسب الاتحاد الحقيقي والتام مع جسده. وسبب هذه التأثيرات هي من الله، ولكنها تطلق على كل ما حدث وتم.

أما الآلام الطبيعية التي تطرأ على النفس والجسد فهي نتيجة الضعف البشري، أما التي اقتبلها المسيح اختياريا للدلالة على تجسده الحقيقي، فتطلق بكلمة الاتحاد، كجزء صغير على الكل المتكامل كالمعتاد، ولأنها لم تكن خارج إرادة الكلمة. تقول أن بطرس وبولس مريضان أو

١- تكوين ١٧: ١٤ مع ملاحظة اختلاف النصين العربي والسرياني حيث يرد في النص العربي : " الذكر الأغلف الذي لا يختن..... ".

٢- يشوع ٢: ١٢-١٥

٣- مزمور ١٠٥: ١٨

٤- صموئيل الثاني ٢٣: ١٧

٥- ربما الاية من سفر العدد : " فضاقت نفس الشعب في الطريق " ٢١: ٤

٦- حزقيال ١٨: ٤

مضروبان، فهذه الآلام تطرأ على الجسد فقط، أما أن لا يعلم إنسان أو يتضايق أو يبغض أو يحب، فهذه الأمور تنسب إلى النفس فقط لا للجسد. ولكن ما يطرأ على الجزء يطلق على الكل بسبب اتحاد النفس والجسد.

وهكذا إذا قيل عن المسيح بأنه يتألم ويتضايق أو يضطرب أو يموت، فهذه تطلق من باب تسمية الكل باسم الجزء، في حين أننا لا نلحق الألم باللاهوت.

تقول أن مخلصنا قبل عليه هذه العوارض الخاصة بطبيعتنا بثلاثة أنواع : الآلام الطبيعية وغير المشينة، وضعفنا، وعدم المعرفة.

الفصل الخامس والعشرون

اعتراض الخصوم

يقول الخصوم : إذا كان الأنبياء قد أعلنوا عن موت المسيح : أنه قتل من أجل خطايانا، وشاء الآب بموته، شاء الرب أن يذلّه ويعذبه " **والكأس الذي أعطاني أبي إلاّ أن أشربها** " [1]، وكان في موته هادئاً، دنا وتواضع ولم يفتح فاه، " **ولكن لأجل هذا أتيتُ** " [2]، " **وخلّص بموته كل إنسان** "، و " **بخيره شفينا** " [3]، فقد استحق اليهود الجزاء الحسن كأنهم صلبوه إتماماً لإرادته وإرادة أبيه وأنبيائه القديسين فاستحقوا الثناء.

١- متى ٢٦: ٤٢ ٢- يوحنا ١٢: ٢٧ ٣- أشعياء ٥٣: ٥

نقول : أن كان اليهود فعلوا ذلك بنية خلاص الكل وإتماما لإرادته فقد استحقوا الحمد والثناء، أما وأنهم أرادوا أن يبيدوا اسمه ويتمّموا رغبة إرادتهم الشريرة فقد استحقوا العذاب.

إن الغاية هي التي تدان لا العمل. فقايين قتل هابيل لا لكي يصرخ دمه بل ليمحى اسمه [1]، فمنح الله للدم كلمة وللقاتل نارا، وعندما جرب الشيطان أيوب ويجرب البشر، لا لكي يزدادوا جزاء، بل ليقضي على أعمالهم، لذا فأن الله يجزل الثواب للقديسين، والخزي للشيطان.

ويوسف عندما باعه أخوته [2] لا ليقيتهم والآخرين بالقمح، بل ليستعبد، فهل استحق أخوته مكافأة حسنة لأن يوسف دخل مصر وتسلّط وأقات إسرائيل وغيرهم بالقمح ؟ لا أظنك تحكم بذلك على أناس أبغضوا أخاهم وأحزنوا أباهم إلاّ باستحقاقهم العقاب الشديد.

هكذا استحق اليهود العقاب من أجل الغاية من فعلتهم، ولهذا دعتهم الكتب، أثمة وكلابا شريرة، " **أنه ضرب من أجل ذنب شعبي** " [3]، " **لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ** " [4]، ولكنه احتمل الموت بإرادته حقا، إلاّ أن اليهود لم يبتغوا أن يعملوا إرادته بل دبّروا لهلاكه، وعليه فقد استحقوا العقاب لا الشكران.

ويجب أن نعرف أيضا أن الموت بذاته لا يُمتدح ولا يذم عندما ينسب إلى القاتل أو القتيل، وإذ ذاك يقبل شيئا واحدا منها، مثلا : قتل اليهود الأنبياء [5] وفرعون أطفال العبرانيين [6]، فالقتلة هنا ملامون والقتلى

١- انظر تكوين ٤ : ٨ وما بعدها.
٢- انظر تكوين ٣٧: ٥ وما بعدها.
٣- اشعياء ٥٣: ٨
٤- مزمور ٢٢: ١٦
٥- وقد أشار السيد المسيح إلى ذلك بقوله : " يا اورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين إليها...الخ " متى ٢٣: ٣٠-٣٦
٦- عن مقتل أطفال العبرانيين انظر خروج ١: ٢٢

ممدوحون ـ كما أن ايليا قتل الكهنة [1] والأصنام وكذلك فعل فينحاس، مع الزناة، فهنا ينسب الظفر للفاتلين، وأما القتلى فاكتنفهم العار.

أرأيت إذن أن القتل بحد ذاته غير ممدوح وغير مذموم، ولكنه يمدح ويذم بناء على الغاية من فعله، فعندما ينسب القتل للمسيح يكون ممجّداً، أما بالنسبة إلى اليهود فأنه يقع تحت الشجب. لا يمنع أن نستعمل المثل العالمي أيضاً ما دام أن مخلصنا استعمل ذلك كثيراً :

إذا سدّت الريح أذن إنسان ما ثم جاء عدو وضربه بالعصا على رأسه ليهلكه، ومن شدة الضربة زالت تلك الريح، فهل يجب أن نقدم شكرنا للضارب أم نعاقبه لكونه أراد قتله ؟ أنا واثق بأنكم تسلمون بهذه الأخيرة.

أراد آخر أن يفتح كوّة في البيت ليستنير البيت، فدخل اللصوص ليلاً ونَقبوا ذلك الموضع الذي كان ينوي رب البيت أن يفتح الكوّة فيه، فدخلوا وحزموا أثاث بيته ليحملوها ويرحلوا، فإذا جاء رب البيت ووجدهم في بيته أيعاقبهم كسراق ولصوص، أم يقدم لهم الشكر لأنهم فتحوا الكوّة التي أراد أن يَفتحها ؟ أظنُّ انكم تصادقون على الأولى.

فانسبوا هذا لليهود إذن لأنهم مذنبون بسبب غاية إرادتهم، إذ أنجز الرب خلاص الكل بواسطتهم من حيث لا يريدون.

١- عن مقتل أنبياء البعل انظر الملوك الأول : الإصحاح ١٨

الفصل السادس والعشرون

حول ما يقوله الهاجريون
من أن المسيح لم يصلب بل صلب شبه له

يقولون إن المسيح لم يصلب ولم يمت لكنه حي، واليهود لم يصلبوه بل صلبوا إنساناً آخر شُبّه لهم على شبهه فصلبوه.

من المعلوم أن حياة الإنسان مهما طالت لا تتجاوز المئة والعشرين سنة، وإذا كان المسيح مجرد إنسان كقولكم فمن الطبيعي أن لا يحيا أكثر من هذا الحد، وعليه فقد مات حسب النظام الطبيعي، وإن كان لم يمت فلا يكون إنساناً، لأن جميع أبناء البشر طبيعته لا يتجاوزون هذا الحد، فبالضرورة إذن أن المسيح مات كرأي شهود حق.

وإن قالوا : يفعل الله ما يشاء، فها أن أخنوخ وايليا لم يموتا بعد، وهذا ما فعله الله للمسيح كما فعله لأولئك، لكي على شاكلتهما، لا يموت.

نقول : أن لا يموت أخنوخ وايليا فقد عرفنا ذلك من الكتاب، وآمنا به، وليس بفضل الطبيعة، وبما أننا وأنتم نؤمن بهذا على قدر المساواة أي أن أخنوخ وايليا لم يموتا، فلا جدال على ذلك، أما في ما يخص موت المسيح فلا نسلم بما تقولون، لأننا لم نتلقّ ذلك من الكتاب، ولم تظهره طبيعة الأعمال، فمن أين لكم أن تبرهنوا على أن المسيح لم يمت ؟ فليس في الكتاب ما يدل على أنه لم يمت، بل بالأحرى أنه مات، فإن كنا لا نؤمن بموته، فأن الطبيعة تقول أن حياة الإنسان لا تتعدى المائة والعشرين سنة. كما يمكن البرهنة على ذلك من الشهداء الذين سبق فاعترف الجمهور بهم، ومن التقليد على قدر ما نستطيع إدراكه.

وإذ لم يثبت كلامكم بواحد من هذه الأمور، فبيّنوا لنا من أين لكم ما تقولونه ؟ فإذا قلتم كعادتكم، يفعل الله كل ما يشاء، فالله شاء أن لا يموت المسيح. فنحن لا نتّفق وإياكم في هذا.

نقول : أنتم تفضلون القول أنه لم يشأ أن يموت، على " **شاء أن يموت** "، فالشيء الذي يعتمد في وجوده على الأمور الخفية والذي لا يمكن البرهنة عليه طبيعياً، يحمل ذاته بذاته على عدمه، وإن كنا لا نريد أن نكثر من البرهان الطبيعي ونحن نتكلم معكم طبيعياً، لأنكم لا تريدون. نقول : أن المسيح مات موتاً طبيعياً كنظام جميع البشر، أما عن كونه شبه لليهود، فلماذا يشبّه لهم إنسان فلاني يَشبَهه بالصورة وبجميع خواصه، ولم يكن شيء من الخيال والوهم. وإذا كنتم عرفتم الإنسان الذي يشبهه ترى من هو وابن من هو لأنه يشبه المسيح. فأجيبوا من هو وابن من ؟ وإن لم تعرفوا من أين هو، فكيف عرفتم أنه يشبهه، أنكم لم تروا لا المسيح ولا الذي يشبهه، ولم يرد في الكتاب أنهم صلبوا شبهه، الشيء الذي لم يحصل، فهذه التسمية هي من عندكم، وتشهدون على ما لم تروه أيضاً، ولا الذين من قبلكم شهدوا، ولم يرد في الكتاب عن قولكم هذا اللامقبول.

وإذا قلتم أنه وهم وخيال لا إنسان حقيقي، فما هو هذا الخيال الذي تشبّه بشبه المسيح، أملاك أم شيطان ؟ لأن الأمور التي تشبه البشر في حين أنها ليست حقيقة تظهر كطبيعة الإنسان، وإذا كان ملاكاً أو شيطاناً، إذن لم يصلبوا إنساناً بل ملاكاً أو شيطاناً، وكيف يمكن أن يقبض على الملاك أو الشيطان وهو ليس جسماً. فذلك غير مقبول في البحث الطبيعي ولا يطيب للعقل، فلم يصلبوا شبه المسيح إذن بل المسيح بالذات.

لم نسمع لا من الأولين ولا من المتأخرين أن البشر صلبوا شبه إنسان، الأمر الذي لم يكن ولن يكون، فليس صحيحا إذن، أنكم تعترفون بصلبه ثم تزيدون عبارة " على شبهه " ولا تستطيعون أن تثبتوا ذلك، فثبت أنه صلب حقاً وليس شبهه، كما أنكم تلومون ذاتكم بهذا، إذ تقولون الحق من حيث لا تريدون، أن المسيح لم يمت، فكما ثبت لديكم بأنه كلمة الله، وكلمة الله بالضرورة إله، وجالس في السماء أيضا، وهذه الأمور كلها تخص الله لا الإنسان، وإذ ثبت لديكم أن المسيح إله، فقد ثبتت أيضا حقيقة كون المسيح إلهاً وإنساناً، مائتا وغير مائت.

الفصل السابع والعشرون

بما أنه توجد أنواع عديدة للموت فلماذا قبل المسيح موت الصليب عوضاً عنا

نقول لأمور كثيرة :

أولاً : لأننا بسبب الخشبة (الشجرة) خرجنا من الفردوس فيجب أن ندخل الفردوس بالصليب فندنو منه بالذي به ابتعدنا.

ثانياً : ليعطر الهواء الذي فسد بنتانة ذبائح الأصنام.

ثالثاً : لننتصر على الرئيس وجنوده الذين يطيرون في الهواء.

رابعاً : ليرفعنا إليه، " **وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع** "[1].

خامساً : ليكون موته معروفا وجليا لجميع الذين كانوا مجتمعين هناك من أماكن مختلفة بمناسبة عيد الفصح.

١- يوحنا ١٢: ٣٢

الفصل الثامن والعشرون

يبين كيف قُـتل الشيطان وبطلت الخطيئة ومات الموت

قد يقول قائل كيف يموت الشيطان وهو طبيعة غير مركبة وغير مائتة ؟ وكيف بطلت الخطيئة أيضاً، تلك التي تلوث بها معظم الناس، وبأية كيفية مات الموت ؟ في حين أنه ما يزال حياً ويتعقبنا ويفنينا جميعاً ؟

نقول : مات الشيطان بثلاثة أنواع :

الأول : عذابه وعناؤه " **كالنفس التي تُخطيء هي تموت** " [١]، وواضح أن موت النفس عذابها، هكذا مات الشيطان فقد تعذب لتحطم كبريائه واحتقار عبادة الأصنام.

الثاني : أبطل المسيح ما كان لديه (الشيطان) من القوة المسبّبة لشرور كثيرة، فلا يعود يظهر شر جديد.

الثالث : لقد كشف الخطيئة وأظهر كونها خطيئة، فيتجنبها البشر وموجدها، ولكن إن قال أحد، كيف يزل الشيطان البشر بتجاربه إذا كان قد مات ؟

نقول :

إن الله سمح أن يكون ذلك، أحياناً بالفكر، وأحياناً أخرى بالعمل، أو من أجل انتصارنا كما فعل مع أيوب. ونقول أن الخطيئة بطلت لأنها مُحِقت. قيل : " **أبهجنا لأن أثمنا قد مات وطرحت في أعماق اليم جميع خطايانا** " [٢].

١- خروج ١٨: ٤ ٢- ميخا: ٧: ١٩

وما عدا ذلك توجد أدوية تفتك بها : أعني بها التوبة والأسرار المحيية. فبموت المسيح مات الموت أيضا وتلاشت قوته كحيوان رديء، تحطمت أسنان الحية وتحرك ذنبها رغم رضّ رأسها، فمات الموت إذن حيث أقام ربنا جسده بعدم فساد، كما هو عتيد أن يبعثنا.

الفصل التاسع والعشرون

وجوب السجود للصليب

يجب أن نعلم أن السجود أنواع مختلفة :
فإننا نسجد لله، السجود المفروض له، كما نقدم السجود للملك والسيد والمعلم ولبعضنا البعض وللصليب وغيرها، وتتميز هذه الأنواع عن بعضها كالأسماء والأعمال أيضاً.

ونحن عندما نسجد للصليب فإننا لا نسجد للنحاس أو الفضة أو الخشب أو المادة الأخرى المصنوع منها، وإنما نسجد للمسيح الذي صلب عليه بأعين النفس العقلية.

إن علامة الصليب مع مادته وُضعت أمام أعيننا للذكرى، لأن طبيعتنا خاطئة، فكل من يصلي لله يضع أمامه هدفاً ما لكي يصلي، فالذي يصلي في البيت فإن مادة الحائط موضوعة أمامه، وعندما يسجد ويصلي فإنما يسجد ويصلي لله لا للحائط.

فلو سئلتم : **إذا كنتم تسجدون لله فأي سجود تقدمونه له، سجود الاحترام، أم السجود الواجب لله ؟**

نقول لهؤلاء :

إن الصليب خاص بالمسيح، وعندما نسجد للصليب فإننا لا نسجد للمادة المصنوع منها، كما سبق وقلنا، وإنما للمسيح الذي صلب عليه، فنسجد إذن للصليب الذي هو راية المسيحية، أنه السجود اللائق بالله.

وقد تسألون لماذا تقدمون السجود للصليب أكثر من الأمور الأخرى التي رافقت سياسة المسيح المخلصية.

نقول لأسباب عديدة :

أولاً : لكي نظهر دائماً ضد اليهود غير المؤمنين، ونحن المؤمنين نسجد للشيء الذي أهانه اليهود ونكرمه.

ثانياً : لأن قوة الصليب تسمو على كل ما جرى خلال التدبير الإلهي، تسمو على المذود والأقمطة، كظهور الصليب قوياً في الضعفاء، كاملاً في المرضى. ذلك أنه بالعصا والخروف وبقية الأمور التي كانت ترمز إليه اجترح معجزات عظيمة ومدهشة.

ثالثاً : لأن الله الكلمة احتمل عارنا وحقارتنا، فتجسد عوضاً عنا وتحمل آلامنا وأوجاعنا، فيجب علينا أن نسجد ونكرم الشيء الذي احتمل احتقاره وعاره، وهذا الشيء هو الصليب.

رابعاً : لأن كل العطايا التي وهبها الله لنا لم يكن فيها ما يعبر عن محبته الكثيرة لنا كبذله ابنه الحبيب عوضاً عنا " **وضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب** "[١] و " **الذي لم يشفق على ابنه بل بَذَلّه لأجلنا أجمعين**"[٢] وغيرها. يجب إذن أن نسجد للصليب الذي يعبّر عن محبة الآب والابن الجزيلة لنا.

١- فيليبي ٢: ٨   ٢- رومية ٨: ٣٨

خامساً : لأنه علامة الغلبة وراية الخلاص.
سادساً : لأنه يأتي معه في مجيئه الثاني ليخجل الكافرين ويعظم شأن الساجدين له.

وهناك أمور أخرى كثيرة أهملناها اختصارا للكلام، وقد أسهبنا القول كثيراً في المقال الذي تكلمنا فيه عن الصليب، وأوردنا فيه أسبابا كثيرة، ودحضنا فيه الاعتراضات والاحتجاجات، ولكن هدفنا هنا، أن نتكلم باختصار.

الفصل الثلاثون

يبين سبب رسمنا الصليب بأصبع واحدة ونقلها من اليسار إلى اليمين

نقول : أن المسيح هو سر الصليب، الذي نزل من العلاء إلى الأرض ونقل الجنس البشري من جهة اليسار إلى اليمين. فالنزول إشارة إلى ذروة الصليب، والعمق جهته السفلى وجهة جنبه العريض للشمال، وجهة جنبه الأخرى لليمين، ندعو الصليب بالمسيح، فمتى سجدنا فإننا نسجد للمسيح إذ بعين العقل ممتدا على الصليب، فإذا كان المسيح واحدا فيجب أن نرسم علامته بأصبع واحدة أيضا، وإن كان مسيحين فيجب أن نرسم الصليب بأصبعين.

✠ لكن **أصحاب الطبيعتين** يقولون :

" **نرسم الصليب بأصبعين لنبين أن المسيح هو طبيعتان، وإذا كانت الطبيعتان منفصلتين كأصبعين، فليس هناك اتحاد، وهما بعيدتان عن بعضهما بعد المشرق عن المغرب، والأصابع مساوية لبعضها في الجوهر وإن كانت منقسمة ومنفصلة، لذلك فغير المخلوق وغير المرئي مساوٍ للجسد المخلوق والمرئي** ". وهذا تجديف.

وتُشير علامة الصليب إلى الله الكلمة الذي علق عليه بالجسد، في حين أنه أسمى بطبيعته من الكل، ولا يمكن أن يناله التعليق والامتداد، وأنه احتمل الامتداد على الصليب بالجسد، لذلك فإنكم تصلبون وتعلقون طبيعتين على الصليب، وهذا تجديف على الطبيعة الإنسانية وعلى من هو أسمى من الآلام، إذ جعلتم من ذواتكم مؤلمي الله.

✠ أما **الأرمن** : فإنهم يرسمون الصليب بثلاث أصابع قائلين :

" **أنه سر الثالوث، وهؤلاء سقطوا أيضاً في هوة أخرى، إذ لم يصلب الآب والروح بل الابن الكلمة أحد الثلاثة (الثالوث) وذلك بالجسد لا بلاهوته، فهؤلاء أيضاً خرجوا عن نطاق الأمور الطبيعية** ".

يشهد الكتاب أنه لم يستطع إنسان أن يصنع الخط الأول والمستقيم لأي جانب من جوانب الصلبان المصنوعة من الخشب أو الذهب أو المرسومة على الجدران خطين أو ثلاثة أو حتى للعرض أيضاً. وبهذا يبرهنون على حقيقة الأصبع الواحدة، وعلى نقلنا الأصبع من اليسار إلى اليمين لدى رسمنا الصليب، وليس من اليمين إلى اليسار على غرارهم، إذ

ينقلون من اليمين إلى اليسار، وكأنهم ينتقلون من النور إلى الظلام، مع أنهم في القداس يرسمون الصليب على غرارنا من اليسار إلى اليمين.

قال القديس مار ايوانيس في المقال الثالث والخمسين من تفسير (إنجيل) متى : " فديتم بثمن " وقال بحسب رأيه : أن الثمن بذل لأجلك كي لا تستعبد لأي من البشر لذا يسمى الصليب ثمناً. وأن رسمنا (الصليب) لا يعني مجرد وضع الأصبع ببساطة، بل يجب أن ترسمه على ذهنك أولا بإيمان جزيل، وإذا كنت تطبعه هكذا على جبهتك، فلا يستطيع أحد من الشياطين الدنسين من الوقوف عندك ".

كما قال في موضع آخر : " أنت الذي ترسم الصليب بالأصبع على وجهك، كن حذراً بعطاياك ". تأمل كيف ذكر أصبع لا أصابع، فلو أنه قال أصابعك أو أصابع لكان موضع للمناقشة، فبقوله أصبع دلّ على واحدة.

كما أن اليونان والأرمن وجميع المسيحيين عندما يعمدون أو يقدسون كنيسة ما، فإنهم يأخذون الميرون بأصبع واحدة، ويمسحون الأطفال والكنيسة. وتوجد براهين كثيرة من الكتب على ذلك.

فقد ورد عن لوحي موسى : " **أنهما كانا مكتوبين بأصبع الله** " (١). ولما شاهد فرعون المعجزات التي صنعها موسى في مصر قال : " **إنها أصبع الله** " (٢).
وقال الرب لتوما : " **هات أصبعك وأبصر جروحي** " (٣).
وقال الرب أيضاً : " **إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين** " (٤).
وقال ليوحنا المعمدان : " **هوذا حمل الله** " **وأشار إليه بأصبع واحدة** " (٥).

١- خروج ٣١: ١٨ ٢- خروج ٨: ١٩ ٣- يوحنا ٢٠: ٢٧
٤- لوقا ١١: ٢٠ ٥- يوحنا ١: ٢٩

لذلك نرسم الصليب بأصبع واحدة لأعترافنا بالمسيح أنه طبيعة واحدة وأقنوم واحد، كما ضرب موسى البحر بعصاه مرة للطول ومرة للعرض، لا مرتين للطول ومرتين للعرض، وهناك أمور أخرى كثيرة في هذا الصدد.

الفصل الحادي والثلاثون

سؤال الهراطقة الذين يقولون :
لماذا تقولون في التسبحة الملائكية
قدوس أنت أيها الإله.. قدوس أنت أيها القوي..
قدوس أنت غير المائت.. يا من صُلبت عوضاً عنا ؟

يجب أن نعرف أولاً أن هذه التسبحة وضعها في الكنيسة اغناطيوس النوراني إذ سمعها من الملائكة، ولئن عزاها آخرون مؤخراً إلى سبب آخر، إلاّ أنه هكذا قالها كما نقولها نحن.

يتضح ذلك من قوله في إحدى رسائله : " إني أُسبح يسوع إلهي وليس إلهي فقط بل آله جميع الذين افتدوا بصليبه وموته ".
وقال أيضاً : " إن لم يعترف الملائكة والجنود العلويون بدم المسيح أنه آله فإن لهم دينونة أيضاً ".

وقال بعضهم : أن هذه اللفظة أدخلها إلى الشرق بطرس بطريرك أنطاكية، في حين أنها كانت مستعملة قديماً في البلدان الشمالية والغربية والجنوبية، ويحتاج الاستقصاء عنها الآن إلى بحوث كثيرة، ولكن توخينا الحديث هنا بالإيجاز، وحيث أننا قد تكلمنا عنها بإسهاب في كتاب : تفسير

الرتب الكنسية والصلوات والأسرار البيعية، لذا نقول الآن لمن ترفع هذه التسبحة، وما معنى قولنا : **يا من صُلبت عوضاً عنا**.

نقول : إنها موجهة إلى الأقنوم الابن فقط لا إلى الأقانيم الثلاثة كما يقول اليونان. قال بولس (الرسول) : " **لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد**" [1]، ومن الواضح أن رب المجد هو إله وليس إنساناً.

كما نقول أنه غير مائت لأنه إله، صلب عوضا عنا لأنه صار إنساناً، وكما يُقال عن الإنسان أنه مائت بالجسد، غير مائت بالنفس، وهو بعينه مائت وغير مائت، طبيعة واحدة وأقنوم واحد، كذلك نقول عن الله الكلمة الذي تجسد وصلب ومات.

بيّنا أعلاه تألم الرب، وقلنا عن نوع ألمه وصلبه وموته، ويكفي ما جاء أعلاه لمن أراد معرفة ذلك.

يقول قانون إيمان الآباء القديسين في نيقية والذي صيغ بإلهام من الروح القدس ما يلي :

" **إله حق من إله حق، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وصار إنساناً، وصُلب عوضاً عنا، وتألم ومات ودفن وقام** ". فقانون الإيمان يقول صريحا إله من إله، صلب وتألم ومات ودفن وقام.

١- كورنثوس الأولى ٢: ٨

الفصل الثاني والثلاثون

عبارة " مريم والدة الله "

يسألون قائلين : **برهن من أحد الكتب أنها تدعى والدة الله ونحن نؤمن بذلك.**

نقول : أن الفعل يدعو الاسم، ولا يعكس، فإن دعا أحد الحجر إنساناً ربوات من المرات فلا يستجيب ليصير إنساناً، ولا الإنسان إذا دُعي حجراً مهما طال الوقت، لأن الفعل يعتبر شاهداً للاسم، لكننا لسنا بحاجة إلى أن نكتب أن مريم والدة الله لأن الذي ولد منها، كما بيّنا أعلاه ونبين الآن أيضاً من خلال أمور كثيرة، يشهد له المؤمنون بأنه إله.

قال الإنجيل : " **والذين آمنوا فقد ختموا أن الله صادق** " [1] و " **المسيح الله في الكل** " [2] و " **إلهنا العظيم يسوع المسيح** " [3].

فإن كان الذي ولد منها إلهاً، فماذا يجب أن ندعوها، إلاّ والدة الله ؟.

فإنه لم يرد في الكتب ثالوثاً ولا طبيعة واحدة في ثلاثة أقانيم، ولكن بما أننا نسمع " **اذهبوا وعمدوا باسم الآب والابن والروح القدس** " [4]، من هنا اجتهدنا أن ندعو الثالوث طبيعة واحدة، لأن العمل ذاته يشهد من الأمور التي عندنا أن الابن هو ابن طبيعة الآب، لأن الآب والابن هما طبيعة واحدة ومعهما الروح أيضاً بسبب قوة الأفعال الواحدة التي تتكامل بها.

١- يوحنا ٣: ٣٣ ٢- افسس ٤ : ٦

٣- تيطس ٢ : ١٣ علماً بأن هذه الآية واللتين سبقتها لم ترد بنصها الكامل.

٤- متى ٢٨: ١٩

وإن كان يجب أن لا نقول " ثالوثا " لعدم وروده، فليبطلوها وجميع الألقاب غير الواردة في الكتاب، تلك التي دعانا الواقع أن نسمّيها، إلا أنه واحد، ويعترف به ثلاثة أقانيم، إله واحد وإن لم يرد مكتوبا بوضوح، ومن هنا تسمى والدة الله لأنها ولدت يسوع العظيم ولئن لم يرد ذلك مكتوبا بوضوح.

قال أشعياء : " **ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل** "(١)، " **إلهاً قديراً أبدياً** "(٢)، وقال الملاك للعذراء : " **الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك** "(٣). فإن كان المسيح هو قوة العلي، والمسيح هو إله، يجب إذن أن تدعى والدة الله، وقال الملاك أيضا : " **فلذلك أيضاً فالمولود منك قدوس وابن الله يدعى** "(٤)، وقال للرعاة أيضاً : " **أنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب** "(٥)، فإذا كان الرب قد ولد، والرب هو إله، فكيف لم يولد الله ؟ وكيف لا يجب أن تدعى مريم والدة الله ؟.

ولكن إن قال الهراطقة : " إن كانت مريم قد ولدت إلهاً فيجب أن تدعى آلهة " نجيبهم بحسب تخبّط أفكارهم والتوائها، أفلأنها ولدت المسيح إذن يجب أن تدعى مسيحة ؟، أو لأنها ولدت المخلص تجب أن تدعى مخلصة، أو لأنها ولدت المحيي يجب أن تدعى محيية، ولكننا نقول : أن مريم هي والدة الله حقاً لأنها ولدته بالجسد، ولا تدعى آلهة لأن بداية الله الذي ولدته لم تكن منها.

١- أشعياء ٧: ١٤
٢- أشعياء ٩: ١٦
٣- لوقا ١: ٣٥
٤- لوقا ١: ٣٥
٥- لوقا ٢: ١١

الفصل الثالث والثلاثون

لا ينبغي السجود إلى أية جهة سوى جهة الشرق

إن الله نور، ورأينا أن هذا النور المحسوس هو من الشرق، كما أن الخليقة لا تستنير لا من الجنوب ولا من الغرب ولا من الشمال، فمن الجهة التي ينير الله منها المسكونة ينبغي السجود له، وتجاه ذلك المكان السامي نقدم السجود له، ثم أن الله هو في السماء، والنور الذي ينيرنا عند صعوده من الشرق يتعالى نحو السماء حيث الموضع الذي فيه الله، وإن هو موجود في كل مكان دون حصر.

وأقول أيضاً : أننا نسجد نحو الشرق لكي نترجى ونبتغي من خلال سجودنا نحو الشرق، الفردوس أي موطننا الأول الذي سقطنا منه. كما أننا نسجد نحو الشرق لأن المسيح عندما علق على خشبة الصليب خارج الباب الجنوبي لأورشليم الذي خرج منه تجاه مدينة بيت عيرين والتي كانت تدعى الجمجمة، اتجه ونظر نحو الغرب، والآن هي ضمن المدينة. ونسجد نحو الشرق أيضاً منتظرين مجيء الرب الأخير من الشرق كما قال : " **لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب.. الخ** "[1]. ينبغي إذن تقديم السجود لله نحو الشرق.

١- متى ٢٤: ٢٧

الفصل الرابع والثلاثون

الميرون المقدس وماهيته
وماذا يدل تركيبه من العقاقير..

نقول : يرمز الميرون إلى المسيح الإله، يتضح ذلك في سفر نشيد الإنشاد بلسان الكنيسة للمسيح : " **اسمك دهن مهراق** "[١]، وكذلك من حجبه وتركيبه والطواف به، وبقية ما يتم في أثناء تقديسه.

ويُشير تركيبه من العقاقير إلى تركيب المسيح من اللاهوت والناسوت، والرائحة الذكية إلى المنح الإلهية التي منحها المسيح للجنس البشري. أما حجبه فلكي لا تتكشف الأسرار الإلهية لمن هم غير مستحقين، وحجب الكهنة إياه، إشارة إلى السرافيم الذين يحجبون اللاهوت في العرش الإلهي والمذابح الاثني عشر إشارة إلى الجوقات الاثنتي عشرة.

أما المراوح فإلى أجنحة السرافيم القديسين، والكهنة الذين يحجبونه هم الذين يبصرونه لأنهم يرمزون إلى الرسل، وبواسطتهم تمنح العطايا الإلهية للبشر، ومباخرهم تُشير إلى بشارة الإنجيل، أما انبثاق رائحة البخور من المذبح ورجوعه إلى مكانه فيُشير إلى أن الله ثابت، ولئن تناول منه الملائكة والبشر لنقائهم ومشابهتهم إياه بشكل ما.

أما عن تقديس هذا الزيت المقدس والذي به تتقدس جميع أسرار الكنيسة المقدسة، أي الهياكل والمذابح وأجران المعمودية وجميع الذين

١- نشيد الانشاد ١: ٣

يعتمدون، فلأن ربنا يسوع المسيح يتقدس بذاته إنسانياً، وإلهياً بالروح القدس، وخص تقديس هذا الزيت المقدس برئيس الكهنة (البطريرك وحده) إشارة إلى المسيح الذي يملؤنا من روحه القدوس ومن رائحته الذكية، أي جميع العطايا الإلهية، ويرمز هذا الزيت بنوع آخر إلى الرائحة الذكية لمناقب الكنيسة، أما حجبه عند تقديسه، فرمز إلى خفايا الله، واستتار فضائل الكنيسة والقديسين، والتي لا ينبغي كشفها لكل إنسان. ويحجبه الكهنة أثناء تقديسه على مثال السرافيم، ذلك لأن جوقة السرافيم القديسين يرافقون الألوهة السامية من خلال نقاوتهم السامية، ويتعلمون أسراره الإلهية ما أمكن، ويبلغونها إلى الجوقات التي تليهم، وهذا هو المقصود بأن الواحدة تدعو الأخرى دون فتور، لأنهم يتعلمون ويعرفون الأسرار الإلهية دائماً وإلى الأبد.

الفصل الخامس والثلاثون

الكهنوت السماوي والأرضي والمواهب الإلهية

لا يمكن لطبيعتنا البشرية أن تتشبّه بالله وتتحد به، إلاّ من خلال مِنَحِهِ، وعطية الكهنوت تفوق جميع العطايا، إذ بها نتشبّه بالله، لأن الله يمنحه بفيض نعمته فيهبط إلينا بواسطة الأجناد السماوية بالتتابع، ومنه وبه يُقام في الكنيسة رؤوساء الكهنة والكهنة والشمامسة، وبقية الرتب الكهنوتية.

فالكهنوت وسيط ما بين الله والبشر، وخدمة ما بين الخالق والمخلوقين تقدم عن المخلوقين، " **ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه، بل المدعو من الله، كما هارون أيضاً** " (١).

١- عبرانيين ٥: ٤

اشتق اسم الكهنوت من الخصب والوفرة لأنه يحتوي على كل الخيرات ويغني كل من يتقدم للحصول عليه، تسلسل إلينا لأن الأجناد الملائكية كرّست للخدمة عند خلقتها أيضاً، وعلى هذا المنوال خوّل الله آدم (سلطة الكهنوت)، ثم بلغ موسى وهارون في وقت آخر، حتى وصل إلى يوحنا المعمدان، فتسلمه منه ربنا في الأردن، فصار أول رئيس كهنة إيماننا، وبدوره سلّم الكهنوت لرسله لأقامة كنيسة أرضية.

فقد منح الله الكهنوت لثلاثة أمور :

أولاً : لخلاص البشر.

ثانياً : لغفران خطاياهم.

ثالثاً : لاتحادهم مع الله والتشبه به.

والكهنوت إما سماوي أو أرضي، والأرضي إما ناموسي أو كنسي، والكهنوت الكنسي وسيط ما بين كليهما وشريك لهما. فيشارك السماوي بالتأملات العقلية الروحية، أما مشاركته للناموس فلأنه يمارس بالأعمال المحسوسة. لذلك فكل رئاسة كهنوت تنقسم إلى ثلاث طغمات (رتب).

فالكهنوت السماوي ينقسم إلى ثلاث طغمات، فالطغمة الأولى تضم: **السرافيم والكروبيم والعروش**، وهؤلاء يلازمون العرش الإلهي على قدر الامكان ويستمدون منه الخيرات الإلهية ويتعلمون الأسرار الإلهية ويبلغونها إلى الطغمة الوسطى التي تليهم والتي تضم : **السادات والأجناد والسلاطين**، وهؤلاء أيضا يتسلمون من الطغمة التي فوقهم ويبلغونها إلى تلك الطغمة الأخيرة والتي تضم : **الرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة**. وهؤلاء يتسلمون من الطغمة الوسطى ويبلغونها

بدورهم إلى كهنوتنا هذا والذي ينقسم إلى ثلاث طغمات (رتب) وهي : **رؤساء الكهنة، الكهنة، الشمامسة.**

فرئيس الكهنة هو الذي يتسلم من طغمة السماويين الأخيرة، ويمنحها بقداسة للطغمة التي تليه أي الكهنة، وهو متمم كهنوتنا كله وجميع أسرار الكنيسة المقدسة والرسولية، ولئن كان الكهنة يمارسون الأسرار إلاّ أن رئيس الكهنة هو الذي يكملها وذلك لأن الكهنة يكرسون بواسطته، فهو الذي يقدس الزيت المقدس (الميرون) الذي به تتم أسرار (رموز) الكنيسة أي الهياكل والمذابح وأجران المعمودية، لأنه مثال للمسيح إلهنا ذلك الذي يتقدس إنسانياً برحمته، ويتقدس إلهياً بنعمته، كما أنه رمز لطغمة السرافيم القديسين الأولى الذي يمنح المواهب الإلهية ويسلمها للطغمات التي تليه بغزارة، لأن جميع الطغمات الأولى السماوية والأرضية تمنح ما لها لمن يليها، وتلك الأخرى لا تمنح ما لها لمن لا يلائمها.

اتضح إذن أن الرتبة الأولى لرئيس الكهنة هي مكملة ومتممة للأسرار كلها، وأن واجب رتبة الكهنة هو الإنارة والايصال إلى النور، ورتبه الشمامسة مطهرة ومميزة، إلاّ أن رئيس الكهنة له سلطان على جميع المواهب، التي له والتي تليه، والكاهن له سلطان على ما له وعلى ما يليه.

هكذا فإن جميع الرتب الأعلى لها حق التصرف بالرتب التي تليها، بينما لا يجوز للسفلى أن تسعى إلى كمال الرتب التي فوقها، وفي ما يخص رؤساء الكهنة والكهنة والشمامسة في ممارسة وضع اليد والاقتراب أمام المذبح والسجود أمامه ورسم إشارة الصليب والوعظ والسلام والافخارستيا وتناول (شركة) الأسرار.

✠ فلرئيس الكهنة خاصية وضع الإنجيل على رأسه مما لا يحق لآخرين، ويدل ذلك على أنه وحده الذي يتسلم كمال كهنوتنا كله نحن الأرضيين، لذلك يوضع عليه الإنجيل المقدس لأن فيه تتحصر عموما وبنوع إلهي جميع المعاني والفروض وممارسة رئاسة كهنوتنا الارضي.

✠ أما الكاهن فله السجود على ركبتيه بوجه خاص كما في رتبة الشمامسة. ويدل ذلك على أنه مخول أمرين كاملين وقونين، أي **الاستنارة والتطهير**.

✠ أما الشماس فإنه يجثو على ركبة واحدة وكأنه مخول على قوة واحدة أي **التكميل**.

✠ أما رئيس الكهنة فمع جثوه على الركبتين يوضع الكتاب المقدس على رأسه إشارة إلى الكمالات الثلاثة لرئاسة الكهنوت أي **التطهير والاستنارة والكمال**.

هكذا إذن يقترب من الله جميع الذين يأتون بإيمان، فالشمامسة يطهرون، والكهنة ينيرون، ورئيس الكهنة يستلم ويكمل. وأن دنّو الذين يكهنون أمام المذبح وركوعهم يشير إلى أنهم سلّموا حياتهم وقواهم كلها لله مكمل الكل الذي صار مذبحا طاهرا وإلهيا بإرادته ورحمته.

ويُشير وضع اليد عليهم إلى هبوط الكهنوت منه، وأنهم صاروا كأبناء تابعين للآب القدوس فثبتهم الله، ليتعلموا ممارسة خدمتهم المقدسة.

أما رسم إشارة الصليب فيُشير إلى موت شهوات الجسد، والحياة بالمسيح الذي صُلب عوضا عنا وحرّرنا من الخطيئة.

ويُشير الوعظ إلى أن رئيس الكهنة هو المكمل والمرشد المنتخب، وأن الله هو الذي حركه إلى ذلك لا من تلقاء نفسه.

ويُشير السلام الذي يمنحونهِ لرئيس الكهنة إلى الفرح والشركة التي صارت له على رئاسة الكهنوت كلها أي السماويين والأرضيين.

الفصل السادس والثلاثون

وجوب اقتبال المعمودية المقدسة والمطهرة والمنيرة وتنوير الذين يعتمدون ولماذا نُكمل هذه الرتبة بالماء

الإنسان مركب من النفس والجسد، والنفس روح لا ترى ولا يمكن لمسها، بينما الجسد مرئي ويمكن لمسه، وهو جسم، ولما كان الإنسان مركب من كليهما، وجب إذن ان يكون له نوعان من وسائل التطهير، واحد روحي يلائم النفس، وآخر يلائم الجسد، وأن الماء مطهر للجسد ومنظفه، فالأمور المتشابهة يمكنها أن تطهر الأمور المشابهة لها.

ولما كان الماء مطهراً للجسد لا النفس، ولأنها لا تتطهر بالماء، فتحتاج إذن، لكي تتنظف إلى ما يلائم طبيعتها. وعليه يفتقر الإنسان إلى غسل الجسد بالماء وإلى غسل النفس بالروح. وينبغي أن نعرف أن الإنسان من حيث كونه مركباً من كليهما أي من الجسد ومن الروح، استوجب أن يكون له غسل واحد مركب من الماء والروح ذلك الذي هو معموديتنا نحن المسيحيين.

فكل من يغتسل بالماء إذن فإنه يطهر جسده، والذي يغتسل بماء المعمودية المقدس والروحي، فإنه يغسل الجسد والروح معا، وكليهما يتطهران.

من لم يعتمد بالمعمودية الروحية لا تتطهر نفسه، ومن لم تتطهر نفسه لا يستحق غفران الخطايا ولا يدخل ملكوت السماء، بل يطرح إلى جهنم.

إذا قُلتَ : أرني روح المعمودية كما أرى الماء فأكون مؤمنا.

أقول : اسمع، أن الأجسام جميعها مرئية لأنها مركبة من العناصر الأربعة، وبما أن الماء أحد العناصر الأربعة فإنه مرئي، أما الروح القدس الذي يقدس الأنفس فإنه لا يرى لأنه ليس جسما، وكما أن النفس لا ترى ولا تقع تحت الحواس كذلك الذي يقدسها أيضا.

✠ وأن تعليم المعتمدين الصلاة الربية، يُشير إلى أنهم صاروا من الآن أبناءً لله، وتحرّروا من ربقة الشر ومن كونهم أبناء الغضب.

✠ ويُشير نزع الثياب إلى خلعهم السيرة العتيقة والذميمة والبعيدة عن الله.

✠ ويُشير اتجاهه نحو الغرب وجحده الشيطان إلى جحده ونبذه الظلام كله وأغواء الأبالسة ورئيسهم الثلاب.

✠ والقَسَم هو الحرب مع الشيطان، والابتهال إلى الديّان ليتحرر المعتمد من عبودية المارد الشرير.

✠ والاتجاه نحو الشرق أي العودة إلى النور الإلهي، ويدل الاعتراف بالمسيح الابتعاد عن الشيطان والاقتراب من الله.

✠ أما ختمه في جبهته، فلكي يكون رهيبا تجاه الشياطين لدى رؤيته، كما حدث في مصر إذ كان يخاف (الملاك) المُهلك أن يقترب من الأبواب التي كانت عليها إشارة (علامة) الصليب [1].

١- انظر سفر الخروج الإصحاح ١٢

- ✠ الاشبين : هو معلم السيرة الكنسية والمرشد إلى طريق الحق، إذ يعلن عن طهارة المتقدم (للعماد) بأنه لا يتقدم بنفسه إلى ما هو أسمى منه بل بوساطة آخر.
- ✠ وتُشير كتابة اسمه إلى أنه كتب في سفر الحياة، ومسح جسده كله بالزيت إشارة إلى نزوله إلى ميدان الجهاد ضد الشيطان، لأن من ينزل إلى حومة الجهاد يمسح بالزيت كي يفلت من يدي من يقاتله، فالزيت هو السلاح الذي لا يقهر ضد الأبالسة.
- ✠ وجرن المعمودية يمثل قبر المسيح، كما يمثل الماء الذي فيه الرحم الذي يلد أبناء روحيين وغير مائتين وغير قابلي الفساد، كما في القيامة.
- ✠ العماد هو ولادة ثانية، والمقصود بغطسات ثلاث، مكوث ربنا في القبر ثلاثة أيام، أما قول الكاهن : " يعمد فلان " ولا يقول " أنا أُعمدك " يدل إلى أن هذا الأمر الخطير ليس منه، وإنما منح له بالنعمة.
- ✠ خروج المعتمد من الجرن رمز لقيامة الرب من القبر.
- ✠ الغاية من الختم بالميرون بعد العماد هي نوال المعتمد رائحة طيبة وروحية بواسطة الختم، كما أنه مكمل للمواهب الإلهية.
- ✠ وضع الإكليل على رأسه (المعتمد) يرمز إلى الحرية التي نالها من المسيح بالعماد إذ أعتقه من الشيطان.
- ✠ الدخول إلى الهيكل في احتفال، يُشير إلى الدخول إلى ملكوت السماء وإلى الفردوس الذي خرج منه آدم وإلى فرح الملائكة من أجله.
- ✠ الدخول إلى المذبح، إشارة إلى الاقتراب من شجرة الحياة التي نهى عنها آدم.

✠ أما تناول الأسرار، فالغاية منه اتحاد المعتمد بكلمة الله وصيرورته عضوا فيه، وذبح العجل المعلوف لأنه كان ميتا فعاش [١] و.. الخ.

- إن **المسيح اختار الماء مادة لسر المعمودية** لاعتبارات كثيرة :

أولاً : لأن الجبلة الأولى للإنسان تمت بالماء، فيجب أن تتم الجبلة الثانية بالماء أيضا.

ثانياً : لسهولة وجوده في كل مكان للأغنياء والفقراء، فلو لم يكن وجوده سهلا لحدث أن يحرم الكثيرون منها، فأصبح إذن سبباً لخلاص النفوس.

ثالثاً : كما أن أدران الجسد تغسل بالماء هكذا العماد بالماء والروح يغسل أدران النفس أي الخطيئة.

رابعاً : لأن الماء اكتسب قوة التوليد والنمو الطبيعيين منذ البدء كما قيل [٢] (في سفر التكوين)، كذلك في المعمودية (هنا) يولدون أبناء روحيين أيضاً.

خامساً : أنك عندما تحدق بالماء تشاهد شكلا آخر، وعندما تنزل إلى المعمودية تخرج منها واحد آخر أي جديد بدل العتيق.

سادساً : بالماء تمحى الكتابات، وبماء المعمودية يمحى صك الذنوب الذي كتبه آدم.

١- انظر إنجيل لوقا ١٥: ١١-٢٤

٢- تكوين ١: ٢ والنص " لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ".

سابعاً : أن الماء يقوي الضعفاء، كالحديد الذي يضعف ويذوب بالنار ويتقوى ويشتد عند غطسه بالماء، هكذا يتقوى الذين وهنوا وضعفوا من عمل الضلال في ممارسة الفضائل بواسطة ماء المعمودية.

ثامناً : لقد اكتسب الماء طبيعة باردة ورطبة ليتصارع ضد عنصر النار الحار واليابس، لذلك نعتمد بالماء الذي يضعف عنا حرارة نار جهنم ويخمدها.

تاسعاً : أن الآنية الخزفية التي شُويت بالنار تفسد وتتلف ما لم تتبلّل بالماء، هكذا نحن أيضاً فلكوننا آنية خزفية ما لم نبلّل بماء المعمودية نعود إلى تلك الطبيعة الترابية الأولى.

عاشراً : لاتخاذ الماء عينه رمزاً للمعمودية منذ البدء، كانغلاق البحر (١)، والأردن (٢)، وتطهر نعمان السرياني في نهر الأردن (٣)، والساقية التي رآها حزقيال (٤)، ومعمودية شيلوحا. وكما كانت خِطبة رفقة وراحيل وصيفورة على الماء، هكذا كانت خِطبة البيعة المقدسة على ماء المعمودية أيضاً.

وقصارى القول، بما أن الماء اكتسب قوة طبيعية، ولأن به كان القصاص الأول، فبالماء أيضاً بدأت الرحمة ونعمة الله.

١- أي البحر الأحمر الذي اعتمد فيه موسى مع بني إسرائيل كما ورد في سفر التكوين، الإصحاح ١٤.

٢- انظر الإصحاح الثالث والرابع من سفر يشوع.

٣- انظر عن حادثة تطهير نعمان السرياني سفر الملوك الثاني ٥

٤- حزقيال الإصحاح ٤٧

الفصل السابع والثلاثون

وجوب تناول جسد المسيح
الذي أُعِدّ من الخبز، والدم من الخمر
ومن لا يتناول فهو غريب عن الله ومذنب
وإيضاح ما يتم وقت القداس

إن للإنسان نوعين من الغذاء، الأول من الخبز وهو قوام الجسد، والآخر التأمل في مجد الله الذي هو غذاء النفس، وكل ما من شأنه تبرير النفس، إنما يأتيها بواسطة الجسد ومن خلال ما يشابهها، فمن الواجب إذن أن تقتات النفس بالغذاء الذي يصلح لها كالتي هي غذاء هذا الجسد الخارجي وتؤخذ باليد من خلال الخبز الذي هو الغذاء الأساس، والشراب الذي هو الخمر، فعندما يتقدس هذان العنصران ويصيران إلى جسد ودم المسيح الرب ويتناوله الإنسان، حينئذ تحصل النفس من خلاله على الحالة الروحية المستترة فيه، فتتغذى روحيا، وكلاهما يغتذيان، هذا من طبيعة الخبز، وتلك من الحالة الروحية الخفية، فيكونان كلاهما غذاءين بواسطة التركيب الذي حصل من الجسد والروح للإنسان المركب من الجسد والروح، وهكذا فالاسم مركب من الماء والخمر والروح، فمن الضرورة إذن أن تتناول جسد الرب ودمه قوتاً روحيا للنفس.

ونقول أيضاً بأننا نتناول جسد الله ودمه. فكما أن النار عند اتحادها بالحديد تكسبه تأثيرا فينير ويحرق مثلها، هكذا المسيح عندما تناول خبزا وخمرا صيّرهما جسده ودمه حقا، وأكسبهما قوة وقداسة، وعندما نتناولهما يزيلان عنا الموت، ويكسباننا حياة لا تموت.

ومثلما تجذب الخميرة إليها العجينة كلها، هكذا الأسرار المقدسة تجذبنا إلى عدم الموت. لقد ألَّه الكلمة، الجسد باتحاده به وصيّره إلهاً لا بطبعه بل بتأثيره، هكذا يُقال عن الجسد الذي أكلناه بأنه ولد وكان من عذراء لا بالطبع بل بالاتحاد مع كلمة الله.

وكما أن الذين يأكلون ويشربون سمّاً قاتلاً ومميتاً نتيجة الغش، يحتاجون إلى دواء ناجع، فمتى تناولوه وشربوه أُبطل عنهم مفعول ذلك الأول المميت، هكذا نحن أيضاً إذ خدعنا الشيطان وأكلنا من الثمرة المُهلكة واستسلمنا للخطيئة والموت، احتجنا إلى دواء محي يبطل تأثيره السيء، وهذا الدواء هو جسد كلمة الله ودمه، فقد قال : " **من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير** "[١]، وعندما نتناول جسده ونشرب دمه يستأصل منا الخطيئة بالقداسة ويبطل عنا الموت من خلال اكتسابنا حياة لا تموت، وكما أن الخبز والخمر اللذين أخذهما المسيح بيديه تقدسا وكملا بقوله : " **هذا هو جسدي وهذا هو دمي** "[٢] واستحالا إلى جسده ودمه فعلاً وحقيقة، هكذا الخبز والخمر الموضوعان على المذبح يستحيلان إلى جسد المسيح بتضرع الكاهن وابتهاله إلى الله الآب، كما قال بولس (الرسول) : " **تقدس بكلمة الله والصلاة** "[٣].

ـ نتكلم الآن عمّا يتم **أثناء تقديم الذبيحة** :

أولاً : عن الكمية ورفع البرشانة.

ليقدم الكاهن برشانة واحدة، إشارة إلى أن الكلمة الذي تجسد هو واحد.

ثانياً : إشارة إلى أننا نعرف المسيح ابناً واحداً من اللاهوت والناسوت.

١- يوحنا ٦: ٥٤ ٢- متى ٢٦: ٢٦ و ٢٨ ٣- تيموثاوس الأولى ٤: ٥

ثالثاً : يجب أن تكون بقية البرشانات المرفوعة فرادى (فردية)، إشارة إلى أن طبيعة الثالوث الأقدس والأقانيم الثلاثة هي واحدة.

ويجب أن لا ينقص شيء من البرشانات المرفوعة، وإنما يجوز الإضافة إليها كلما اقتضت الضرورة ما دام المنديل مفروشا، غير أنها تكون فرادى كما قلنا لا أزواجاً ما عدا الاثنين، إشارة إلى الوقت الذي أمضاه المسيح في القبر والحجر موضوع على بابه، حسب اليوم الأول والثاني والثالث، وبعد أن قام من القبر ورفع الحجر لم تحسب الأيام. هكذا فبإمكان إضافة البرشان، كلما كان المنديل مبسوطاً والذي هو إشارة إلى الحجر ولا يجوز الإضافة بعد رفعه، توضع البرشانة في البداية من جهة اليسار بينما يرفع الكاهن الكأس من جهة اليمين إشارة إلى الكبد مصدر الدم الذي هو في جهة اليمين.

أما جمع الكاهن ووضعه الجسد (الخبز) من جهة الغرب، والكأس من جهة الشرق فذاك تعبير عن جسد تواضعنا الذي لبسه ربنا والذي كان ملوثاً بأعمال اليسار، وعن الذي كان ممتطياً الشرق فظهر على مغرب تواضعنا. وكما يجري دم القتيل أمامه، هكذا الخمر الموضوعة أمام الجسد.

ـ تقرأ أسفار العهد القديم والجديد لأنها تزوّد النفس بالغذاء الروحي كالخبز والماء بالنسبة إلى الجسد.

تتقدم تلاوة العهد القديم ليشهد لحقيقة العهد الجديد الذي يعقبه فورا كي يعلن أن ما قيل في العهد القديم قد كمل. وأخيرا يُتلى الإنجيل مثلما يتقدم الرسل الملك عند زيارته بلدا ما لينشروا خبر زيارته، هكذا تتلى الأنبياء والرسل الذين هم رسل الكلمة، ويتلى الإنجيل بعد ذلك.

✠ يُشير المذبح إلى موضع قبر المسيح.

✠ الخبز والخمر يرمزان إلى الجسد والدم.

✠ أما تقديمنا الخمير لا الفطير كما يفعل الأرمن الغلاظ العقل، فلأن اسم الخبز مشتق من الخمير والحياة، واسم الفطير من الموت أي القمح والماء فقط، وكلما وردت في الكتاب لفظة " الخبز " فإنما تدل على الخمير لا الفطير.

استعمل موسى الفطير مكان الخبز في تقدماته لأنه كان يخدم الظل، ولم يقل المسيح أنا هو الفطير الذي نزل من السماء بل خبز الحياة [1]، وسمّى بولس الجسد خبزاً لا فطيراً [2]، وقال ربنا : " **يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق** " [3]، لأن الخمير كان الكلمة الذي عجن نفسه في ثلاث قبائل أبناء نوح فخمرتها بالإيمان. وكان موسى يقدم خبزاً في عيد العنصرة.

ويجب أن تتوفر في خبز التقدمة أربعة عناصر : دقيق البر، إشارة إلى عنصر التراب، والماء، إشارة إلى عنصر الماء، والخمير، إشارة إلى عنصر الهواء، والملح، إشارة إلى عنصر النار، هذه العناصر الأربعة التي يتكون الجسد منها، وزيت الزيتون، إشارة إلى النفس التي اتحد بها ربّنا، والخمير يمثل المسيح والإيمان والنفس.

والكأس الممزوجة من الخمر والماء إشارة إلى الدم والماء اللذين جريا من جنب المسيح عند طعنه بالحربة على الصليب لا الدم فقط.

+ **يمثل الكاهن المسيح في أربع نقاط :**

١ـ يمثل المسيح باعتباره لسان حاله (إذ يلفظ نفس الكلمات التي لفظها يسوع المسيح في العشاء السري).

٢ـ ينوب عن الشعب فيرفع الصلاة إلى الله من أجلهم.

١- يوحنا ٦: ٥٨ ٢- كورنثوس الأولى ١٠: ١٦ و ١١: ٢٣

٣- متى ١٣: ٣٣

٣- يصور الأمور الروحية بواسطة الأسرار الحسّية.
٤- وبالتالي يقف وسيطا بين الله والبشر.

ويحتل الشمامسة مكان اللاويين، ويمثلون شبه الملائكة الذين تراءوا عند رأس وقدمي يسوع، ويُشير الاورار (أو الهرار) على أكتافهم إلى خضوعهم.

والمبخرة تُشير إلى العذراء، والنار إلى كلمة الله الذي حملته في أحشائها، ورائحة البخور إلى قداسة الاتحاد الطبيعي.

وخروج (الشماس) من جهة المشرق وطوافه (دورته) في عموم الهيكل، وأخذه رضى المؤمنين ثم عودته إلى قدس الأقداس، إشارة إلى تجوال المسيح في العالم وأخذه رضى الرسل والذين تتلمذوا له، ثم عودته إلى أبيه.

تلاوة قانون الإيمان من قبل المؤمنين هو عربون اعترافاتهم بأننا نؤمن بإله واحد، هذا الاعتراف يحمله الشماس ويصعده للابن والملك الذي سيقدّم ذبيحة.

يقدم خبز القربان إلى المذبح في اليوم الذي يخبز فيه فقط، ولا يجوز أن يفضل منه إلى يوم آخر، وذلك أسوة بالمنّ السماوي إذ كان الشعب يلتقط منه حاجة اليوم بيومه جديدا للأكل، وإذا ما تبقى شيء منه إلى يوم آخر نتن وفسد [١]، ويدل كونه جديدا لكي نتجدّد في أعمالنا ونزيل عنا عتق الخطيئة، ويقدم مرة واحدة على المذبح لأن مائدة الحياة تُشير إلى القبر كما قلنا. والمسيح دفن بالجسد مرة واحدة لا مرارا.

١- انظر خروج الإصحاح ١٦

نصوم ثم نتناول الأسرار، لأننا بسبب الشراهة والأكل سقطنا من شجرة الحياة، وبواسطة الصوم نتغلب على الشراهة، وحينئذٍ نتناول ثمرة الحياة التي هي جسد المسيح.

الغسل قبل تقديم الأسرار، هو تذكير الشعب لكي يغسلوا هم أيضاً قلوبهم من جميع الأفكار العالمية، وغسل الكاهن يديه قبل تقديم الأسرار، يعلن عن أنه يقرّب نيّته أمام المسيح، أما غسله رؤوس أصابعه فقط، فكأنه تطهر من الخطيئة كلها ولم يبق فيه إلاّ بعض الهفوات الصغيرة والزلات اليسيرة.

والسلام الذي يمنحه المؤمنون لبعضهم بعضاً، يُشير إلى أنهم مستعدون للاشتراك مع الله الكلمة بواسطة جسده، ولا يمكن أن يحدث ذلك عندما نكون منقسمين على ذواتنا وعلى بعضنا بعضاً. ونعطي السلام لنبرهن على أنه مثلما أن لنا من الخارج عناق المحبة والروح هكذا لنا من الداخل محبة وسلام، ولكي نكمل كلام ربنا القائل :

" **فإن قدمت.. فاترك هناك قربانك واذهب اصطلح مع أخيك** " (١).

ولا يجوز لأحد في القداس السجود، لأن السجود يمثل علامة سقوطنا، ويمثل القداس قيامتنا، وإنما نحني رؤوسنا وأعناقنا فقط كقول الشماس والكاهن.

وقول الشماس : **لنقف حسناً**، إشارة إلى سقوط الشيطان لأنه عند سقوطه هتف أحد الجنود السماوية وثبت الملائكة الذين كانوا واقفين بفزع.

١- متى ٥: ٢٣

أما جماعة المؤمنين الذين وراء الشمامسة، فإشارة إلى الملائكة القديسين الذين لم يسقطوا، ومثلما ينصت المؤمنون إلى الشمامسة هكذا الملائكة ينصتون إلى الكلمة الإلهية الهاتفة : **قفوا حسناً**، وفي هذا الحين تنفتح أبواب السماء وتهبط الجنود السماوية وأرواح الأبرار الكاملين لتكريم الأسرار، ويتضح ذلك من أن الشمامسة وقتئذٍ يقبضون على المراوح التي هي إشارة إلى أجنحة السرافيم.

وقول الكاهن : **لتكن عقولنا وأفكارنا وقلوبنا فوق**، أي بعد أن انكشف الأسرار المقدسة لهم وانفتحت أبواب السماء ونزل الملائكة لتكريم الأسرار يجب أن تكون عقولنا وأفكارنا فوق لا إلى أسفل في الأرضيات، ويجاوب الشعب بان أفكارهم وعقولهم هي لدى الرب الإله كما أمرت وقلت.

والصلبان التي يرسمها الكاهن على البرشانة، إشارة إلى أن الهبات الموضوعة تتقدس بصليبه وبإرادة أبيه وتأييد روحه القدوس، ثم أن هذا الرسم الأول والتقديس بواسطة ختم الصلبان يرمز إلى التقديس السري الذي كان في العلية ذلك المساء.

ولما يأخذ البرشانة يكسرها قليلا بحيث لا ينفصل النصفان عن بعضهما، إشارة إلى أن (الرب) عندما كسر جسده في العلية ووزع لتلاميذه كان مائتاً، ولكن بالحقيقة لم تنفصل نفسه عن جسده على الصليب حتى يوم الجمعة حيث الكسر الأخير، الذي هو رمز إلى الموت الذي ذاقه ربنا بالجسد من أجلنا. لذلك يجب أن لا يفصل النصفين عن بعضهما. كما يُشير إلى أن المسيح ولئن كسر على الصليب ومات وانفصلت نفسه عن جسده، إلاّ أن لاهوته لم يفارق أو ينفصل عن نفسه وجسده، بل لبث متحدا بنفسه وجسده اتحاداً طبيعيا وأقنوميا، وعليه يجب على الكاهن أن يكون

حريصاً عند كسره البرشانة في ذلك الحين، وأن يكسرها قليلاً وبهدوء ولا يفصل النصفين عن بعضهما بسبب هذا السر، وبعد دعوة الروح يذكر الكنيسة المقدسة وجميع رتبها، وحينئذٍ يكسر راسماً إذ يمسك البرشانة بكلتا يديه أولاً ثم يكسرها نصفين، ويدل ذلك على أن الكلمة تألم ومات بالجسد حقيقة، وذبح وكسر على الصليب.

وتناوله جزءاً من الخبز وغمسه إياه بالدم، ثم لطخ البرشانة به من وسطها إشارة إلى أن جسد الرب طعن بالحربة، أما رسمها فيبين أن هذا القتيل كان مضرجاً بدمائه في العلية عندما قال : " **هذا هو دمي** "[1]، وعلى الصليب عندما طعن جنبه بالحربة فخرج منها دم وماء وتضرج بهما، وأخذه من الدم ورسمه على الجسد يمثل اتحاد النفس بالجسد ويبين أنه بعد انفصال نفس الكلمة عن جسده، عادت نفسه واتحدت بجسده ثانية، في حين أن لاهوته لم ينفصل قط، لا من جسده ولا من نفسه ولن ينفصل.

والخبز يمثل جسد كلمة الله، والخمر نفسه، لأن الدم إشارة إلى النفس، كما هو مكتوب : " **نفس كل إنسان دمه** "[2]، وبعد رسم الدم على الجسد يوحّد نصفي البرشانة إلى بعضهما، مُشيراً بذلك إلى أن عمانوئيل هو واحد ولا ينقسم من بعد الاتحاد إلى طبيعتين، كما ويُشير إلى أنه بذبحه على الصليب، صالح بدم صليبه ووحّد ووفّق بين السماويين والأرضيين، والشعب مع الشعوب، والنفس مع الجسد، أما إدارة الختم بشكل دائري فيُشير إلى أنه ذبح على الصليب عن الخطية التي أحاطت بالعالم، وتحويل الختم إلى اليمين في المرة الأولى بشكل دائري دلالة على أنه ذبح عن خطيئة العالم كله، ورجوعه في المرة الثانية من الشمال إلى اليمين إشارة إلى أن ربّنا أعادنا من المسلك اليساري أي الضلال إلى اليمين. أما توحيد

١- متى ٢٦: ٢٨ ٢- لاويين ١٧: ١٤ وتثنية ١٢: ٢٣-٢٤

النصفين ببعضهما، فيُشير إلى أنه بعد موته على الصليب، وحّد السماويين والأرضيين، وجلبه من الدم (الخمر) إلى الجسد (الخبز) مع الرسم لا من الجسد إلى الدم، ذلك لأن الدم إشارة إلى النفس وأن تلك النفس رجعت واتحدت بالجسد عند قيامته من بين الأموات، لا الجسد انطلق واتحد بالنفس.

أما طرح الجمرة في الكأس، فيُشير إلى أن هذا الدم هو لهذا الجسد وليس لجسد آخر، ويدل أيضا على أن الخبز والخمر وإن وُضعا في إناءين إلاّ أنهما جسد واحد خاص بالله الكلمة.

ووضع الجمرة جانبا يمثل الشيء الأسمى والأهم الذي يُعطى للكاملين دون غيرهم. وعلى الكاهن الذي يكسر البرشانة، أن لا يكسر الجزء الواحد إلى جزءين أو ثلاثة لئلا يتلف رسم الصليب الذي عليه.

ثم تتلى الصلاة الربانية وفيها اعتراف بالعماد وكنوز الخيرات وتجنب السيئات، والرجاء وغفران الخطايا، وطلب الحاجات.

يقول الشماس بعد ذلك : **لنحدق بخوف**، أي : التطلع إلى هذه الأسرار التي هي أسمى من العالم، بخوف ورعدة، ثم يهتف الكاهن قائلا : **الأسرار يجب أن تُعطى للقديسين** فيجيب الشعب قائلا : ليس قدوسا إلاَ الله الآب والابن والروح.

أما رفع الأسرار وتزييحها بيدي الكاهن، فإشارة إلى صعود ربنا إلى السماء. ورفعه الكأس والصينية إلى فوق في الهواء، إشارة إلى ارتفاع ربنا بسحابة ودخوله مجده.

و**الأسرار للقديسين**، أي : النفس والجسد والعقل التي تقدست بالآب والابن والروح القدس.

وكما تناول ربنا من جسده ودمه في العلية أولاً، هكذا يتناول الكاهن من الأسرار أولاً، أما توزيعه الأسرار على الإكليروس والشعب، فإشارة إلى توزيع ربنا جسده ودمه لتلاميذه، وتناول الكاهن أولاً يشهد على حقيقة ما كمل، كما أن تناول الأسرار دلالة على قبول رؤية المسيح.

تُشير الملعقة إلى الملقط الذي أخذ به السرافي الجمرة ومسَّ بها فم أشعياء [١].

اليد اليمنى المنبسطة المحمولة من قبل اليسرى، إشارة إلى تكريم الموهبة الممنوحة، والتي هي عربون الحياة التي لا تموت.

والصلاة بعد القداس، إشارة إلى الشكر والسجود اللذين يوفيهما الإنسان بعد تناوله الموهبة.

ــ وهذا ما فيه الكفاية لإيضاح ما يتم أثناء تقديس الأسرار المقدسة.

١- أشعياء ٦ : ٦ و ٧

الفصل الثامن والثلاثون

بداية السيرة الرهبانية
وماذا يُشير الثوب الأسود الذي يرتديه الرهبان ؟

كانت بداية الرهبنة في العالم من أبناء ألوهيم [1]، ثم تعاقبت حيث بلغت النبيين إيليا وأليشع وسائر الأنبياء، وهكذا حتى وصلت إلى يوحنا والرسل.

ولئن كان هؤلاء ظاهريا فقط، إلاّ أنهم كانوا يسلكون سيرة حسنة بالعمل والإرادة والوحدة والبتولية والعفة. وقد أعلنها ربنا بشخصه منذ ولادته حتى عماده، إذ كان يسير بحسب الشريعة، كما علـّمها لنا نحن المسيحيين وابناء العالم من عماده حتى قيامته، وعلـّم طريق الرهبنة في فترة الأربعين يوما من قيامته إلى صعوده فلم يأكل لحما غير قليل من السمك والعسل والخبز والخمر، وبذلك علـّمنا كيف نمتنع عن أكل اللحم.

إن الحيوانات التي تأكل اللحم هي وحشية، أما التي تأكل العشب فمسالمة وهادئة، وبما أن الراهب يعتبر مائتا عن العالم فلا يجب أن يحيا المائت حياة أبناء هذا العالم، لذا لم يعتد الرهبان (المتوحدون) القديسون على أكل اللحم، كإيليا ويوحنا المعمدان والآباء القديسين والملافنة باسيليوس وغريغوريوس ورفاقهم.

إن أول مبادرة لتناول البقول وارتداء اسكيم الرهبنة كانت من قبل **أنطونيوس**.

١- انظر تكوين ٦: ٢

✠ إن اسم الراهب يشتق من حظيرة لأن الدير أي الحظيرة الروحية يحمي الرهبان من الذئاب واللصوص، كذلك يدعى الرهبان " **نساكاً** " لأنهم يرضون الله بسيرتهم الحسنة، ويُدعون " **متوحدين** " أيضاً لأنهم ينزلون وحيد الله في نفوسهم.

✠ **وتعريف الرهبنة** : هو مقاومة الطبيعة باستمرار، ويجب على الراهب أن يحارب ضد الشهوات بالصوم والصلاة وأعمال الفضيلة دائماً.

✠ لا يجثو المرتسم على ركبتيه إنما يقف وراء الكاهن الذي يرسمه، إشارة إلى أن نظام الرهبنة لا يحارب الآخرين، بل يعطي عهداً مقدساً.

✠ ووقوفه إلى جانب الكاهن إشارة إلى ضمّه إلى صفوف الكهنة واقترابه من الأسرار (الأقداس) أكثر من الآخرين. ويدل مقته ونبذه الأهواء القبيحة وأوهامها المؤذية على فلسفة الرهبان الكاملة والتي تتحقق بحفظ الوصايا الإلهية.

✠ وخلعه الزنار الأول، إشارة إلى خلعه جميع ما يتعلق بالماديات، وبنزعه الثوب القديم ينزع عنه شهوات العالم الرديئة كلها، ويصور بسط يديه أنه قد تصور شبه الصليب الموقر فصلب العالم وأهواءه.

✠ أما رسم الصليب على وجهه فلكي يكون مخوفاً على الشياطين بواسطة الصليب المقدس، ويدل الصليب أيضاً على موت الشهوات وموته عن العالم.

✠ يدل قص الشعر على أنه بطرح الشعر الميت يطرح عنه العالم وموت الخطيئة، ومثلما يطرح الشعر عن رأسه هكذا يجب أن يطرح عنه الخطيئة.

✠ ويرمز سواد الثوب إلى حزن الإنسان على خطيئته، كالذي يرتدي السواد حزناً على ميّته. قال ربنا : " **طوبى للحزانى لأنهم يعزّون** " [1].

✠ تُشير القلنسوة إلى الهزء والعار من أجل المسيح، كما قيل : " **طوبى لكم إذا عيّروكم** " [2]، وترمز أيضا إلى خوذة الجندي والقميص إلى الدرع الذي يتمنطق به.

✠ ويُشير الزنار (الحزام) إلى استعداد الراهب لحفظ الوصايا النافعة، كالإنسان الذي يخرج للقتال، فإنه يشد وسطه ليقاتل عدوّه، كما قال ربنا : " **لتكن أحقاؤكم ممنطقة** " [3]، فالجلد إشارة إلى نطاق إيليا ويوحنا، وكما أن الجلد ميت هكذا يجب أن يميت الراهب جسده من جميع الميول والشهوات، وبربط الزنار يكون الراهب قد ربط نفسه عن شهوات الزنى التي تصدر عن الظهر.

✠ ويُشير الخف الذي يحتذيه إلى البدء في توجيه خطواته نحو طريق القداسة، كما قيل : " **حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام** " [4]، والصليب الذي على كتفه، إشارة إلى أن " **من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني** " [5].

١- متى ٥: ٤ ٢- متى ٥: ١١ ، لوقا ٦: ٢٢

٣- لوقا ١٢: ٣٥ ، وأفسس ٦: ١٤ ، ورسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٣

٤- أفسس ٦: ١٥ ٥- متى ١٠: ٣٨ و ١٦: ٢٤

✠ وغسل قدميه دلالة على أنه تطهّر من الخطيئة، ويدل السلام الذي " **يجب علينا أن نفرح لأن أخينا هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد** " (١).

✠ أما مشاركتهم إياه في الأسرار فللدلالة على عودته إلى حظيرة الحياة، كالابن الضال يُذبح له الثور المسمّن الذي يمثل المسيح.

✠ علينا الآن أن نبحث أيضاً عن :
السبب الذي من أجله يرتدي الرهبان الصوف، ولماذا لا يتزوجون، ولماذا كان نساك العهد القديم يمتنعون عن نتاج الكرمة ويأكلون اللحم، بينما نساك أي رهبان العهد الجديد يتقوّتون من نتاج الكرمة ولا يأكلون اللحم ؟

✠ نقول : **أنهم يرتدون الصوف تشبهاً بالمسيح الذي نعت بالحمل، " وكنعجة صامتة أمام جازّيها "** (٢)، ولهذا السبب يرتدي الرهبان الصوف دلالة على أنهم لابسين المسيح، وليبرهنوا أيضاً على أنهم لم يرتدوا ثوباً أرضياً كالآخرين، إضافة إلى ذلك، شكل الثوب الذي يدل على الحزن. **أما أنهم لا يتزوجون فليس لأنهم يحسبون الزواج دنساً، بل لأنهم علقوا أنظارهم بالله الواحد فأكرموا وحدة طبيعته**، وصاروا من ثم متوحدين أيضا، كما تجنّبوا من أن يدعوا آباء وإن كانوا أبناء، وإنما متوحدين فقط لأن الله واحد، وكذلك لرؤيتهم الملائكة القديسين، فهم بدون زواج خدّام قادرون على تنفيذ أوامر الله، ويفعلون ذلك دون فتور، فأحبوا واختاروا أن يكونوا على مثالهم لكي يستطيعوا أن يكونوا خدّاماً لله وملائكة جسديين، ثم لأنّ المرأة بغوايتها أعاقت رئيس جنسنا عن التأمل بالأمور

١- لوقا ١٥: ٢٤
١- أشعياء ٥٣: ٧، وفي أعمال الرسل : ٣٢: " مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزّه هكذا لم يفتح فاه ".

المجيدة، فأُبعد عن الفردوس وحُكم عليه بالموت، لذلك ابتعدوا عن الزواج ومعاشرة النساء كي لا يُعاقوا عن التأمل والمخاطبة مع الله، ومن ثم لا يرتمون إلى الضعف فيستوجب عليهم موت الخطيئة. وبما أنه لا مجال للقلب لاستيعاب حُبّين، ولأن محبة العالم هي عداوة الله وهي لا تخضع لنواميسه، ولكي يضطرموا بمحبة الله ويجنّدوا أنفسهم لها تماما، فقد تجنّبوا الاقتران بالمرأة والزواج، كما يقول بولس (الرسول) : " **وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته**[١]... **لتكون جسداً وروحاً** "[٢].

نقول : بأن هذه السيرة سبق أن انتظم فيها رؤساء آبائنا في جنة الفردوس، لذلك احترم الرهبان تلك السيرة الأولى، لأن قانون الزواج أكثر موافقة لاجتياز الوصية.

وكان النساك في العهد القديم يمتنعون عن شرب الخمر، أما نساك العهد الجديد فإنهم إضافة إلى ذلك يمتنعون عن اللحم أيضا وذلك لأسباب عديدة :

١ـ كانت الذبائح في **العهد القديم لحمية**، ولم يكن حسنا أن يمتنعوا عن ذبائحهم. بينما تقدمة **العهد الجديد هي من الخبز والخمر**، فلا يجب ولا يليق أن يمتنع هؤلاء عن قرابينهم أيضا.

٢ـ كان **الأولون يهتمون بأعمال الجسد**، أما في **العهد الجديد فبأعمال الروح**.

٣ـ **قال ربنا : " أنا الكرمة الحقيقية** "[٣] إزاء كرمة بني إسرائيل الزائفة التي أنتجت خرنوبا رديئا، **فهؤلاء لم يتطعموا بالمسيح الكرمة الحقيقية، أما نحن فقد تطعَّمنا وصرنا أغصانا، وتلذّذنا من نتاج الكرمة روحياً**.

١- كورنثوس الأولى ٧: ٣٣ ٢- كورنثوس الثانية ٧: ٣٤ ٣- يوحنا ١٥: ١

٤ـ لأن جميع الحيوانات والطيور آكلة اللحم هي شديدة الغضب ومفترسة كما قلنا، أما آكلة العشب فوديعة ومسالمة. فنظام الرهبان دُعي للمسالمة والتواضع وتوشحهما، وبهذا الشكل نراه بعيداً عن أكل اللحم. وهذا مسك الختام.

الفصل التاسع والثلاثون

الكنيسة المقدسة وما رتب ووضع فيها وتفسير الأسرار وفروض الصلوات كلها

بما أننا كنّا قد شرحنا تفسير الأسرار وطقوس الكنيسة كلها بإسهاب، وأن ما أوردناه هنا عن الميرون والمعمودية وسر القربان وبقية الأسرار، فقد تحدثنا فيه باختصار وإيجاز.

يجب أن نتكلم في هذا الفصل عن الكنيسة ورموزها ورتبها، أولاً عن الكنيسة ثم ما يعقب ذلك بالتدريج.

✠ إن البيعة لفظة عبرية معناها بالسريانية جماعة الله، لأنه ليس كل جماعة كنيسة وإنما كل كنيسة هي جماعة لأنها مجتمعة باسم الله، والهياكل التي يطلق عليها عادة بيعة، تدعى هكذا مجازياً واشتقاقاً من جماعة المؤمنين الذين اجتمعوا فيها، قال القديس كيرلس : " أنك متى سمّيت كنيسة، يجب أن تعلم بأنك تقصد كثرة القديسين"، وتسمى جامعة لأنها تتكون من أنفس المؤمنين جميعاً، وقال آخرون : إن معنى الكنيسة مساواة وإلفة المؤمنين، وآخرون قالوا : أن لفظة ܥܕܬܐ متأتية من ܥܐܕܐ كلمة (عيد) فالعيد مذكر، والبيعة مؤنث، فالكنيسة بمعنى العيد.

✠ والكنيسة هي إشارة إلى الفردوس، ومثلما توجد في ذلك (الفردوس) أشجار متنوعة هكذا توجد في الكنيسة رتب متنوعة، الرسل والأنبياء والشهداء والمتبتلون وغيرهم، وتنوع ثمار الأشجار يدل على تنوع أولئك.

✠ الأنهار الأربعة التي تتبثق من النهر الكبير الواحد، إشارة إلى المبشرين الأربعة الذين تفرعوا من المسيح النهر الكبير الفائق الوصف.

✠ شجرة المعرفة وشجرة الحياة إشارة إلى القوانين والوصايا المغروسة في الكنيسة.

✠ رتب أن يكون في الكنيسة أولا قدس الأقداس والمذبح والهيكل، لأن خيمة إسرائيل أقامها موسى بثلاثة أقسام (مثلثة)، أي قدس الأقداس، وبيت الخدمة الذي هو الهيكل، والدار المحيطة بالهيكل، فكان الشعب يقف في الدار، والخَدَمة في الهيكل، وهارون وحده في قدس الأقداس.

المنبر : حامل

يمثل **المنبر** العلية التي وزعت فيها الأسرار، ويرمز إلى رامة صموئيل التي أُقيم فيها المنبر ومنه كانت تعلن له الخفايا، وأن جسد ذلك الأب القديس وضع في وسط التابوت كالمنبر في الوسط، وأن سبب ارتفاع المنابر هو، لأن منها ترتفع الأصوات إلى السماء على نمط الأصوات التي كانت تسمع لدى صعود موسى إلى الجبل للتحدّث إلى الله، وذلك لأن الكتب المقدسة المتضمنة كلام الله، تُقرأ من على المنبر.

القسطروم : ܩܣܛܪܘܡܐ

يُشير **القسطروم** : إلى السماء، لأنه يرفع إلى الأمور السماوية والإلهية. أما **قدس الأقداس** : فيرمز إلى حضن ويمين الآب، الذي لم يتركه الابن لدى تجسده، ومن المعلوم أن منه يكون الخروج في الدورة الثانية إشارة إلى صدور الكلمة من الآب.

المذبح : ܡܕܒܚܐ

يُشير إلى قبر المسيح كما قلنا أعلاه في تفسير القداس، ودرجاته إشارة إلى رتب الأجناد السماوية، التي تتسامى رتبها بالتدرج.

المائدة : ܛܪܘܣܐ

المائدة التي فوق الدرجات إشارة إلى راحة من يمثل المسيح ومنه يتأتى من هو أسمى من جميع الرتب.

القناديل والشموع : ܡܢܪ̈ܬܐ ܘܫܡ̈ܥܐ

وهذه تمثل الأضواء واللمع التي ترسلها الأجناد السماوية والناس القديسون.

الصور في الكنيسة : ܨܘܪ̈ܬܐ ܒܥܕܬܐ

ينبذ بعضهم الصور التي تصور في الكنائس ويستشهدون بقول مار أفرام :

" لا تصلي إلى الله في الهيكل الذي فيه صورة ".

نقول : أن كل ما قيل من كلام أن نبحث عن الزمن الذي قيل فيه، ولماذا قيل، فلما ملك في زمان مار أفرام يوليانس الجاحد، أمر أن تنحت

تماثيل وثنية وأوثان باطلة على الجدران، وكان يحتفل بها، فصوّروا زحل وهو يبتلع أبناءه، والمشتري وهو يجامع أخته وأمه، والمريخ ودنسه، وهوفسطوس وشركه، والزهرة وهي تزني مع أدونيس أي تموز الذي احترمه بنو إسرائيل في وقت ما، وديونوسوس الخنثى، وعطارد وهو يدنس بنات ثيؤسطيوس الخمسين في ليلة واحدة، و ܟܝܠ ܗܘܡܙܐܐ **Dio Whiroo** والزهرة وهما عريانان وفي حالة تثير الشبق في صورهم، والعديد من الاختلاطات الكثيرة، وهذا ما دعا القديس مار أفرام أن يسفه هذه الرذائل الكريهة في مداريش كثيرة.

أما كنيسة المسيح المقدسة فتصور تدبيره الخلاصي وموته وآلامه وقتله (صلبه) وقيامته وصعوده، كما أوصى المسيح تلاميذه أيضا أن يصنعوا ذكرى ذلك، والعديد من الرجال والنساء والأطفال الذين لم يتعلموا من الكتب التدبير الخلاصي في الجسد، يتعلمونها من الجدران عن طريق الصور.

لا تسجد الكنيسة للصور ولا تكرم الأشكال، ولا تقدم السجود للصليب ولرفات القديسين كما لله بل تعطيهم السلام كخدّام الله ووكلاء سرائر الرب، ويكفي ذلك بنوع من الاختصار.

الستار الذي على باب المذبح وقدس الأقداس :

هو إشارة إلى ما بيننا وبين الموطن السماوي الخفي كما قيل : " **حيث يشتاق الملائكة للاحداق به** "[١]، كما أنه رمز إلى الجلد الذي يفصلنا عن الموطن السماوي.

١- انظر رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٢
" التي تشتهي الملائكة أن تطلّع عليها ".

آنية المذبح :

تُشير آنية المذبح إلى آنية المسكن الرمزي، وكما أن المذبح مزين بآنية جميلة وثمينة، هكذا النفس تتزين بالفضائل الروحية.

الطبليث : ܛܒܠܝܬܐ

يُشير إلى الصليب الفادي، واتخاذه من خشب أو حجر كريم، إشارة إلى صليب المسيح، وسمي بالطبليث إشارة إلى الرحم، وحجبها يُشير إلى الغطاء الذي كان موضوعاً على جروح يدي المسيح وقدميه، تلك التي لم تعلم الأجناد السماوية صنوف الآلام التي قاساها، وأن يكون الغطاء مبسوطاً على مائدة الحياة، يُشير إلى عدم المعرفة المفروضة على آدم كي لا يعرف الشجرة التي في وسط الفردوس، وأن يكون مصنوعاً من الكتان، لأنه ليس هيّناً أن يؤثر فيه العث لنعومته، ويرمز إلى كفن الكتان النقي الذي لُفّ وقُمط بها المسيح عند ولادته.

أما وضع الصينية والكأس على المنديل فوق الطبليث، فإشارة إلى الطبائع السامية للأجناد السماوية التي تمجد الله بالتقاديس، ويُشير أيضاً إلى المسيح الذي ذبح على عود الصليب.

✠ وتُشير **الصينية** أيضاً إلى المائدة التي أُعدت أمام التلاميذ ورتب عليها الخبز السماوي في العلية.. " **تُرتّبُ قُدامي مائدةً تُجاه مضايقيّ** " (١).

✠ وتُشير **الكأس** إلى الجنب الإلهي الذي سال لنا منه الشراب الروحي، ووعاء الحِكَم كما قال سليمان.

✠ **الغطاءان** يُشيران إلى الحجر الذي وضع على قبر ربنا والذي حجبه ثلاثة أيام.

١- مزمور ٢٣: ٥

✠ **الزنود (الأكمام)** التي يلبسها الكهنة دلالة على استعدادهم لتنفيذ الأوامر المقدسة، كالعبيد الذين يكشفون عن أذرعهم عندما يريدون إنجاز أعمال أسيادهم، ليسهل عليهم العمل، " **فتُحنى بذراعَيَّ قوسُ من نُحاسٍ** " [١]، كما أنه ليس لائقاً أن تمس الثياب الاعتيادية التي على الأذرع الأسرار المقدسة.

✠ **البدلة** تُشير إلى بدلة هرون وإلى البدلات الروحية التي ظهر فيها الملائكة، وإلى ثوب ربنا أي الرداء الذي مسته المرأة المضروبة وشُفيت، ويرمز أيضاً إلى معطف إيليا، " **ألبسني ثياب الخلاص** " [٢].

✠ واستدارة الصينية، إشارة إلى وحدة الحياة التي لا تنقسم ولا تتجزأ حتى في الماديات.

يكفي ما أوردناه عن الكنيسة ورتبها وشرح آنية المذبح.

نتكلم الآن عن شرح الفروض وتفسير أعدادها، فنتكلم أولاً عن الناقوس، وعلى أي شيء يشير، ثم نتدرج في الحديث.

الناقوس : ܢܩܘܫܐ

نسأل أولاً : من أين تعلمنا أن نقرع الناقوس في الكنيسة ؟

نجيب : لقد جاء في روايات كثيرة أن الله أمر نوحاً أن يصنع الفلك وأن يُعدّ الناقوس أيضاً، وكان يقرعه صباحاً فيجتمع الفَعَلة لصنع الفلك، وفي منتصف النهار ليهنأوا بالغداء، ومساءً ليستريحوا من العمل، ونحن نقرعه للأسباب التالية :

١- مزمور ١٨: ٣٤ ٢- أشعياء ٦١: ١٠

١- لكي إذا ما سمعنا صوته، نتذكر أننا بواسطة الخشبة تجاوزنا الوصية وطردنا من الفردوس، وبواسطة خشبة الصليب صار لنا الخلاص من الخطية، لذلك عندما نسمع صوته نرسم علامة الصليب على جباهنا ونسبح الله.

٢- كما ان البوق (النذير - المنادي) يجمع قوات الملك لتعظيمه وتمجيده، هكذا الناقوس يجمعنا لتمجيد المسيح ملكنا.

٣- كما أن البوق أو المنادي يجمع جنود الملك ليوزع لهم العطايا، هكذا أيضاً الناقوس يجمعنا إلى المسيح ملكنا ليعطنا موهبة مغفرة الخطايا.

٤- كما أن البوق أو المنادي يجمع جنود الملك للحرب والقتال ضد الأعداء، هكذا والناقوس يجمعنا للحرب والقتال مع عدونا الشيطان.

يُعدّ من الخشب ليعلو صوته، كما أن صوت النحاس أكثر قوة وشدة للسمع.

سبع مرات نُسبح في اليوم كقول داود : " **سَبعَ مَراتٍ في النهار سَبَّحتُكَ على أحكامِ عَدلِكَ** " [١]، إشارة إلى الذين يسبحون الله بعدل طوال أيام حياتهم، فإنهم يشكرون بالروح والعقل، العدد سبعة يُشير إلى أسرار القداسة والكمال التي من خلالها تتشبه بالملائكة القديسين الذين يسبحون الله دون فتور، على أحكام عدله فإن من استحق القداسة بمقدوره أن يتأمل كل ساعة في أحكام الله العادلة، تلك التي قال عنها : " **وأحكامُكَ لُجَّةٌ عظيمة** " [٢].

١- مزمور ١١٩: ١٦٤ ٢- مزمور ٣٦: ٦

☆ **صلاة المساء (الغروب) :**

نُصلي مساءً لنشكر الله الذي أعطانا، الليل لنستريح فيه من عناء وتعب النهار، وترمز قيامته المجيدة إلى صلاة الملائكة الذين بدورهم يسبحون معنا ويُعظمون تجسد الكلمة وتدبيره الخلاصي.

✠ مزمور " **باركي يا نفسي الرب**" [١] يُذكرنا بخلق هذا العالم والراحة التي أعطانا إياها الله، فيجب أن نتكل عليه ونشكره دائما.

✠ يُشير مزمور " **دعوتك يا رب** " [٢] إلى الناموس القديم والتقدمة التي كانت تُقدم مساءً، نبتهل فيه (إلى الله) أن يتقبل هذه الصلاة كما قُبلت تلك.

إلى هنا تُشير الصلاة إلى الشريعة القديمة، لأن كل صلاة جعل فيها معنيان، فبداية الصلاة حتى وضع الكاهن البخور، تُمثل الناموس القديم، ومن هنا فصاعداً، يتمثل الناموس الجديد.

- ويُشير **السدر ܣܕܪܐ** إلى الرسالة التي كتبها أمين سر الملك الذي هو الكاهن ويرمز إلى الحبل الإلهي.
- وأبيات **البخور** (يطيب لك) إلى الميلاد.
- و**صلاة البخور ܚܘܣܝܐ** تُشير إلى تطواف المسيح في العالم.
- و**المدراش ܡܕܪܫܐ** : إشارة إلى الذي مهد الطريق الجديد للتلاميذ.
- و**المعنيث والنشيد** : إلى مقارنة الجديد بالقديم.

✠ **الهلال ܗܘܠܠܐ :**

هو تسبحة الإكليروس قبل الإنجيل ويُشير إلى الصلب والصعود.

١- مزمور ١٠٤: ١   ٢- مزمور ١٤١: ٢

✠ التقاديس الثلاثة :

إشارة إلى تسبحة السرافيم.

✠ أبانا الذي في السموات :

هي الصلاة التي تعلم المسيحيين تعليم الابن، وتُشير إلى أبوة الآب الذي بنعمته لنا، وببنوتنا له تبتهج أنفسنا بمثل هذا الآب الذي لنا، فيخافنا الشرير الذي يحاربنا، ويسم الكاهن الشعب بسمة الصليب الذي هو الختم الذي يقدس الكل، ويودعهم لنعمة الثالوث الاقدس.

☆ صلاة الستار (أو النوم) :

نصلي قبل أن ننام لكي نتقي شر الأعداء خلال الليل، ويجب أن نكون حذرين على أفكارنا في هذا الوقت أكثر من سائر الأوقات الأخرى، لأن الله يقبل المحرقة الكاملة أكثر من سائر الذبائح في الناموس، كقول الطوباوي داود : " **قربان يدي كقربان المساء تقبله أمامك** " (١)، وقاية من خوف الليل، لذا كان هذا القربان في الناموس متميزاً عن باقي القرابين التي كانت تُقدّم أمام الله، لأن بواسطته كان الله يحفظ الشعب من شر الأعداء الليل كله.

يبدأ الكاهن بالصلاة ويتلى مزمور " **عند دعائي استجب لي**" (٢) لأجل العبارات التي فيه والتي تقول : " **تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم** " (٣) و " **أضطجع بل أيضاً أنام لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينةٍ تُسكنني** " (٤)، ثم السدر **ܗܒܘܐ** ونشيد التوبة، وصلاة البخور ثم التخشفتات " **احفظ جميعنا** " وغيرها، والغرض من هذه الصلوات كلها مع

١- مزمور ١٤١ : ٢
٢- مزمور ٤ : ١
٣- مزمور ٤ : ٤
٤- مزمور ٤ : ٨

مزمور " **الساكن في ستر العلي** "[١]، و " **أرفع عينيَّ إلى الجبال** "[٢] لكي ننجو في الليل من الأبالسة وأجناد الشر التي تحاربنا.

نؤمن **بإله واحد** هو قانون الإيمان العام الذي نتلوه لأننا عتيدون أن ننام ولا نعلم إذا ما سنستيقظ أم لا، فيجب أن نعترف بالله ونعلن عن صحة إيماننا ومن ثم ننام.

السجود الذي نقدمه لبعضنا نطلب به الغفران إذ نغفر ذنوب بعضنا البعض كوصية ربنا، ولا يجب أن يحقد إنسان في قلبه وينام، لئلا يزرع العدو البغضاء والعداوة في عقله ليلاً.

☆ صلاة الليل ܫܡܫܐ ܕܠܠܝܐ :

نُصلي في نصف الليل اقتداء بالقول : " **أني قمت في نصف الليل لأُقدم الشكر لك ولإعلان حقك في الليالي** "، وذلك لأننا عندما نتمعن في السماء ونرى نظام الكواكب ندرك أن لها خالقا هو الله فنحمده ونصلي ليلاً ليعطينا نهاراً سعيداً صالحا (لممارسة) الأعمال، ونسهر في الليل أيضا لأن ربنا في الليلة التي أُسلم بها ليتألم عوضاً عنا سهر وصلى وعلّمنا هذا المثال لنسهر ونصلي دائماً فننجو من الشرير وقواته.

يبدأ الكاهن الصلاة طالباً من الله أن يعطيه جمهورا يقظا ومستعدا لحفظ الوصايا في الكنيسة كحرصه على الصلاة. ثم تسبحة " **المجد لله في العلى** " ثلاث مرات، وهي تسبحة الملائكة الذين سبحوه يوم ولادة الابن، وتُشير إلى حصول سلام بين الأرضيين والسماويين لدى مجيء الرب وبشائر الخلاص.

١- مزمور ٩١: ١ ٢- مزمور ١٢١: ١

☆ ܩܘܡܝܐ صلاة النهوض :

ـ تُشير إلى اليقظة من نوم الخطيئة، إذ نتشبه في يقظتنا بالملائكة ونختلط معهم.

ـ بعد المزامير والتسابيح نقول السدر ܣܕܪܐ والقوبال (ܩܘܒܠܐ) والنشيد وبقية الصلوات لتعلن لنا عن تدبيره الخلاصي ومحبة الكلمة لنا.

ـ ܒܪܝܟ ܗܘ ܐܝܩܪܗ ܕܡܪܝܐ " مبارك مجد الرب " هي تسبحة الكروبيم التي رآها حزقيال في المركبة.

ـ و ܕܡܢ ܐܬܪܗ ܠܥܠܡ " من موطنه إلى الأبد " أي أننا من موطن الرب نتأمل الطبائع غير الهيولية القريبة منه أكثر من سائر القوى الأخرى. ونحن أكثر سعادة بشركتنا وتأملنا، بذلك النور الذي لا يدرك ولا يمكن وصفه، لذلك يُدعى عرشه والكراسي بالكروبيم بسبب استنارتهم الكثيرة والكاملة ما أمكن، كالذي يجلس ويستقر ويستريح عليهم فيتبارك مجد الرب من موطنه والتي هي بعينها المجد لله في العلى.

نُصلي في الليل ثلاث خدمات لأن ربنا في تلك الليلة التي كان عتيداً أن يتألم عوضاً عنا، صلى ثلاث مرات، وكذلك لتمجيد الثالوث الأقدس أيضاً.

☆ صلاة الصبح ܠܫܡܫܐ ܕܨܦܪܐ :

نصلي صباحاً شاكرين، لأن الرب أنارنا وقد أنهى الليل وجاء بالنهار، فنتقبل نعمته كقول المرتل داود : " **والإعلان بنعمتك في الغداة** "(١)، " **وفي الصباح أتهيأ للظهور أمامك** "(٢)، " **ويا رب في الصباح تسمع صوتي** "(٣)، " **وأسمعني في الصباح نعمتك** "(٤)، يبدأ

١- مزمور ٩٢: ١

٢- ترد في القومة الثانية من صلاة الصبح.

٣- ترد في القومة الثانية من صلاة الصبح.

٤- ترد في القومة الثانية من صلاة الصبح.

الكاهن الصلاة ويطلب من الله أن يمنح جمهور الكنيسة أن يبكر للصلاة كل يوم روحياً وحسياً.

ـ ܡܙܡܘܪܐ ܘܬܫܒܚܬܐ :

تُشير **المزامير والتسبحات** إلى الخدمة القديمة التي رتبها موسى في الناموس.

ـ ܩܠܐ ܘܡܥܢܝܬܐ :

تُشير **الأناشيد والمعانيث** إلى الخدمة الصباحية التي تُذاع من كنيسة الرسل بواسطة المسيح مانح العهد الجديد.

ـ تُشير **قراءة الإنجيل** إلى إعلان الله نعمته لنا أي محبته الكاملة كتلك " **أسمعني في الصباح نعمتك** " (١).

ـ **السلام الذي نُعطيه للإنجيل** لأنه بشرنا بالسلام الذي صنعه المسيح ما بين الأرضيين والسماويين، وبين الشعب والشعوب.

☆ **صلاة الساعة الثالثة** ܠܫܥܬܐ ܕܬܠܬ ܫܥܝܢ : (٢)

نصلي في الساعة الثالثة، لأن فيها حكم بيلاطس على ربنا (بالموت)، لذا نصلي ونرتل ونسبح في هذا الوقت الذي فيه احتمل عوضا عنا كل ذلك، ولننجو من حكم العدل المخوف، ومن تلك الكلمة : " **اذهبوا عني يا ملاعين** " (٣)، ونرفع الصلاة لله قائلين : " **لا تـُغلق باب رحمتك بوجوهنا فإننا معترفون بأننا خطاة ونعترف بخطايانا** "، لهذا نتذكر محبته إذ نزل من العلى من حيث لم ينتقل ومات بالجسد وبموته أبطل موتنا.

١- ترد في القومة الثانية من صلاة الصبح.

٢- يقابلها حالياً الساعة التاسعة قبل الظهر، وهي قومتان من التقاديس.

٣- متى ٢٥: ٤١

✠ ܩܕܝܫܬ ܐܠܗܐ " قدوس أنت أيها الإله "، لأننا نتذكر فيها صلب الرب والذي هو مجده.

✠ الصلاة الربانية : التي تعلن لنا بأننا أبناء للآب السماوي بالنعمة.

☆ صلاة الساعة السادسة ܠܨܠܘܬܐ ܕܦܠܓܗ ܕܝܘܡܐ :[١]

نصلي في وسط النهار أي الساعة السادسة لأن فيها صُلب المسيح وطُعن جنبه (بالحربة) وجرى منه دم وماء، لذلك نصلي ونقبل نعمة الذي تنازل إلى كل هذا من أجلنا حتى قاسى الآلام والصلب عوضاً عنا، ونطلب منه أن ينجينا من جميع الأعداء الذين يحاربوننا نهاراً وظهراً، وكأني أدعو إلى الله فينجيني مساءً وصباحاً وظهراً و " من ريح تهب في الظهيرة "[٢] ..الخ.

☆ صلاة الساعة التاسعة ܠܨܠܘܬܐ ܕܐܬܫܥ :[٣]

نصلي في الساعة التاسعة، لأن الرب عندما كان مصلوباً اضطرب كل شيء وارتعد من نفاق اليهود ولم يحتمل إهانة الرب، ذلك أنه صرخ بصوته فتفتَّحت القبور وقام الأموات[٤]، لهذا السبب نصنع تذكار الموتى متضرعين إلى من هو رمز القيامة، وفي هذا الوقت أعلن لنا أنه يبعثنا وينظمنا وأمواتنا في جانبه الأيمن مع الأبرار والصالحين والآباء.

١- يقابلها حالياً الساعة الثانية عشرة ظهراً، وهي قومتان من صلاة التقاديس.

٢- مزمور ٩١: ٦

٣- يقابلها حالياً الساعة الثالثة بعد الظهر، وهي قومتان أيضاً.

٤- انظر متى ٢٧: ٥١-٥٢

يكفي هذا الحديث المختصر على قدر الامكان عن الأوقات السبعة، نتكلم الآن عن الصلوات العمومية التي تختتم بها. نقول أولا عن الخدمة (الصلاة) مع الملحقات الكثيرة الأخرى :

☩ **فالخدمة الجسدية لله** : هي تقديم النذور والقرابين له كعادة الإسرائيليين. والصلاة النفسية هي ترتيل معبر عن المشاعر والفكر النقي وضمير طاهر كما تفعل الكنيسة.

☩ **والخدمة الروحية** : هي إبداء التعجب بالله وتمجيد حكمته العظيمة من عمق المعرفة، وهذه الخدمة ستحفظ لنا إلى ما بعد القيامة.

تعقيب: ـ لماذا نشدّ أحقاءنا أثناء الخدمة والصلاة ؟

نقول لأسباب عديدة :

١- لأن آدم ربط أولا نتيجة القول الذي قيل له " **بعرق وجهك تأكل** " [١]. ومن يعمل يكون متمنطقا.
٢- قول الله لأيوب : " **اشدُدِ حَقَويكَ كرجل** " [٢] حيث نبهه على القتال والعمل.
٣- كان ايليا ويوحنا ممنطقين منطقة من جلد.
٤- أوصى الناموس أن يأكلوا الفصح وأحقاؤهم مشدودة [٣].
٥- كما أمرنا المسيح " **أن تكون أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة**" [٤].
٦- ليتميز المؤمنون من غير المؤمنين الذين لم يربطوا أحقاءهم.
٧- بما أننا عبيد وفعلة للملك السماوي فيجب أن نربط مناطقنا، لأننا نخدم أمام ربنا.

١- تكوين ٣: ١٩ ٢- أيوب ٣٨: ٣
٣- خروج ١٢: ١١ ٤- لوقا ١٢: ٣٥

٨ ـ لأننا دعينا إلى العمل وممارسة الفضائل، فمن الواجب أن نربط أحقاءنا في القتال ضد الشيطان.

٩ ـ أن ربط الحقوين يدل على حرية السلوك.

١٠ـ يذكرنا ربط الحقوين بالحرص على تقوى الله.

١١ ـ التنطّق على الظهر وعلى الخاصرة لا في موضع آخر يُشير إلى ربط التنين الكامن في الظهور والخواصر كما قيل : " **عند ربط الخواصر تخمد قوة الشهوة التي تتولد من الجسد** ".

سؤال :

يسألنا الهاجريون قائلين:

ـ لماذا لا تغسلون وتتطهرون قبل أن تقدموا إلى الصلاة كما نفعل نحن ؟

فنجيبهم قائلين :

هنالك نوعان من الغسل، الأول غسل الجسد بالماء، والآخر غسل النفس من الشهوات الذميمة، وبما أننا نتذكر روحياً ونصلي روحياً كما علّمنا بولس (الرسول) " **أُصلي بالروح واُصلي بالذهن أيضاً** " [١]، يجب إذن أن نغتسل ونتطهر روحياً أيضاً، وعوض غسل الجسد يجب الابتعاد عن الخطية والسلب، والفم عن الكذب، والعينين من النظر والتطلع بفحشاء، والأذنين من سماع كلام المستهزئين، ودهن الرأس كي يجمع الإنسان فكره من التيه الباطل ويناجي الله بالصلاة، غسل الارجل كي لا تسعى للشر إلى آخر ذلك.

في جميع الصلوات يبدأ الكاهن بعبارة باسم الاب والابن والروح القدس، إذ يعلن عن وحدة الطبيعة والجوهر في الأقانيم الثلاثة التي تتميز دون انقسام وتتحد دون تغيير. وعبارة ܗܫܐ " الآن " إشارة إلى الابن

١- كورنثوس الأولى ١٤: ١٥

وإلى زمن تجسده، و ܘܡܟܠܝܘܡ أي هو الله دائما، و ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ " إلى أبد الآبدين " أي لا حدّ له لا في البداية ولا في النهاية.

المزامير التي تُقال في كل أنواع خدمتنا، إشارة إلى النقاوة الكاملة من جميع الشرور، والانتقال من السيئات إلى الحسنات من خلال التأمل بها كالقول : " **كف عن الشر وأصنع الخير** " (١)، كذلك تعطي حياة أفضل أيضاً روحياً وحسياً، حسياً بتطهير الحواس الحساسة متى نفهم العبارات النبوية روحياً والتي تمنح تطهيراً كاملاً، وتكسب النفس التي خلقت على صورة الله حياة روحية.

ويُشير توافق اللحن فيها إلى اتفاق الفكر، كما تقول الأنشودة الإلهية :

" **فكما أنا منكم على اتفاق واحد لذلك أُرتل، هكذا كونوا أنتم أيضاً واحداً لدى أنفسكم ولدى بعضكم بعضاً ولدى الله** " (٢).

أما بخصوص ترتيل المزامير بالألحان، فيجب أن نعلم أيضا أنه في عصر بني إسرائيل وداود حرك الروح القدس أن ترتل المزامير بطريقتين : بالآلات الموسيقية، والأناشيد والألحان.

أما اليوم فقد حرك الروح أن ترتل المزامير في الكنيسة بطريقة واحدة : بالألحان والأناشيد، وذلك لرؤية الروح أن البشر مغرمين بألحان وأناشيد الغناء السمجة، ولصعوبة ثبات العادات الصحيحة قرنوا مع النواميس والأوامر الإلهية التي تتضمنها المزامير ألحانا عذبة وتراتيل

١- أشعياء ١: ١٦ والنص " كفّوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير ".
٢- انظر ما يشابه ذلك رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ١٦.

الغناء المبهجة، لكي عندما يرتلها الناس يقرنون بها النواميس والأوامر الإلهية بواسطة عذوبة الغناء لخلاص أنفسهم وعلاجها، كالأطباء الحاذقين الذين يمزجون العسل بالأدوية ويسقون المرضى لأجل شفائهم.

أما أقوال الأنبياء والرسل فلأنها لا تُقال بألحان وتراتيل الغناء الشجية، بل تتلى بطريقة عادية، فلا يحفظها الكثيرون في ذاكرتهم بسهولة، ولأن كلمات المزامير تنشد بألحان لذيذة، فإنها تترسخ في ذاكرة الناس بحيث لا ينشدونها في الكنائس فقط بل في البيوت والساحات والطرق أيضاً، وهكذا يواظبون على إنشاد أناشيد والحان محتشمة.

وحركهم الروح أيضاً أن يرتلوا المزامير بألحان عذبة لكي تكون جميع أفكار النفس وأعضاء الجسد لمن يرتلها قيثارات وكنارات ودفوفاً وطبولاً وصنوجاً وأبواقاً، فيعزف عليها الروح القدس ألحاناً عذبة لحفظ وصايا المسيح.

هللويا : تعني سبحوا للكائن الأزلي.

هللوا : أي سبحوا له أي الكائن الأزلي، وكذلك هللوا للعلي أي سبحوا للعلي، صلوات الكهنة التي يقدمون فيها تضرعاً وابتهالاً لله لتقبل صلواتنا وتستجاب طلباتنا.

ـ في السدر والمبخرة فقد تكلمنا عنها سابقاً.

✠ وتمثل المبخرة قلباً مستقيماً ليس فيه انحراف من جهة الله، وتشهد مبخرة هارون على ذلك لأن بها منع الوباء من شعب إسرائيل. وتُشير نهاية المبخرة العليا إلى السماء، والنهاية السفلى إلى الأرض، والنار في داخلها إشارة إلى طبيعة اللاهوت التي في الكل. والبخور (الذي يوضع)

على النار إشارة إلى الطبيعة الإنسانية التي تقدست باللاهوت. ويطلب الكاهن أن يتقبل عطر البخور كما حدث لهارون أيضا.

✠ المقرعتان :

لتلاوة الطقوس والفروض، ترمزان إلى الأجناد السماوية التي رآها اغناطيوس النوراني وقال أنه هكذا رآها تصلي، ومنه استلمتها كنيسة أنطاكية.

✠ التقاديس الثلاثة :

يكفي ما قيل عنها في الفصل الحادي والثلاثين.

عن الألحان وتركيبها وقوتها وأي منها محزن وأي مطرب، وأي منشّط وأي مذلّل، وأي فيه حرارة وأي فيه برودة، وأي فيه رطوبة وأي فيه يبوسة، ولماذا هي ثمانية ألحان مع أمور كثيرة غيرها، وكيف استمرت التسابيح لله قديماً وحديثاً، وكيف ومن أين دخلت الكنيسة لإبطال الألحان الوثنية، ومن هم مؤلفو الأغاني والألحان في الكنيسة، والتي كتبنا عنها بإسهاب كثير في كتاب خاص عنوانه : **الموسيقى البيعية** مع أمور أخرى كثيرة.

✠ التشمشت ܡܛܠ ܬܫܡܫܬܐ :

إن ما قيل عن المزامير فيه الكفاية، والآن سنتكلم عن هذه الأخيرة رغم أننا تكلمنا عنها بإسهاب **في كتاب تفسير الخدمات**.

✠ تسبحة موسى ܡܛܠ ܗܟܢ ܕܡܘܫܐ :

تسبحة موسى ومعناها المنتشل من الماء.

أولاً : نسبح الله تسبيحاً، لنبين أننا بعد صعودنا من الجرن المقدس كصعود أولئك من الماء، تعلمنا من المسيح بواسطة تلاميذه أن نعطي المجد لله.

وثانياً : إذ تلا موسى عباراتها أمام الجماعة كلها، لأنها ليست كتلك التي أخذتها مريم وأنشدتها على الدف، لكن بالكلمات فقط التي تتضرع إلى الآب، كما سلـّمها فادينا إلى الكنيسة من خلال الصلاة الربانية، ومن ثم إلى العالم بأسره.

✠ ܕܚܢ ܠܚܢ :

تسبحة حنة التي تُقال وحدها عوض تسبحات النسوة كلها، وهي سابقة للمرتل وبقية الأنبياء، إشارة إلى كنيسة الله القويمة الإيمان التي صار لها بنون كثيرون بدل العاقر والعقيمة، وأثمرت أيضاً مواعيد المجد الطاهر للذي سبق فعرفها وصوّرها قبل العوالم بطريقة لا توصف.

✠ ܕܡܪܝܐ ܫܡܥܬ :

وذلك لأن حبقوق قال لشعب الله كدانيال :

" **إن الله تذكرني ولم يقطع مراحمه عني** "[1]، إذ بقوة الروح القدس وملاك فكره، أقاته كمن من صفحة الحصادين إذ حصدوا بفرح لأنهم زرعوا الكلمة.

١- حبقوق ٣: ٢ والنص : " في الغضب اذكر الرحمة ".

✠ ܕܒܠܠܝܐ ܢܩܫ :

وهي تسبحة أشعياء فيها نشكر ونبيّن أننا أنقذنا من ظلمة ليل هذا العالم فنتقدم بالروح أي نبدأ من جديد إلى نور مجد الله كما في عالم جديد، فنرتل تسبيحة أخرى كداود " **رنموا للرب ترنيمة جديدة** "(١).

✠ ܕܩܝܡ ܠܨܦܪܐ :

تسبحة يونان، أن نستنير بالمجد الذي صار لنا من قيامة ذلك الذي مكث في بطن الأرض ثلاثة أيام بعد دفنه، وبشر الذين في الهاوية. كما نسب ذلك إلى يونان كقول مخلصنا.

✠ تسبحة الفتيان ܠܡܫܒܚܬܐ ܕܛܠܝܐ :(٢)

تسبحة الفتيان الذين لم تمسهم النار، لا لكي نتلألأ بعددهم المساوي للثالوث فقط، بل لنتقّد غيرة وحبا ونمجد الذي أحال الحرارة بردا، عن جميع العقول وخلائق الرب للرب، وذلك لأن واحدا منه ورابعهم تراءى لهم وكأنه في خدر، ومن ثم ظهر لنا كعريس، وعلمنا أن نمجد الآب بالروح القدس.

✠ تسبحة منسى ܠܡܘܕܝܬܐ ܕܡܢܫܐ :

تسبحة منسى الذي أثم كثيرا، ينسبها إليه بعضهم كما جاء في دسقالية الرسل، ولا سيما أهالي فلسطين، فإنها تبعث فينا شجاعة ورجاء طيباً بالرب الذي دعاه وأطرق سلاسله كما يحرق النار القطن مبينا بهذا الفعل أنه لا يريد بموت الخاطئ.

١- مزمور ٩٦: ١ و ٩٨: ١

٢- أي فتيان بابل : شدراخ، وميشاخ، وعبدنغو، الذي أمر الملك نبوخذنصر بإلقائهم في وسط الأتون البابلية المتقدة لعدم رضخهم للسجود لأصنامه وآلهته.

✠ تسبحة العذراء ܡܕܘܢܚܐ ܕܥܕܡ :

تسبحة العذراء، ترتلها الكنيسة إقراراً بأنها تقوم مقام تلك المعظمة (العذراء مريم) وتسبح الرب بلا انقطاع، ولأنها من خلال تسبيحه وحسب انتظارها فرحت بالله محييها، ويُضاف إلى هذه (التسبحة)، تسبحة زكريا (الكاهن) كما يقول مار سويريوس (الأنطاكي) في رسالته إلى قيصرية ليظهر أن جميع الأنبياء القديسين يتبعون الكنيسة الرسولية تماماً كما قيل في أشعياء : " **فاقتربت إلى النبية** " (١) أي نظرت بالروح وليس وحدي بل بالنبوة التي هي إعلان الخفايا، عتيد أن تكون في الكنيسة وكانت حقاً. وإذا ظهر للثاني كنبي العلي يوحنا السابق، فيسكت الأول كزكريا أبيه لعدم تصديقه الملاك بولادة يوحنا، هنا صورت الأغاني الجديدة والعتيقة لتكون في الكنيسة كالعبارات النبوية وإعلانات الروح، فتصمت السوابق وترتل اللواحق كأكثر المتطلبات بالنسبة إلى الوقت الحاضر فإن " **أعلن للثاني بالروح وجب ان يسكت الأول** " (٢) كالقول الرسولي.

إضافة إلى ذلك يجب أن نعرف أن جميع التسابيح التي كانت بفعل الروح القدس والتي وجدت بعدئذٍ في الكنيسة المقدسة تنسب إلى داود وهي مستمدة من مزاميره فعندما بدأ الملائكة يعلنون لنا تسابيحهم الرائعة، استمدوا منه قولهم " **المجد لله في العلى** " (٣)، والذي يشبه " **سبحوا الرب من السموات سبحوه في الأعالي** " (٤).

١- أشعياء ٨: ٣

٢- انظر كورنثوس الأولى ١٤: ٣٠ والنص " ولكن أن أُعلن لآخر جالسٍ فليسكت الأول ".

٣- لوقا ٢: ١٤

٤- مزمور ١٤٨: ١

كما وضع ملافنة الكنيسة تراتيل جديدة من معانيث ܡܥܢܝܬܐ، وردات ܥܘܢܝܐ، وأغاني ܥܘܢܝܬܐ، وقصائد وأجوبة منسقة استمدوا مادتها منه (داود) ونسجوا على منواله، كما يمكن القول أن بعضهم استمدوا من الملائكة كقولهم : " أننا نسبحك ونحمدك " وغيرها كالمعانيث الملائكية، كتلك الجمل الثلاث السابقة والتي صيغت على غرار تسبحة " المجد لله في العلى " وتلك التي تنشد بطريقة مألوفة إذ تقول : " **ما ألذ أن يكون ذكر للأبرار** "[1]، وقد علّمنا أنها تُقال في عموم سورية حيث تصف القديسين الذين اجتمعوا بنفس واحدة ورأي واحد، كأولئك المذكورين في سفر أعمال الرسل الذين اجتمعوا مع مريم أم يسوع ومع أخوته.

لذلك ارتأى الآباء وعلّموا أن نرتلها متذكرين والدة الله بإضافة كلمة " دائماً " مقرونة بطيب الرائحة وصلاة التسبحة للكاهن الإلهي.

وكذلك قوة ومعنى التسبحة القائلة : " النور اللامع للتسبحة المقدسة " مطابقة بالمعنى لتلك التي قالها داود : " **نور قد زُرع للصديق وفرحٌ للمستقيمي القلب** "[2]، أي التسبحة، وتلك التي تقول : " أهلنا برحمتك "، والتي تقول في نهايتها : " لك يحق التسبيح "... الخ، وتلك التي وضعها بعضهم بإرشاد الروح الذي فيهم، وسلموها لنا نحن السريان لنرتلها بملء التسبيح الملائكي، ومن هنا فإن الآباء القديسين وضعوا ونظموا تراتيل مستوحاة من داود قبل وخلال تسابيحهم.

١- مزمور ١٣٣: ١

٢- مزمور ٩٧: ١١

✠ **ܦܢܩܝܬܐ الفنقيث :**

الذي يدعوه الطيبون (كتاب الصلوات لمدار السنة)، والذي يحتوي على أناشيد كثيرة لمار يعقوب ومار أفرام وآخرين قبلهم كاسحق وشخص اسمه بالاي، الذين اشتهروا في قصائدهم بطلاقة اللسان، كي يظهر أولئك أيضاً وجود الآلام الخلاصية والتي نقول فيها دون أن نصف الرب : " **مبارك الألم الذي كان عوضاً عنا** "، وكأننا بذلك نُشير إليه بخوف دون أن نذكر اسم ذلك الذي أظهر لنا محبته اللامحدودة بآلامه المحيية.

والتراتيل " ܒܥܘܬܐ " قديمة أيضاً، تُقال في أثناء تشييع الموتى بأنين وحزن، لا سيما تلك التي كان ينشدها أناس قواقون **ܩܘ̈ܩܝܐ** (الفخّارون) أثناء عملهم، والذين اضطرموا بتقوى الله واتقدوا غيرة بالروح، يا لهم من رسل في اتضاعهم وأنبياء في حسن تدبيرهم، يتلونها فرضاً إما بسبب كثرتها أو لكي يعجب الرب " **الرافع اليائس من المزبلة** " (١) ليسبحوه مع معظمي مجده.

فإذا كان مار أفرام ذو الفكر الخصب في الروح القدس، قد قال في مداريشه وبقية تعاليمه المقدسة من أجل القديسين، " تأملوا في رياض داود المئة والخمسين " فكيف لا يكون قد استمد منه كل معنى أو كلمة روحية ؟

أو مار يعقوب الكلي القداسة الذي قرظ يوليان الشيخ الشهير وقال عنه : " كان يبدأ وينتهي بالطلبة والتضرع، كما أن غريغوريوس اللاهوتي معروف أيضاً عند الأتقياء الذين لا يشبعون من كلامه، أو داود الذي غنى للأنفس المؤمنة فقط دون إسهاب، أكّد ذلك بقداسة أكثر، وسويريوس ذلك البصير بالعلوم وتاجنا نحن الأرثوذكسيين الذي جعل مقدمات جميع تسابيحه أي معانيثه الرفيعة آيات من المزامير وبنى على أساسها وأثنى على استنارة الروح ".

١- مزمور ١١٣: ٧

يكفي هذا متوخين الايجاز، وما كتبنا عنها بإسهاب أكثر وسعة أوفرٍ في كتاب تفسير الخدمات وكتاب : **الموسيقى البيعية**. ومن الآن فصاعداً سنتكلم عن ترتيب الخدمة في الكنيسة، وكيف يجب أن يكون، وعن القراءات المقدسة، السدر والطواف (الدورة) وما يتبع ذلك تدريجيا.

✠ نظام الخدمة في الكنيسة المقدسة ✠

قبل بدء الخدمة يقول الشماس ܒܪܟܡܪܝ ثم يعطي الكاهن المجد لله، وتبدأ المزامير والتسبحات حسب ترتيب الأوقات، بينما يقف الشمامسة كودين ܓܘ̈ܕܐ (فوجين) كل في درجته وهم منتبهون يقظون ومتحلون بالتواضع وحسن النظام، لأنهم على مثال الملائكة في تنفيذ القوانين الإلهية ومحبة بعضهم بعضاً، وعارفون ومتيقنون أنهم يرضون المسيح بأعمالهم الصالحة، إذ يكرمون جمال وجودة طقس الكنيسة المقدسة عندما يقومون سوية في أوقات الصلوات، كل في رتبته يترأسهم رئيس الشمامسة، وكما أن المسيح هو رأس الكنيسة كلها، فالأسقف القديس خليفته، ولا يباشر أحد دون إذن الأرخدياقون فهو يمثل جبرائيل رئيس الملائكة، ويحافظ على مراعاة النظام في صلاة البخور والإنجيل وغيرها.

وعندما يدخل الشمامسة وقت تقديم القربان المقدس والأسرار الإلهية، يقف الأفودياقونيون داخل المذبح وهم مرتدين ثيابهم الخاصة، في حين يدخل الشمامسة إلى الداخل منهم مرتدين قمصانا وأورارات، يحمل بعضهم مباخر، والبعض الآخر مراوح حول مائدة الحياة المقدسة. ويقف رئيس الشمامسة عن يمين رئيس الكهنة، ويقف الكهنة عند الأسرار المقدسة بثيابهم الرسمية.

ويقرأ الأفودياقونيون من سفر التكوين واأانبيـاء، والأرخديـاقونيون أعمال الرسل، ويقرأ رئيس الشمامسـة (بولـس) الرسـول أو يـأمر الشـماس الحامل المبخرة، أما هو فيحمل الإنجيل المقدس.

و ܣܛܘܡܢܐܠܘܣ " لنقف حسناً " فـي ابتـداء القداس يقولهـا الأرخدياقون أو يوعز إلى من يشاء، ويقول حامل الإنجيل " لنعط السلام " و " لنقف حسناً " و " ما أخوف "، ويطوي الأرخدياقون النافورة باحتراس، وباقي الشمامسة ينشدون التراتيل، والقاثوليق ينشده الأرخديـاقون أو حـامل الإنجيل أو يوعز إلى من يصلح لذلك، أما هو فيقول :

" فلنحن رؤوسنا سجوداً " ܪ̈ܫܢ ܢܪܟܢ " و " ܒܕܚܠܬܐ ܢܚܘܪ " " لنحدق بخوف " و " ܢܩܘܡ ܫܦܝܪ " و " لنقف حسناً " الأخـيرة، و " ܡܢ ܒܬܪ ܢܣܒܘܬܐ " " بعد تناول " و " ܒܪܟܡܪܝ " " بارك يا سيد ".

والذي يقرأ (رسالة) بولس هو الذي يمنـح البركـة للمؤمنيـن، ويتـم ذلـك كلـه وبإيعـاز الأرخديـاقون باعتبـاره رأس الجوقـة، ويجـب أن يكـون معلِّماً متواضعاً ويدبر كنيسة الله حسناً، ولا يأتي أمراً بمحاباة، وتكون لـه شهادات حسنة ليتمجد اسم سيده بسببه [١].

✠ في قراءات الكتاب المقدس ✠

تُقرأ أسفار العهد القديـم والجديـد لتكون لهم بمثابـة غـذاء روحـي كالخبز والماء للجسد، لأن فيها تعليم الحياة وبشارة ملكوت السـماء، ويُقـرأ العهد القديم أولاً ليشهد علـى صحـة العهـد الجديـد، وبعـد ذلـك يُقـرأ العهـد

١- انظر الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح الثالث.

الجديد ليعلن أن ما قيل في العهد القديم قد تمّ فعلا، وفي النهاية (يُقرأ) الإنجيل، كالملك الذي يبتغي أن يأتي إلى بلد ما يرسل أمامه رسلا لينشروا خبر مجيئه، هكذا تقرأ الأنبياء ثم أعمال الرسل، لأن ما زرعه الأنبياء حصده الرسل، ومن هذه الاضمامة اغتذت النفوس، ثم تقرأ رسالة بولس لأنه تتلمذ (للمسيح) في النهاية وجاهد في التبشير حالا أكثر من جميع الرسل، كما قال : " **أنا تَعبتُ أكثرَ مِنهم جَميعهم** "[1]، وأخيراً يقرأ الإنجيل لأن الرسل دوّنوه بعد الصعود.

✠ **الذومارات والهلالات ܙܘܡܪܐ ܘܗܘܠܠܐ** التي تسبق القراءات، شبه البوق الذي يدعو جماعة المؤمنين لسماع الكلمات الإلهية كغذاء روحي لأنفسهم.

✠ **الزومار ܙܘܡܪܐ** الذي يرتل قبل الرسالة وضع للتمييز ما بين العهد القديم والجديد، ولا يرتل زومار قبل أعمال الرسل، لأن الرسل الاثني عشر أرسلوا أولاً إلى شعب اليهود، وكل ما ورد فيه موجه إلى أولئك، ليصل العهد القديم بالجديد. أما الرسول بولس فإنه كتب للأمم شرائع ووصايا تشبه تلك التي في الإنجيل وبحسب ما نطق به الروح القدس.

يستهل القارئ قراءة أعمال الرسل بلفظة " **أحبائي** " لأن الرسل كانوا يتخذون المؤمنين كأبناء أحباء لهم، لا لأنهم كانوا يلدونهم ميلادا ثانيا بالمعمودية وحسب، بل لأنه ليس أحب على البنوة من اسم الأبوة نظير : " **هذا هو ابني الحبيب** "[2].. الخ.

١- كورنثوس الأولى ١٥: ١٠

٢- متى ٣: ١٧ ، مرقس ١: ١١ ، لوقا ٣: ٢٢

وعندما تقرأ الرسالة يستهلها بلفظة " **أخوتي** " لأن الرسول لتواضعه يعادل نفسه بالذين تتلمذوا على يديه، ويصبح أخاً لنا بالإيمان بالمسيح أيضاً، إذ نحن إخوة للمسيح، والرب أيضاً دعا نفسه أخاً للرسل لما قال : " **أُخبّر باسمِكَ إخوتي** "(١) و " **ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين** "(٢).

يستمع المؤمنون إلى قراءة أسفار العهد القديم وأعمال الرسل جلوساً، وذلك لأن هذه الأسفار تعلن لنا أحداثاً وقصصاً حدثت منذ بدء الخليقة حتى مجيء الرب، وأشير إليه بهذه الرموز والإشارات، أما أعمال الرسل فهو قصة عن كيفية انتشار البشارة الإنجيلية بين الأمم، وعندما تروي القصة يجلس كل واحد وينصت سامعاً إلى ما سيقرأ.

ويستمع المؤمنون إلى قراءة الرسول بولس وقوفاً، لأنه كتب رسائل يعلن فيها أموراً تبشيرية، فمتى تقرأ رسالة الملك يقف الكل لاستقبالها ليستمع ماذا يأمر الملك، وكإنسان بشير أو قائد جيش يتقدم الملك فيعد ويهيء الناس للخروج لتكريم الملك، هكذا الرسول أيضاً يعد ويحث المؤمنين للقيام إجلالاً للملك السماوي الذي هو الإنجيل، وكما قال الرسول الإلهي أيضاً : " **قفوا واسمعوا بشارة وتعليم ذلك الذي كان يضطهد الكنيسة عن المسيح** "(٣)، وكما قال أيضاً : " **إذ كنت مضطهداً ومفترياً واضطهدت كنيسة الله أصبحت مبشراً بذلك** "(٤)

١- عبرانيين ٢: ١٢ ، مزمور ٢٢: ٢٢

٢- رومية ٨: ٢٩

٣- كورنثوس الأولى ١٥: ٩ وقد ورد النص بتصرف.

٤- تيموثاوس الأولى ١: ١٣ وغلاطية ١: ١٣ مع ملاحظة ائتلاف النص.

✠ **الهلال** ܗܘܠܠܐ قبل الإنجيل، وضع كزينة مميزة ما بين العهد القديم والجديد ولكي يهيء المؤمنين وينقي أفكارهم لاستماع إنجيل الحياة عند تلاوته لكي يتلقوا ويستقبلوا كلماته الإلهية التي يسمعونها منه برويّة، ويرفع الإنجيل ويُقرأ من فوق المنبر إشارة إلى أن تعاليمه الحقة هي من فوق، لا من الأفكار الجسدية (التي تخص الجسد)، كما تلقى موسى الإعلان واللوحين في قمة الجبل.

✠ **البخور والأضواء (الشموع) وحفيف المروحتين** التي ترتفع أمامه على المنابر : إشارة إلى البروق والرعود والدخان، التي كانت تتراءى لموسى عند صعوده إلى الجبل. والمروحتان اللتان ترتفعان أمامه إشارة إلى الأنبياء السابقين ونزول الإنجيل أمامهم، أي أن الآيات تحدثت عنه، وكان على نبوتهم أن تقبل بعد العهد الجديد.

✠ **الشمعتان اللتان تُضاءان أمام الإنجيل** إشارة إلى المبشرين الذين أرسلهم (المسيح) اثنين اثنين أمامه.

✠ **الأنوار في عموم الكنيسة** إشارة إلى مصابيح أنفسنا، ومناداة الشماس " لنقف حسناً " قبل تلاوة الإنجيل هي لحثّ المؤمنين على أن يفعلوا ثلاثة أمور :

١ـ الوقوف حسنا.

٢ـ الهدوء والتزام الصمت.

٣ـ الإصغاء التام لما سيُقرأ عليهم بفهم لئلا يشرد فكرهم.

يقول الكاهن " السلام لجميعكم " للدلالة على أن ما سيقرأه هو بشارة لسلام المسيح الذي سالم بين السماويين والأرضيين، وبين الشعب والشعوب نظير الملائكة للرعاة : " **فها أنا أُبشركم اليوم بفرحٍ** "[1]، و " **ما أجمل على الجبال أقدام المبشرين بالسلام** "[2].

الإنجيل معناه البشارة، والإنجيلي مُبشر.

١- لوقا ٢: ١٠ ٢- أشعياء ٥٢: ٧ ، ورومية ١٠: ١٥

يُنادي الشماس بعد الإنجيل لكي يحث الشعب ليقدم طلبات وتضرعات لكلمة الله الذي كمل تدبيره الخلاصي من أجلنا. لا يزور المؤمنون الإنجيل قبل تلاوته، إشارة إلى أنه لم يكرز بالبشارة بعد، ولكنهم ينزلون فيستقبلونه ويزورونه بعد صعوده على المنبر وتلاوته.

✠ في الدورة والطواف في الكنيسة ✠

كانت الدورة الأولى عند ولادة ربنا بالجسد، إذ ظهر جنود سماويون مع الملائكة الذين بشروا الرعاة وانتصبت الجوقات مرتلة وممجدة الله.

ولدى دخوله أورشليم أيضاً محاطاً بالرسل والأطفال وهم يهتفون أوشعنا في العلى.

وكذلك لدى قيامته من القبر، فقد أحاط الجنود السماوية والنسوة والتلاميذ بالقبر وطافوا حوله ممجدين الذي اتشح بالبهاء وخلصنا.

والدورة : أي الدوران والطواف تُشير إلى المواهب المُرسلة إلينا من الله، ويكون الطواف دائرياً ثم العودة إليه ثانية، فكما نزل من السماء وجال في العالم ثم رجع إلى أبيه، هكذا نطوف في الكنيسة مبشرين الشعب مطيبين إياهم بحلاوة التعليم والبخور الروحية، ثم نعود إلى المذبح.

✠ نظام الدورة :

يجب أن تكون على النحو التالي :

تتقدم الشموع (بأيدي الشمامسة الصغار) أولا، رمزا إلى المبشرين وإعلانات الأنبياء، يعقبهم الشمامسة (الكبار) إشارة إلى الأنبياء، ثم الكهنة مباشرة، إشارة إلى الرسل، والبخور الذي يعطرونه يعني أنهم بدّدوا برائحتهم الذكية رائحة الخطية النتنة من جهات العالم الأربع، وبعد ذلك الإنجيل، إشارة إلى بشرى كلام الحياة الذي حمله الرسل وسلّموه إلى المسكونة.

ثم يأتي الصليب لأن الرب بعد أن أكمل تدبيره الخلاصي رفع على الصليب وجذب الكل إليه، تعلوه المروحتان، إشارة إلى اللصين اللذين توسطهما، والملاكان يُشيران إلى الكروبيم اللذين كانا يظلّلان المذبح [1]، ورمز إلى أجنحة السرافيم الذين رآهم أشعياء [2] وهم محيطون بالرب، وهاتفون قدوس قدوس قدوس، وشبّه السرافيم الذين خدموا الابن في البرية أثناء تجربته وآلامه وقيامته، كالملوك الذين يخرجون للحرب، تكون الراية في المقدمة وليس في المؤخرة، وفي النهاية أي لدى مجيء المسيح، يظهر الصليب أمامه على أكتاف الملائكة. لذا يجب أن يتقدم الصليب الأساقفة في الدورة.

✠ **الدورة : أي الطواف في الكنيسة : إشارة إلى عمل المسيح الخلاصي في العالم.**

يخرج الإكليروس في الدورة من الجهة الشمالية المرتفعة، إشارة إلى ذلك العالي الذي اتّضع وأتى إلى غرب هواننا، وجنوب بشريتنا المنخفض، ثم يصعدون إلى المنبر كما ارتقى المسيح جبل الزيتون مع تلاميذه أيضا، وبعد ذلك إلى أبيه، وكما علق على خشبة وأنقذ الخلائق، وهذا يُشير إلى أنه يجب علينا أن نتقدم من حالة إلى حالة أخرى أكثر قداسة، ثم رفع الكاهن يديه مزيحا للصليب مُشيرا إلى أن المسيح عندما

١- الملوك الاول ٦: ٢٣-٢٩

٢- أشعياء ٦: ٢

علق على الخشبة بالجسد بسط يديه وبارك العالم بأسره، وكما رفع يديه وباركهم عند صعوده أيضاً [1]، هكذا يبارك الصليب الجمع الحاضر في الكنيسة، ويزيّح إلى الجهات الأربع، لأن البشارة الإنجيلية انتشرت بين جميع الشعوب في أقطار العالم الأربعة، ولكي يقدس ويبارك العالم كله، يزيّح إلى كل جهة ثلاث مرات مبيناً أننا عرفنا الثالوث بواسطة الذي صلب، وأنه أحد من هذا الثالوث. ويرددّون قورياليسون عند تزييحه، وهي لفظة يونانية معناها بالسريانية " يا رب ارحم "، وبذلك نعلم أن الله الآب تصالح معنا بصليب الابن وأجزل لنا مراحمه كما قال الرسول (بولس) : " **صولحنا مع الله بموت ابنه** " [2]. وهذه تنتهي هنا.

نتكلم الآن عن الدورة أو الطواف وقت تقديم الأسرار، ويجب أن نعلم أن هنالك ثلاث دورات في القداس :

ـ الدورة الأولى :

تمارس غفراناً للذي يُقدم الذبيحة، إشارة إلى ظهور الابن عبر الأنبياء، ومن أجل ذلك تُقرأ أسفارهم قبله.

ـ الدورة الثانية :

إشارة إلى عمله الخلاصي في العالم، و(الكاهن) الذي يُقدم الذبيحة يأخذ الصليب على اعتبار أنه نائب المسيح الذي بعد أن أكمل عمله الخلاصي ارتفع على الصليب، وهكذا بعد أن يطوف في الهيكل ترفع المناديل (الأغطية) إشارة إلى نزعه الثوب قبل الصلب.

١- انظر لوقا ٢٤: ٥٠

٢- رومية ٥: ١٠

ـ الدورة الثالثة :

إشارة إلى صعوده إلى أبيه وصيرورته طريقا لنا للصعود.

نتحدث أيضاً عن تلك **العبارة** التي يقولها الشماس **ليذهب من سُرِّح** وغيرها : يجب أن نعلم أنه في وقت معين كان يخرج من الكنيسة الأصناف الخمسة عندما كان يقول الشماس " ليذهب من سُرّح " وهم :

الموعوظون، والممسوسون، والممسوسون الآخرون، والتائبون الكبار والتائبون الصغار.

✠ فالموعوظون : هم الذين لم يعمدوا بعد، بل كانوا ما زالوا في فترة تعلم وإرشاد قبل العماد.

✠ والممسوسون : هم الذين خضعوا للأبالسة **حاوا**، والممسوسون الآخرون هم أولئك الذين خضعوا لميول الخطية القبيحة.

وهذان الصنفان من الممسوسين هم الذين بعد أن نالوا العماد واشتركوا في الأسرار المقدسة أُصيبا بالاعتراء.

✠ التائبون الكبار : هم الذين بعد أن أمضوا فترة في ممارسة أعمال التوبة وقاربت مدتهم إلى الانتهاء.

✠ التائبون الصغار : هم الذين بعد أن اعتمدوا واشتركوا في الأسرار المقدسة (أخطأوا) وكان يسمح لهم بالبقاء في الكنيسة لسماع قراءة الأسفار

ليتطهروا من خلال سماعهم كلمة الحياة. ثم كانوا يخرجونهم من الكنيسة لئلا يشتركوا في الأسرار.

وكان يخرج الموعوظون من الكنيسة لأنهم لم يقتبلوا سر العماد بعد، ومن لم يعتمد ولم تغفر خطاياه بالعماد، لا يحق له الاشتراك في الأسرار، ليس حسناً لأن يمس النجس ما هو طاهر.

وكان يخرج الممسوسون من الأرواح الشريرة من الكنيسة لسببين:

أولاً : لئلا يسخر الأبالسة من الأسرار من خلال الشتائم والتجديف.

ثانياً : لأن الملك المسيح غاضب عليهم ولا يسمح لهم بشيء من أسرار الملكوت، كما لا يليق أن تسكن الروح النجس مع الروح القدس في موضع واحد.

أما صنفا التائبين فكانوا يخرجون خارج الكنيسة لأنهما أخطأا بعد اشتراكهما بالأسرار، كالعبيد الذين أذنبوا بحق الملك وسلّموا العطايا التي استلموها منه إلى أعدائه، فلما علم حرمهم من نعمته.

هذا إيضاح مختصر على قدر الامكان لجميع أسرار الكنيسة والتشمشتات (الخدمات) ܫܡܫܬܐ.

الفصل الاربعون

الصلاة من أجل الموتى، وما يقبل منها، وأية منفعة تحصل لهم منها، وشرح رتبة دفن الموتى وعن القرابين التي تقدم لأجلهم

ينبغي قبل كل شيء تقديم الصلوات من أجل الذين رقدوا، ويجب توفر شرطين لذلك :

الأول : إيمان الذي يصلي، ومدى قربه إلى الله، وإيمانه والذين يطلبون الصلاة من أجلهم، وإذا لم يكن أولئك الذين تقدم الصلاة من أجلهم قويمي الإيمان والأعمال، ولئن كان الذي يصلي باراً وصالحا، إلا أنهم لا ينتفعون تطلبون رديا " [١]، تنفع الصلاة للذين يرفعونها والموتى على حد سواء إن كان فيهم إيمان مقرون بالعمل، كما شفى ربنا المخلع [٢] من أجل إيمان أولئك الذين دلـّوه، وابنة الكنعانية [٣]، وابن قائد المئة [٤]. وذلك الأخرس والأعمى والذي كان فيه شيطان [٥]، حيث قدم آخرون تضرعا عنه وشفى. ينبغي إذن أن نقيم الصلوات ونقدم القرابين من أجل موتانا دون أن نرتاب.

لا تغفر صلاة الكاهن التي تقام من أجل الأموات، القتل والزنى وغيرها، حيث لا توبة عن مثل هذه بعد الوفاة ولا صفح، لان الصلاة

١- يعقوب ٤: ٣

٢- انظر متى ٩: ٢-٨، ومرقس ٢: ١-١٢، ولوقا ٥: ١٧-٢٦

٣- انظر متى ١٥: ٢١-٢٨، ومرقس ٧: ٢٤-٣٠

٤- متى ٨: ٥-١٣، ولوقا ٧: ١-١٠

٥- متى ١٢: ٢٢، ولوقا ١١: ١٤

تغفر فقط الأدناس (الزلات) والشوائب التي في الفكر والقول.

إن إحضار القسوس والشمامسة إلى الكنيسة يُشير إلى أن لكل واحد منزلاً في العالم الثاني بحسب عمله وهو عتيد أن يقف أمام عرش المسيح الرهيب ليجازى بجسده... الخ.

أما ترتيل الألحان والتسابيح فيدل على الغلبة التي منحت لنا بواسطة ربنا يسوع على الموت، كالقول الرسولي : " **والذين آمنوا باسمه حسبه كرقاد** "، وأمرنا نحن الذين آمنا باسمه أن نفرح ونتشجع كالذين دعوا إلى الوليمة الإلهية، ولهذا نبّه يعقوب الرسول حاثاً إيانا بقوله : " **أعلى أحد بينكم مشقات فليصل، أمسرور أحدٌ فليرتل** "(١)، لأن الترتيل هو علامة الفرح.

إن قراءة الوعود الإلهية العظيمة دلالة على المنازل السعيدة التي يحل فيها إلى الأبد أولئك الذين حصلوا على الكمالات الإلهية بالأعمال الصالحة، فيستقبلون الذي رقد بقداسة، ويحثون أولئك الذين لا يزالون أحياء إلى نهاية شبيهة بنهايته، كما يعلنون لنا عن قيامتنا المجيدة أيضاً.

✠ الشموع التي تسير أمام النعش :

إشارة إلى نجاته من ظلام الضلالة وعدم المعرفة وبلوغه إلى المسيح الذي هو النور والحق والحياة الذي ينير كل إنسان يأتي إلى العالم، ومن المعلوم أيضاً أن الذي خرج من العالم بطهارة وقداسة يستنير من جديد.

١- يعقوب ٥: ١٣

✠ رائحة البخور التي تفوح أمام النعش :

إشارة إلى ارتفاع الأنفس المحبة لله، كارتفاع الدخان لرقته ولطافته، ويُشير إعطاؤه السلام إلى أنه انتقل وانفصل عنا كحي وليس كما يظهر مائتاً، " **إنه حي لله بالروح** "، و " **عزيز في عيني الرب موت أتقيائه** " [1]، وإذ ينتظر ايضاً أنه بعد قليل يواجههم متى انحل من الجسد، ويعطيهم سلاماً روحياً.

✠ تقدمة القرابين في يوم انتقالهم :

هي علامة تفيد أنه مثلما خدم القداس في بدايته هكذا في نهايته. **والزيت الذي يسكب على شكل صليب**، يذكر بالمسحة التي اقتبلها في المعمودية المقدسة، ففي الأولى يدعى للجهاد من أجل تقوى الله، ولكي بواسطتها يتشجع على الغلبة، وبذلك يكون قد جاهد الجهاد الحسن وأكمل سعيه وحفظ إيمانه كما قال الرسول [2]، ويكون مخوفاً على أجناد الشر ولا تطيق الامساك به.

✠ الذهاب إلى القبر في التشييع :

كما ذهب ربنا إلى القبر لعند لعازر [3] إذ كان قادرا أن يحييه دون أن يذهب، كما أنه ذهب عند ابنة يايرُس [4]، واقترب إلى ابن الأرملة

١- مزمور ١١٦: ١٥

٢- انظر تيموثاوس الثانية ٤: ٧

٣- يوحنا ١١ : ١- ٤٦

٤- متى ٩: ١٨-٢٦، ومرقس ٥: ٢٢- ٤٣، ولوقا ٨: ٤١-٥٦

وأقامه [1]، والآن ايضاً إذ هو معنا بواسطة الجسد والدم الذي تناولناه جسدياً، هكذا ننطلق إلى قبر أولئك الذين تكون لهم نهاية حسنة، فالذين رقدوا بالمسيح ليسوا أمواتاً، وهذا ما يجعلنا أن نلمس أجسادهم، أما الوثنيون واليهود، فلكونهم أمواتاً، فلا يقتربون من موتاهم قط، وقد نادى أشعياء النبي قائلاً : " **تحيا أمواتك (يا رب) تقوم الجثث، استيقظوا ترنمَّوا يا سكان التراب** " [2]، وقال دانيال : " **وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون**" [3]، وباقي الأنبياء والرسل أيضاً بشروا بالقيامة. وتتضح فائدة الموتى من القرابين والصدقات والصلوات من الأمور التالية:

١- من حضور أنفس وأرواح الأبرار إلى قدس الأقداس متى دعيت من قبل الكاهن الطالب الصفح والمستعطف، كما قلنا في تفسير القداس.

٢- أن الله يغفر للبعض من أجل بعضهم كما غفر لايوب من أجل أبنائه، وليهوذا المقابي من أجل المقتولين [4].

٣- لعدم إمكانية عودة الموتى إلى العالم ليلتمسوا من أجل ذنوبهم، ويطلبوا من أجل أنفسهم، لذا ينبغي أن نقرب عوضاً عنهم بدافع محبتنا لهم لا لأمور أخرى، كإنسان إذا ما طرح أخوه في السجن لمدة سنة أو أكثر أو أقل، فإنه يتخطَّى عتبات الحكام والزعماء ويعدهم، بالكنوز، ويدفع النفقات حتى يطلقوا سراحه، فكم بالأحرى ينبغي أن يتخطَّى عتبات هياكل الله ومعابد الشهداء والقديسين، متضرعين من أجل موتانا حتى يغفر لهم، كما قال الرسول بولس أيضاً : " **إن كان الأموات لا يقومون البتة فلماذا**

١- لوقا ٧: ١١-١٥

٢- أشعياء ٢٦ : ١٩

٣- دانيال ١٢ : ٢

٤- ٢ مكابيين ١٢ : ٣٩ - ٤٦

يعتمدون من أجل الأموات "[1] أي كما يعتمد الأطفال والصبيان وينالون الروح القدس بإيمان آبائهم، كذلك أيضاً بإيمان الذين يصنعون تذكارات ومآدب باسم موتاهم يحصل تبرير للموتى داخل قبورهم.

قال مار يعقوب الرهاوي " كل نفس انقادت وخضعت للشياطين لا تفلت من أيديها إلا بالصدقات السخية والرحمة والقرابين المستمرة ". وهنالك الكثير من الشهادات للملافنة في هذا المعنى، أهملناها لئلا يطول كلامنا، ولأننا تكلمنا عن ذلك كثيراً في كتابنا الكبير : " **في تفسير الخدمات وأسرار الكنيسة** ".

أما إقامة القداس في اليوم الثالث من أجل الذين وفدوا، فلأن الرب قام من القبر بعد ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث تصعد أنفس أولئك الذين ماتوا مع الملاك الذي قادها لتقديم السجود أمام الله الحي إلى الأبد، وفي اليوم التاسع لتذكار الأحياء وذكرى الذين رقدوا لأن النفس تصعد ثانية أيضاً للسجود لله، كما يقول الآباء القديسون، وبعد ذلك تستدعى النفس حتى القيامة. وصلاة السنة من أجل تذكاره كما للقديسين إذ تعطى للمساكين من أموال المتوفى ومقتناه. هذا ما تكلمنا من أجل الأتقياء، أما الأشرار المنافقون فإن أعطي من أجلهم العالم بأسره لا يفيدهم شيئا، لأن من كان في حياته عدواً لله فأيّة ذبيحة تقدم عوضا عنه لا يستفيد منها شيئاً.

١- كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٩

الفصل الحادي والاربعون

الدين المسيحي هو الأكثر حقيقة من سائر الديانات الأخرى

نقول أولاً : أننا وضعنا كتاباً بناء على طلب أحدهم في تفسير المسيحية وماهيتها وصحتها، وفي الإيمان وشرح كلمات قانون إيمان نيقية ووسمنا ذلك الكتاب " الحق المبين " لأن فيه اوضحنا صواب ديانتنا، كما نقضنا فيه كل الاعتراضات والاحتجاجات التي جاءتنا من المماحكين الهراطقة. وعليه فأننا نتكلم في هذا الكتاب الذي في متناول اليد بنوع من الايجاز عن صحة ديانتنا. يجب أن نعلم أنه بالرغم من وجود ديانات كثيرة، إلا أن الحقيقة يجب أن تكون إلى جانب واحدة منها، وعليه يجب أن نبحث لنرى بأي شيء يترسخ الحق في العالم، وبماذا يوم الكذب.

نقول : أن الصدق أقوى من الكذب، ولا يحتاج إلى إنسان لكي يثبته، أما الكذب فعكس ذلك فأنه ضعيف ولا يثبت إلا بمساعدة من الخارج، كإنسان مريض طريح الفراش لا يقوى على السير إلا باستناده على شيء.

ونقول أيضاً أن الكذب يستند على ثلاث قواعد أو على واحدة منها، أعني المال والسلطة ومهارة اللسان : فاستناده على المال مثلاً : كإنسان ثري يريد أن يظلم إنساناً فقيراً فيغتصب منه بيتاً أو حقلاً أو أي شيء آخر، ثم يدفع الهدايا للسلطان والحاكم ولآخرين معهما ويخرج من المحكمة بريئاً، ويخرج الفقير مذنباً، ومع كونه صاحب حق، إلا أن الرشوة أعمت أعين الحكام فأفسدوا الحكم والقانون. ومكتوب أيضاً : " **أن الرشوة تعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار** "[1]. وفي السلطة أيضاً يظلم

١- خروج ٢٣ : ٨، أمثال ١٧ : ٢٣

الواحد الآخر متى شاء مرات عديدة هنا وهناك دون مبرّر، في حين أن الحق هو من جانب المظلومين.

وفي مهارة اللسان : مثال ذلك : اثنان يتخاصمان على أمر ما، فيعبِّر صاحب الحق عن ذلك بتعابير ضعيفة، أما الثاني فإذ يكون حاذقا في أفانين الكلام والمناظرة ينتصر أحيانا على صاحب الحق لقصر جوابه ونظره، وهكذا ينتصر الكذب بسبب كثرة الكلام والجواب اللبق. وإذا كان ذلك كذلك فلنرَ أية ديانة قامت بقوة وازدهرت في المسكونة كلها دون أن تستند إلى القواعد الثلاث التي يرسي عليها الكذب، فأنها هي الصحيحة والقوية، فالتي تحتاج إلى أية من هذه القواعد لنهوضها فأنها ضعيفة وكاذبة، لأنها لا تجد القوة من ذاتها لتشمل الكل.

أَلم يتضح لكل إنسان من هذا البحث أن المسيحية هي الديانة الصحيحة، وهي وحدها التي شملت الكل دون مساعدة من الخارج، وذلك لدى التأمل بمؤسسها، وكيف أنه أوصى تابعيه ان لا يقتنوا ذهباً أو فضة أو نحاساً ولا سوطاً أيضا (١)، ومن يلطمهم على خدهم يحولون لهم الآخر (٢)، علماً بأن الذين زرعت البشارة بواسطتهم كانوا سذجاً وأميين، وأنتشرت في المسكونة كافة. فهل تستحق أية ديانة آخرى الثناء أكثر منها ؟ هكذا سيطرت على الشعوب وأخضعت البشر دون سلطان بشري وبالتجرد والتواضع.

فالمسيحية إذن أكثر صحة من تلك التي نشأت في العالم بالحرف لا بالروح، كالمسيحية التي لم تنشأ بواسطة الثروة أو السلطة أو بخداع اللسان، وتتضح حقيقتها من ان لكل ديانة لغة واحدة، بينما اشتهرت

١- متى ١٠ : ٩ - ١٠ ٢- متى ٥ : ٣٩، لوقا ٦ : ٢٩

المسيحية بكل اللغات، وهذا ما يؤيد كونها من الله لا من البشر، أن كل شيء لا يكون من الله، ولئن استمر زمناً يسيراً إلا أنه لا يريد أن يزول، كما رأينا زوال عبادة الأصنام، أما الديانة المسيحية فلا تبطل ولا تزول، لأنها لم تنشأ بسلطان زائل لكي تزول بزواله، ولكنها من الله، كما أن الله لا يزول كذلك هي أيضاً. وبختام هذا الحديث يكون المقال الثاني من هذا البحث قد انتهى.

وسنتكلم في المقال الذي يليه باختصار، وبقدر الامكان، عن العناية الإلهية والأحداث التي تحدث في العالم، وفي نهاية بحثنا هذا نرجو الكلمة الله المؤيد لكلامنا أن يثبت كلمتنا الطبيعية الصادرة عنا والتي تطلب شفاعته دوماً.

المقال الثالث

في العناية الإلهية

أناس كثيرون في جيلنا هذا الأكثر ظلاما، عندما يرون الأحداث التي تجري أعني الحروب والانشقاقات والسبي والتخريب والنهب ومصائب شتى، كالمجاعة والوباء، واقتتال الناس بعضهم مع بعضهم، لا سيما الصدّيقون الذين يفترسهم الاثمة، والصبايا اللواتي يدنسهن الأشرار الدنسون، وغيرها من النوائب، يقولون : كيف ولماذا يسمح الله أن تكون شرور كهذه ؟ ولو أنها حدثت وتحدث دون إرادة الله، فما مصدر حدوثها ؟ ومن له القوة بهذا المقدار أن يصنع شيئاً دون إرادة الله وأمره ؟ واين هي إذن عناية الله القادرة على الكل إذا ما تغلبت مثل هذه الشرور على الصالحات ؟

لذا وبعد أن أنجزنا الحديث عن تجسد الرب وتفسير الأسرار وطقوس الكنيسة كلها في المقال السابق، وصلنا بعون الرب الهادي إلى المقال الثالث من تجارة الكنوز هذه، التي جمعتها أنا الضعيف البائس، لكي نتكلم عن مثل هذه الأمور، وننقض آراء كهذه، إذ من الأنسب أن لا نستقصي ونبحث في مثل ذلك، وكان أكثر نفعا لو أننا ببساطة، ولكن لئلا يظن الفضوليون أن لا حول لتعليمنا أن نثبت حقيقته بوضوح، فقد لجأنا إلى إبكام مثل هذه المماحكات مع رغبتنا بأن يأخذوا الإيمان ببساطة، لذلك خضنا غمار هذه الأمور، **معتمدين على ما نهلنا من معين الملافنة الملهمين من الروح القدس، أولئك الذين شحذوا المناجل بصورة متينة مدهشة كفعلة على أتم أستعداد، وأستأصلوا أعشاب الزؤان كلها، وطرحوها في النار، وجمعوا الزرع الجيد وخزنوه في بيادر مؤلفاتهم الروحية الواسعة المقدسة**. وكالنملة التي تطوف على الشواطيء

الخارجية للبيادر الواسعة وتلتقط حبات صغيرة، هكذا تمكنت أنا الضعيف والخاطيء أن أجمع ما كتبته أعلاه، وما سأكتبه الآن فقط، **وذلك بناء على طلب سؤال وَدَعِكَ أيها الأخ الحبيب ومحب الله الربان متى**، فإذا ما اتفق وصادفتك أنت أو أي واحد آخر هذه الكلمات، وبعد أن يمعن فيها النظر ويقرأ ويفهم، فإن وجد ضالته فالشكر لله، أما إذا كان خلاف ذلك فلينسب ذلك إلى ضعفي ويرفع الصلاة من أجل التعيس الذي تعب وجمع بحسب قدرته بمحبة من كملَّ الناموس.

الفصل الأول

آراء بعضهم في مثل هذه الحوادث

قال ماني بوجود كائنين أزليين، الواحد خلق الشرور وارتضى بها وصنع الشرور، والآخر خلق الخير وارتضى به وصنعه.

وقال آخرون أنه يوجد كائن واحد أزلي، الذي منه الخير والشر، ولعلماء الفلك آراء أخرى في ذلك، ولآخرين غيرها، وعليه فلا مجال أن نرد على جميع هؤلاء لئلا يطول الكلام.

يجمع الملافنة القديسون وآباء الكنيسة ويؤكدون أنه لا شيء من جميع أنواع هذه الحوادث القاسية هو شر، فجميع أنواع القتل والتخريب والنهب والسلب وبقية الأنواع المفزعة والقاسية حدثت وتحدث بمعرفة الله وأمره، ومنها عندما يشاء يسمح بحدوثها للردع والتأنيب، ومنها لإبادة ومحو بعض الأشياء من الأمور غير الشرعية والأثمة، ولكن بأحكام الرب العميقة والخفية، أي التي لا تُدرك والتي تنظر الى خلاص كل نفس.

هكذا اعترف الآباء القديسون، ومن ثم نقضوا كل فكرة تتناقض وهذه العقيدة.

الفصل الثاني

ضد رأي ماني السخيف والقائل بإلهين : صالح وشرير

نقول له إن كانا كقولك خالقين، الواحد صالح لأنه يرضى بالصالحات، ويخلق الصالحات ويُقيم الصالحات التي هي : ولادة، عقل، نموّ، جمال وصحة، بنيان، زينة، حياة، أغذية وغير ذلك.

فهذان الكائنان الأزليان يضادد أحدهما الآخر، وهما في خصام دائم مع بعضهما، لأن الواحد يرغب في الصالحات والآخر في الشرور، الأمر الذي يؤدي إلى إفناء أحدهما الآخر، فيتم فيهما المُحال، مثلاً : إذا كان هذان الكائنان الأزليان ضد بعضهما كقولك، فمن الواضح أن كلاًّ منهما يشغل حيزاً، ويوجدان محدودين، ومن كان محدودا ليس أزليا فهو زمني، ومن كان زمنياً فهو مخلوق، ومن كان مخلوقا فإنه ليس بإله. ثم إذا كان هناك أزليان فهما منفصلان، وإذا كانا منفصلين، فكل واحد منهما محدود بأزليته، وإذا كانا محدودين فهما جسمان ويحدهما مكان، فيحصل واحد من ثلاثة :

إما أنهما أقدم من الأماكن المحصورين فيها، أو أن تلك الأماكن أقدم منهما وهما أبناء تلك الأمكنة وأزهارها، أو أن الأماكن مساوية لهما في القدم.

- فإن كانت الأولى : فيظهر أنهما كانا متساويين يوما ما ولم يكن ما يفصلهما.

- وإن كانت الثانيــة : فهما ليسا كائنين لكونهما ليسا أزليين.
- أما إذا كانت الثالثة : فيوجدان جواهر أزليــة كثيرة وليس اثنيـن، وعليـه ينبغي أن تكون تلك الأمـاكن منفصلـة عـن بعضهـا بعضاً وعن الكائنين الأزليين أيضاً.

والأوسط الذي يفصل ما بيـن الأزلـي وصنـوه، تـرى برعايـة أي منهما يكون إذن ؟ ولأي منهما يلائم ويوافق ؟

لا يمكن والحالة هذه أن يلائم أحدهما دون الآخر، لئلا يفنيه الآخر الذي يخاصمه، وربما قد يلائم كل منهما الأوسط من جانبـه الأقـرب إليـه، وهذا ليس ثابتاً، نظراً لحاجة كل واحد إلى ذلـك الوسيط فـي الوقـت الـذي هما ضد وسيط آخر، لكونهما متنـاقضَين، لئـلا يفنيهمـا، وهـذا يحتـاج إلـى آخر أيضاً، وهكذا إلى ما لا نهاية. فينبغي إذن أن يتنازل ذاك كثيراً، وهـذا يتسامى على أزلية أولئك الذين يتميزون به، لئلا ينقص سواء من أسـفل أو من فوق وبذلك يسمح لتلك المتناقضات التي تتداخل مع بعضها بعضاً.

الفصل الثالث

ضد الرأي السخيف للقائلين :
بكائن أزلي واحد منه الخير والشر

وإن كـانت هـذه الفكـرة نوعـاً مـا صحيحـة أي قولهـم بكـائن أزلـي واحد، إله واحد وخالق الذي به الكل ومنه الكـل، وبـه الكـل والقـادر علـى الكل والضابط الكل والمعتني بالكل، إلاّ أن إضافتهم : منه جميع الشـرور كما منه جميع الصالحات أيضاً فذلك هراء.

وباختصار فإن الكذب يمكن كشفه بوضوح من خلال هذه الحالات:

فالله صالح وهو صالح بالذات، ومن كان صالحا بالذات ولا يوجد فيه شر، فكيف يمكن أن يصنع شرا كليا كان أم جزئيا ؟ لأن كل من كان فيه شر أو يصدر عنه شر سواء أكان طبيعياً أم عرضيا، أو بأي نوع كان، لا يكون صالحاً بالذات، ومن لم يكن صالحاً بالذات، فليس إلها أيضا.

الفصل الرابع

اعتراض الخصوم القائل : إذا كنتم تعترفون بوجود كائن أزلي واحد

إذا كنتم تعترفون بوجود كائن أزلي واحد، أي خالق واحد الذي هو الله، وليس له نظير أو شريك، ولا يوجد آخر أبدا إلاّ هو، فمن الضروري أن تعترفوا أنه يخلق الشر ويأتيه أيضا، مثلما خلق وأتى الخير، لأنكم لو لم تعترفوا هكذا، بل قلتم أن الله لم يصنع الشر وأن الشر ليس من الله مطلقا، ألزمكم بالضرورة أن تقولوا بوجود خالق آخر الذي خلق وأبدع الخليقة ويبدع، وبذلك تنزلقون إلى كفر وظلام الفكرة المانوية القائلة بأزليين. هذه هي اعتراضات الخصوم والمعترضين.

ولهؤلاء نقول : أن الشر ليس جوهرا ما قط ولا خليقة، كما أن الله لم يخلق أو يصنع الشر، ولا يوجد خالق آخر له، إنما الشر هو عدم الخير، ثم أن الله صالح أبدا بطبعه وذاته، وحكيم وقدير، وعلى أساس هذه الأمور الثلاثة خلق وأبدع الخلائق كلها : بالصلاح الذي ارتضى أن يخلق هذه الخلائق التي خلقها، وبالحكمة التي بها نظمها وزينها بجمال أجناس متنوعة، وبالقوة التي بها يضبط جميعها ويحفظها ويقويها.

وبما أنه لا خير ضد خير، ولا حكمة ضد حكمة، ولا قوة ضد قوة، فالشرور الثلاثة تعرف بكونها عدم الخير وعدم الحكمة وعدم القوة، فحيث لا يوجد خير فهناك عنف وهو شر، وحيث لا توجد قوة يكون هناك فساد وهدر وهو شر، وحيث لا توجد حكمة فهناك حماقة وعدم معرفة وهو شر، ومن أجل ذلك فحاشا أن يكون في الطبع الإلهي الذي خلق هذا الكون بجوده اللامحدود، وزين هذا الكون بحكمته التي لا تقاس، ويدبره بالقوة التي لا تقهر والقادرة على الكل، أن يكون به أو يصدر عنه شر قط، وإلاّ لما كان وجود لهذا الكون ولما استمر وثبت إطلاقاً.

وإذ عرفنا وتأكدنا أنه لا يوجد قط شر ما في الطبع الإلهي ولم يكن منه ولم يخلقه الله أبداً، أردنا أن نسأل إذن ونعرف ونتعلم، من أين وجد الشر كما وجد الخير أيضاً، لأننا علمنا أن الخير من الله، فمن أين إذن الشر ؟.

الفصل الخامس

يؤكد صحة كلامنا نحن المسيحيين بأن : الشر ليس من الله وليس جوهراً ولا طبيعة. ومن أين يأتي الشر ؟

نقول : أن الله الأزلي والذي لا بداية له، عندما خلق الكائنات بنعمته، إذ لم يكن ممكناً أن تكون أزلية أيضاً، فقد منح خلائقه بسخاء كل ما كان ممكناً من الجمال وبفيض نعمته، ولما جعل لهذا العالم بداية صار تحت الزمان، وصار محدوداً وذا نهاية، وأن هذه الحدود والمحدودية

والنهايات تظهر أن هذا العالم مخلوق وزمني وله بداية ونهاية، وله خالق منزّه عن هذه كلها.

ويمكن رؤية الحدود المكانية للأجسام، لا بل يظهر كيانها بشكل أكثر وضوحاً بعد زوالها، فمثلا عند زوال جسم مادي قبل مشاهدته، فإن الخير الذي حصل بوجوده وهو في متناول اليد يظهر أكثر وضوحا بزواله، إذ يحل محل وجوده العدم الظاهر، ولما كان هذا العدم لا شيء، بل فقدان وجود المادة فقط، لذلك دعونا وجودها خيرا وزوالها شرا، لأن خليقة الخالق هي خير وجوهر ثابت، أما العدم فليس خليقة ولا جوهر ثابت. ويتضح لنا ذلك بهذه الطريقة :

إن من جوهر سمّيناه مادة، ما كان يعرف فيها هذا الخير كله بوضوح عندما كانت موجودة، كما ظهر بعد زوالها، كهذه الشمس المحسوسة، فلو أنها كانت ثابتة دون حركة ولا انتقال من موضع إلى موضع أبداً، لكانت قد اختفت أحياناً بتأثير عتمة كثافة الهواء، ولما استدل على أن نورها ينير الخليقة كلها، وبما أن الشمس تدور مع الأجرام وتغيب عن وجه المسكونة في المساء، لذا يحصل ظلام بزوالها، فيتضح بجلاء أن النور كامن فيها، الأمر الذي يزيد من جمالها، وبزوال الشمس يتولد الظلام، فالظلام إذن هو من نصيب الشر قياسا بالنور، حيث أنه ليس خليقة ولا جوهراً ثابتاً بل انعدام النور فقط. كما العلة لمعرفة وفرة الخيرات التي من النور، ولهذا السبب بلغ بنا الحد أن نقول : أن علة وجود العدم هو العالم، لتعرف الأجسام حدود كل واحد من الخلائق، وبما أن العدم ليس خلقة الخالق ولا جوهرا ثابتا ولا شيء مما صنعه ذلك الصالح لكنه العلة فقط لمعرفة كل ما صنعه ذلك الصالح، فليس هذا العدم الذي بيّناه جوهراً غير مخلوق ولا خليقة ما ثابتة، كما يتضح ذلك من الشكل أدناه :

ما يفهم | **وما يرى**

اما هو شيء ويقال له شيء

إما أن يكون خالقاً ــــ أزلي لا يبدأ ولا ينتهي ولا يتغير.

أو خليقة ــــ إما روحية وناطقة.
أو روحية وجسمية مركبة وناطقة.
أو جسمية ــــ وذات نفس ومدركة.
أو غير ذات نفس وغير مدركة.

واما ليس شيئاً ويقال لا شيء

اما يتخيل بالتأمل ــــ كأن يفكر انسان انه قبل أن تخلق هذه الخليقة لم يكن في مكانها شيء

كلها اذن زمنية، لها بداي
ولها نهاية، وتتحرك ويط
عليها التغيير وتنقسم ا
أجزاء، ويوجد متى لم تك
موجودة، وتزول أجزاؤ
أيضاً من خلال الحركة وم
خلال التغييرات ومن خ
الانتقال من مكان الى مك
والبداية من هذا الى ه
وبهؤلاء وكهؤلاء يمك
التفكير بها ومنها ذل
اللاشيء.

فالخليقة بوجودها الآن تصنع شيئاً ما هو موجود ويقال له خيراً.

وبعدم وجودها تصنع ما هو لا شيء ويقال له شراً.

أو يعرف بزوال الشيء ــــ كما عند إزالة جزء ما يسبب عدماً للاشيء، مثلاً عندما تغرب الشمس يكون ظلام، الذي هو انعدام النور، وعليه فذلك اللاشيء لا يدرك الخلائق أو الخالق ولا خارج عن خلائقه، لأنه ليس خليقة ثابتة ولكن الخليقة كلها لكونها موجودة تدل على ذلك اللاموجود.

فالشر إذن هو انعدام الخير وهو على نوعين :

+ اما شر غير ثابت
ويقال له شراً في
حين انه ليس شراً

- كالظلام الذي يزول بالنور.
- كالمرض الذي يبطل بالشفاء.
- وكالحروب التي تبطل بالسلام.
- وكالقتلى الذين يتبرّرون بجرحهم.
- وكالخطاة الذين يتطهرون بتوبتهم.
- وكالموت الذي يبطل بالقيامة.
- وجملة القول أن كل شيء يتجدد ويتغير للخير.

+ أو شر ثابت
ويقال له شراً
وهو شر فعلاً

- كطبيعة الملائكة الروحية التي هي غير مائتة. وبحريتها ابتعدت عن الخير فتولد فيها الشر الذي لا نهاية له كالشياطين.
- كالنفس التي هي غير مائتة وغير منحلة، ولما تبتعد بحريتها عن الخير ولا تتجدّد بالتوبة يتجسد فيها الشر فعلاً لأنها تكون عديمة الخير حتى النهاية.

ثم ليفترض عقلنا وجود بقعة ما على وجه الأرض ليس فيها مدينة أو قرية ولا بشر ولا حيوانات ولا شيء آخر إطلاقاً، فلا يمكننا أن نحدّد لها مكاناً معيناً إلاّ خالياً من كل شيء، أما إذا وجد في تلك البقعة في زمن ما بداية عمران يقطنها البشر ويشيدون فيها مدينة، وتكون مزيّنة بعمارات وأسوار وبيوت وساكنين، بشر وبهائم وغير ذلك، نقول أن هذا العمل المتقن هو خير، فنسمّيه خيراً وهو خير فعلاً وآتٍ من عند الصالح، ولكن عندما تخرب تلك المدينة بكاملها نتيجة تقلبات الزمان، أو تسقط بهزة ما ويبيد كل من فيها كما يحصل عادة، أو عندما يغمرها طوفان الماء، كالذي صنعه الطوفان في أيام نوح، أو تزول حرقاً بالنار كسدوم وعمورة، أو بسبب منازعات الملوك والحروب البربرية، أو يتسلط عليها السيف من جراء تحالف الشعوب فيقتل جميع من فيها وتخرب بكاملها.

فهذه الأمور كلها تعتبر شراً بالنسبة إلى كل واحد، وليس شراً بسيطاً، بل شراً عظيماً، ولكن ينبغي أن نبين ماهية ذلك الحدث. فمن مثل هذه الأشياء نفهم ما هو الشر الذي يعتبره الجميع شراً، إذ لا نجد شيئاً يحدث لذلك المكان إلاّ مجرد كونه فقد ما كان عليه من خير حيث كان يُعرف سابقاً المعدوم من كل شيء، ولما شيّد وازدهر، دُعي ذلك العمل خيراً، ولما خرب وأقفر دُعي ذلك الخراب الحاصل شراً، إذ لم يحدث لذلك المكان شيء سوى عودته إلى ما كان عليه، فزال عنه ذلك الخير الذي كان فيه في وقت ما، وبزوال ذلك الخير لم يدخل عوضه شيء ولا جوهر آخر ما ولا خليقة أخرى، بل عدم فقط. ولما كان " **العدم** " غير مخلوق وليس شيئاً كوّنه الخالق، لذلك ترك الخالق أن يظهر العدم في ذلك المكان، فيظهر خليقته الذي هو خير بصورة أكثر جمالاً وبهاء.

الفصل السادس

أنواع الخير، وأنواع الشر
وأيٌّ هو الشر الحقيقي، وأيٌّ هو الذي يُظن أنه شر
الذي يُقال عنه أنه شر في حين أنه ليس شراً
وما كان ينبغي أن يُسمى شرا

نقول : أن الخير يُقال بنوعين وكذلك الشر :

فالخير الحقيقي هو مخافة الله وهو فضيلة، فعندما يرغب فيها الإنسان يلقى عوناً من الله من أجل إنجازه. **الخير الثاني** ليس بالحقيقة خيراً ولكن يُظنّ أنه كذلك، مثل صحة الجسد والمأكل والمشرب والأموال والسلطة، فهذه من اجتهاد الإرادة الإنسانية.

والشر الحقيقي هو الذي يصدر عن أعمال الخطيئة المقيتة، ويأتي بأنواع كثيرة أيضاً مثل الفجور والسرقات، القتل، الكفر بالله وبقية الفروع الرديئة للخطيئة القذرة. **والثاني** : خراب الأماكن بسبب الزلازل أو السبي أو الطوفان، والنزاع بين ملوك الأمم والأوطان الذين يبيدون ويفنون بعضهم بعضاً، وبقية الحوادث التي تأتي عن فساد الأنواء، كالأمطار، والبرد التي تتلف ثمار الأرض وتسبب الجوع والضيقات وغيرها من الأمور التي تشبه ذلك والتي نسميها بحق قصاصا وتأديبا.

والنوع الأول من الشر هو الذي يحصل نتيجة ارتكاب الخطيئة، وهو الشر الحقيقي، وبإمكان كل فرد أن يقضي على هذا الشر بإرادته، ولكن ليس بدون معرفة الله. أن الله يعرف كل شيء قبل أن يكون، ولا يغيب عن المعرفة الإلهية شيء قط، لكنه لا يقاوم الحرية التي منحها

للبشر، فهو يعرف ولا يشاء، لكن يدع كل شخص أن يفعل ما يشاء بذاته، ولذلك فإن الذين يعيشون بالبر بحرية إرادتهم، يرثون النعيم عدلاً، والذين يتمرغون في الخطيئة بإرادتهم الشريرة، فإنهم يتعذبون عدلاً، وهذا هو الشر الحقيقي.

وهناك نوع آخر من الشر ليس شراً حقيقياً، لأن لم يأتِ دون إرادة الله، كالتأديبات للأرض وسكانها. والواقع أن الله يرسل ضربات لتأديب خليقته بأشكال وأوقات مختلفة، وهو وحده يعرف ما هو صالح لهم، كما ذكرنا أعلاه.

الفصل السابع

يبين السبب في أن :
كل قصاص وعقاب يأتي على البشر هو من الله
وبكم نوع يأتي ؟

يعلمنا الآباء القديسون المطلعون على أسرار الروح، ويكشفون لنا عن أن جميع الضربات والتأديبات، والتجارب والضيقات التي تأتي على البشر، كالجوع أو السبي أو القتل أو تحويل الأماكن المقدسة إلى خراب وقفر، وسواها، قد حصلت وتحصل بمعرفة الله دون شك. فمنها ما يسمح بحدوثها عندما يشاء، إما لامتحان الأبرار وزيادة فضيلتهم وإشهارها كما فعل مع أيوب وإبراهيم والشهداء القديسين، أو لعلاج الأدران وتطهير الأدناس الصغيرة كما فعل مع داود ومنسّى، فبمثل هذه التجارب، عاد الكثيرون إلى الصواب، ومنها ما يسمح بوقوعها عندما يغضب، من أجل مغفرة الخطايا أو لكي يمتنع فاعلوها عن ارتكاب القبائح، غير أن كل ذلك

يحصل للفائدة بفضل العناية الإلهية وأحكام الله العميقة التي لا تدرك ولا تستقصى، فغايتها الأولى والأخيرة هي الفائدة، ولذلك ولئن يسميها الناس شرا نظراً لمرارة نتائجها، إلاّ أن محصلتها الأخيرة ليست شرا حقيقياً، بل فوائد وحسنات مرضية، لذا نقول أن كل تأديب أو قصاص مصدره الله.

وهذه التأديبات :

- + أو على الأشرار
  - إما نهيا للشر القائم.
  - أو منعا لما يتوقع وقوعه.
  - أو تطهيرا لما مضى.
- + أو على الأبرار
  - إما للتطهير من بعض الشوائب.
  - أو لكي لا يخطأ بعد.
- + أو تأتي على الأصحاب والأقرباء
  - أو يعاقب أكثر من هؤلاء وإلا عوقب ذوو القربة في النهاية.
    - أو يصيب الجسد بالمرض.
    - أو النفس بالحماقة والمخالفة.
    - أو إبادة ثمرة البطن.
- + اما أنها تأتي أولا على غير النفوس البشرية
  - كتلف الزروع والبساتين والكروم والجنان وما يشبه ذلك أو موت البهائم.

الفصل الثامن

أنواع التسليم

نقول : يقال التسليم بثلاثة أنواع :

١ـ المساعدة.

٢ـ الإهمال.

٣ـ السماح.

فالمساعدة : كما حصل لنبوخذنصر الذي جاء إلى أورشليم، فسلمها الرب بيديه، وبتسليمه المدينة نفهم أنه هو الذي أتم دمارها، كما قال النبي : " **إنني أتحرك وأجلب عليهم أن لا يناموا ولا يرقدوا ولا تنقطع سيور أحذيتهم عليك يا ابنة شعبي** " [١].

والإهمال : كما قال بولس عن الأثمة : " **أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض وأسلمهم إلى أهواء الهوان، وأسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة** " [٢]، فعوضاً عن " **أهمل وتخلى** " استعمل كلمة " **سلم** " فليس من العدالة بمكان اعتباره الإشارة الأولى.

والسماح : كما حصل لأيوب، إذ قال الرب للنمّام : " **هوذا في يدك** " [٣]، وهذه هي حالة السماح، إذ يختلف القول " **سلم** " وكأنه " **ساعد** " من القول أنه " **سلم** " وكأنه أهمل ولم يسعف، والقول أيضاً " **أهمل** " لكي يجيز ذلك، تأتي حالة التسليم على ثلاثة أنواع :

١- أشعيا ٥: ٢٧

٢- رومية ١: ٢٤ - ٢٨

٣- أيوب ١: ١٢

المساعدة ← كما حصل لنبوخذنصر الذي أتى إلى أورشليم فأسلمها الرب بيديه.

الإهمال ← كقول بولس : أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض وأسلمهم إلى أهواء الهوان وأسلمهم للشهوات.. الخ.

السماح ← كما حصل للنمّام إذ قال الله من أجل أيوب ها أنا أسلمه بيديك.

الفصل التاسع

يبين أن جميع التأديبات والتجارب التي تأتي من الله على البشر بسبب خطاياهم هي لفائدتهم

يقول الكتاب المقدس : " **لقد وعد الله موسى تلك الأرض من مصر حتى نهر الفرات وجاء به ولم يعطه إياها** " (١)، ووعد آدم أن يجعل خوفه ورعبه على الوحوش ولم يتم ذلك الوعد، وهذا يظهر أنه لا الخيرات ولا الضيقات يأتيها الله على الذين يقبلونها، فلو هدّد بالقتل

١- انظر تثنية ١: ٧ و ١١: ٢٤، ويشوع ١: ٤، وتكوين ١٥: ١٨

وتغير أولئك الذين تلقوا التهديد، فإن الغضب يزول عنهم، وإن وعد بما هو حسن دون أن يستحق أولئك الذين وعد لهم، فإنهم يحرمون منه، ومن أجل ذلك قال للشعب بلسان أرميا النبي : " **تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم فترجع تلك الأمة التي أتكلم عليها عن شرها فاندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها. وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتي فاندم عن الخير الذي قلت أني أُحسِنُ إليها به** " [١]، ويحل محله القصاص.

وقال داود النبي : " **الأرض المثمرة سبخةً من شر الساكنين فيها** " [٢]، وعليه ينبغي أن نعرف أن كل الأشياء سبق فوضعت في فكر الله قبل أن تكون، وقبل أن يقولها لنا أو نقولها لهن كما أنه يعلم أنها ستكون كما كانت، وهكذا رتّبَ ليتمّ بالفعل ما له وما هو منه، كما سبق فحدّده بعلمه، وكل ما لنا ومنّا نفعله بحريتنا، وقد سبق فعرف ما ستفعله حريتنا، ويُحتمل أن يزيد منها أو ينقص من أجل بلوغها إلينا في الأوقات المحدّدة كما سبق فنظرها ببصره. وبالرغم من أنه لا يعرف الغضب، إلاّ أنه حدّد كلمات الغضب لكي نتوب ونرجع إليه، فهو عارف بكل شيء قبل حدوثه، لذا سبق فحدّد لكل واحد ما ينفعه ويصلح له، في حين أنه لا يضغط على حريتنا ولا يقودنا كرهاً لنفعل شيئاً ما، ولكنه حدّد ونظم تصرف الأعمال بموجب عنايته.

قال القديس باسيليوس في ميمره : " في أن الله ليس علة الشرور" هكذا : " علينا أن نسعى إلى الخواص الهامة الرئيسية.. فكما أن الطبيب ليس علة المختونين والمطهّرين بل المرض، كذلك الأمر بالنسبة إلى خراب المدن وعبادتها "، وبما أن الذين يخطأون لا قياس لهم في البداية

١- أرميا ١٨: ٧ - ١٠ مع ملاحظة تصرف المؤلف ببعض عبارات النص.

٢- مزمور ١٠٧: ٣٤

فإنهم يجعلون الله بحل من كل ما هو مشين، وإلاّ فإذا كان الله ليس علة الشرور فلمَ قيل : " **أنا** ـ الرب وليس آخر ـ **مصدر النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الخلائق** " (١)، وأيضا : " **لأن شراً قد نزل من عند الرب إلى باب أورشليم** " (٢)، وليس شر في تلك المدينة لم يصنعه الرب، وفي تسبحة موسى العظيمة قال : " **انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إله معي أنا أُميت وأُحيي. سَحَقتُ واني اُشفي** " (٣)، إلاّ أنه ولا واحدة من تلك مفروضة على الله في نظر من يفهم فحوى الكتاب الذي يظهره وكأنه العلة وصانع الشر مهما كان. فإنه قال : " **أنا هو مصدر النور وخالق الظلمة.. وخالق الخلائق** " (٤) يظهر ذاته من خلال ذلك، بأنه خالق كل شيء، ولكي لا يتوهم أحد، بأن علة النور هو آخر، وآخر علة الظلام، خاطب نفسه قائلاً : " **للخليقة خالق وصانع** " (٥)، الأمور التي يظن أنها متناقضة، فكما لا تعتبر خالقاً آخر للنار مثلا، وآخر للماء، وآخر للهواء، وآخر للتراب بحيث يخال أنها تناقض بعضها بعضاً بسبب تناقض الكيفية، فعندما انحرف بعضهم وارتدوا لعبادة آلهة متعددة، صنع السلام وخلق الشرور، فهو يصنع في داخلك السلام خصوصا عندما يريد أن يحول عقلك بقوة تعليمه الصحيح ويرضي الميول متى ما صنعت هذه الأمور ثورة لدى نفسك. حينذاك يخلق الشرور، أي يغيّرها ويزيّنها ويأتي بها إلى ما هو أفضل، بحيث إذا ما تحرّرت من كونها شرا، فإنها تتخذ طبيعة عمل الخير. " **قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله** " (٦)، لا كأنه يخلقه الآن، وإنما يجدّد ذلك الذي بلي بالشرور، بحيث يخلق من كليهما إنسانا جديدا، وإذ يخلق لا لكي يأتي بها من حيث انها غير موجودة، بل لكي يعود فيزيّن بالتجديد تلك الموجودة، و " **إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة** " (٧)، وقال

١- أشعياء ٤٥: ٧
٢- ميخا ١: ١٢
٣- تثنية ٣٢: ٣٩
٤- أشعياء ٤٥: ٧
٥- المصدر نفسه.
٦- مزمور ٥١: ١٠
٧- كورنثوس الثانية ٥: ١٧

موسى أيضاً : " **أليس هو الذي اقتناك وصنعك وخلقك** "، وإذ رتبت الخليقة بوضوح بعد الخالق، فذلك غالباً ما يعني التغيير نحو الأفضل. أي أن صانع السلام بدلاً من أن يخلق الشرور، يغيّرها نحو الأفضل.

قال القديس كيرلس في تفسيره لأشعياء النبي : " **بصبر يحتمل الله ازدراء أولئك الذين يسيئون إليه إلى زمن يعينه ومقدار يحدّده، فمتى بلغت الخطيئة الذروة التي يعرفها وحده، ينزل آنذاك القصاص، ويؤدبه على العصيان بالضربات التي تناسب خطاياه** ". وقد علّم هذه الأمور ذاتها سائر الملافنة والآباء القديسون.

الفصل العاشر

يبين سبب سماح الله بتجربة الناس القديسين في هذا العالم

نقول لأسباب كثيرة :

١- ليعلموا أنهم ضعفاء من خلال الضيقات التي تواجههم.
٢- لئلا يبتلوا بالكبرياء نتيجة سمو فضائلهم واجتراحهم الأعاجيب.
٣- لئلا يتوهموا أنهم أرفع من الطبيعة الإنسانية وأنهم ليسوا بشراً بل آلهة.
٤- لينكشف ويتضح صبرهم، وكونهم لا يعملون عند الله بأجر، بل من أجل محبته.
٥- ليتحقق رجاء القيامة عندهم، فإذ لم ينالوا جزاء أعمالهم هنا، فمن المعلوم أنهم سينالوه هناك بحسب حكم الله العادل.
٦- ليكونوا مثالاً للشجاعة والتعزية للذين يبتلون بتجارب متنوعة.

٧- لكي تتطهر الشوائب ان وجدت فيهم.
٨- لكي يظهر خبث الشيطان ومدى رغبته في أذى محبـّي الله وشدة تمسكهم بحقهم.
٩- لولا التجارب، لفكّر الشيطان أن يحاربهم بشكل أو آخر ليبعدهم عن الله، ولكن بفضل ما يجري لديهم وثباتهم في حقهم، لبيان فضلهم أمام جميع الخلائق، وأن محبة الله لهم هي بحق، ويخذل الناس الأشرار والأبالسة الماردين قياساً بهم لخلو أفكارهم عن الحق.

الفصل الحادي عشر

يبين سبب حفظ الأشرار من جميع التجارب

نشر الرب جناح رحمته على جميع الخطاة لئلا يبتلوا بواحدة من التجارب، فلا يكون لهم عذر إذا ما أُدينوا بسبب ذنوبهم، أي عندما ينجذبون نحو الخطيئة بسبب ضيق ما، فقد حفظهم الله من حرب الشياطين ومن أذى الجسد، وفي حين أنهم يستحقون الهلاك، فإنه ينعم عليهم بالخيرات، فإن شرهم إذن دعاهم إلى حكم الله الرهيب وليس الله هو الذي أسلمهم إلى العقاب بسبب أفعالهم السيئة.

اتضح إذن أن ملاذ العالم وصحة البدن تولد خسارة للنفس الضعيفة والعاجزة، ولو كانت الشهوات تصلح للصلحاء لما كان يمنعها عنهم، ومن المعروف أن ما في العالم من جديد لا يليق بالصلحاء، لكنه متوفر في هذا العالم كثيرا في حين لا يجب اقتناؤه.

الفصل الثاني عشر

أناس قديسون ضاعت أموالهم
بينما أموال الأثمة لا حصر لها

إن هذا أمر مألوف في هذا العالم الذي هو كور الاختبار للأخيار والأشرار، أما ضياع أموال الأخيار فيحدث لأسباب :

١- من خبث الشيطان الذي يغتاظ من الراحة التي للصديقين.
٢- لكي يختبر فكره (الصالح) ومدى صبره على فقد أمواله.
٣- لئلا ينحرف بسبب غناه نحو الجشع.
٤- لئلا يفكر بأنه عظيم ويعتقد أن ما اقتناه كان بسبب فضائله.
٥- لكي إذا ما رأى الأثمة في سعة في كل شيء، أما هو فمتضايق ومعذب بسبب الاحتجاج، فيعتقد أنه خاطئ وأنه بالاسم فقط صالح، فالذين يعتبرون أثمة، لهم سعة من الثروة والكرامة لا كما نتصورهم هكذا هم عند الله، لأنهم لو كانوا أشراراً لما أغدق عليهم الخيرات من كل نوع بما أنه ديان عادل، فمن المعروف انني بسبب خطاياي عوقبت بخسارة أموالي.
٦- لكي يبكت فاعلو الإثم، إذ لو كان الصديقون يحتملون ذلك، فكم كان ينبغي أن يحتمل أولئك، ومعلوم أنه ولئن لم يعاقبوا الآن، إلا أنه يأتي زمان يدانون فيه.
٧- لكي يفهم الأثمة والخطاة أيضاً أن ما اقتنوه فبرحمة الله لا باستحقاقهم.
٨- لكي لا يحتجوا ويقولوا أنهم أثموا لكونهم فقراء، فها هوذا الله قد أكرمهم بجميع الخيرات، ولم يدركوا من هو واهبها.

٩- فإذ كانوا مستحقين لكل أنواع التجارب بسبب شرهم، لم يدع الله أن يتضرّروا حتى بالمال الذي لا يجدي، بل حفظه إياهم من كل شر دون بليّة.

الفصل الثالث عشر

يبين سبب وجود أبرار تتوفر لديهم أموال منظورة

إن حوزة الأبرار غنى وكرامة في هذا العالم يفيد بأنهم عتيدون أن يرثوا النعمة على اعتبار أنهم إن كانوا قد استغنوا بما ليس من شأنهم، فما أعظم ما هو من شأنها ؟ وهذا يحث كل إنسان أن يهتم بالفضيلة بكل قواه، فإن الله لا يغني خائفيه بالسماويّات فقط، بل وحتى بالتي تزول أيضاً.

الفصل الرابع عشر

سبب وجود خطاة ينالون قصاص أفعالهم في هذا العالم

إن بعض الأشرار الذين ينالون عقابهم في هذا العالم، إنما هو مؤشر إلى الدينونة التي سينالها جميع الخطاة والمذنبين، ولئن كان العقاب خفيا عنا إلاّ أن قصاصهم هنا هو علامة وعربون ذلك العتيد، كالذين هلكوا بالطوفان، وأهل سدوم، وفرعون وجيشه، وبيت واثان وابيرام[١]،

١- انظر عدد ١٦: ١ - ٣٥

والآشوريين والبابليين، وعير بكر يهوذا [١]، وحننيا وشافيرا [٢]، أما الخطاة الذين يحفظون من الأذى في هذا العالم، فإن رحمة الله تكون قد احتملتهم، غير انهم لا ينجون من عقاب جهنم، لأن كل إنسان يجازى كأفعاله دون محاباة.

الفصل الخامس عشر

أعمار البشر غير محدّدة أو مقدرة من الله

يقول العديد من ملافنة الكنيسة أن آجالنا والأحداث التي تعترضنا محددة من قبل الله، ويوردون لإثبات رأيهم براهين كثيرة. ويذهب آخرون ذائعو الصيت ومشهورون، غير ما يذهب هؤلاء ونحن معهم أيضاً، أي أن الأزمنة المظلمة لحياة البشر غير محددة أو مقدرة.

وعليه نقول : إذا كانت أوقات حياة البشر محددة ومقدرة، يكون سبب ذلك هو الآخر محدداً ومقدراً، فإذا وجدنا سبباً لتحديد فترة الحياة لدى هؤلاء، فهذا يعني أن الله سبق فعرفها، وكأنه لا بد من أن يكون ما يعرفه، فلا يمكن للذي يعرف الساعة إلاّ أن يعرف وقت الأجل وسببه وأي نوع يصيب الإنسان، فمعرفته بشؤوننا ليست جزئية، أنهم يجعلون ما يعرف تحت حكم القدر، وما لا يعرف، يتركون للإرادة والتدبير.

فإذا سبق وعرف شؤوناً على قدر المساواة وبمقياس واحد، وعرف علة الموت وزمانه ومكانه، فكيف يقولون لو لم يمت ذاك، لمات

١- تكوين ٣٨: ١ - ٧

٢- انظر أعمال الرسل ٥: ١ - ١١

الآن بنوع آخر وعلة أخرى. فلا مناص أبدا من تلك اللحظة الحاسمة من الزمن، أي المقدّر الأمر الذي يبطل كل تعليمهم إذا ما تشبثوا ووضعوا العلل التي يموت بها البشر تحت الممكن والمستطاع، لا تحت الضرورة والحكم الاضطراري. وأن الله يسبق فيعرف شؤونهم على صعيد واحد، مثل كيف يموت الإنسان وأين ولماذا ؟ وفي أية لحظة من جزء الساعة الصغير. ومن هنا فلا بد لهم أن يخطأوا من تحديد العلة كالساعة مثلا، أو لا يحدّدوا الساعة. ولا حتى العلة التي هي الأجدد بالله، بحيث لا يخضعون واضع الناموس تحت الناموس، أنه لم يضع ناموساً للصلحاء، لكي لا يقول أغنياؤنا بالروح ما يحسن لهم.

ونقول أيضاً : هناك ثلاثة أمراض في ما يدور في الأفكار البشرية :

الأول : عندما يقولون أن الأجل محدد من قبل الله لجميع البشر، منذ ولادتهم، وبذلك يظهرون أنه ليس كفء ولا قديرا أن يدبر جميعهم في نفس الوقت، ولأجل ذلك سبق فحدّدها منذ البداية، ولا يقدر الآن إذا ما أراد أن يغير، ولا أن يزيد أو ينقص.

الثاني : أن بقولهم أن الإنسان يموت دون أمر الله يريدون أن يبيّنوا أنه ضعيف، أو يتملص من عدوه الشيطان، أو أنه لا يشعر بالموت ويجهله، ومن ثم فإنه لا يوجد في كل مكان، ومن أجل ذلك، تقع أحداث يموت بها البشر، دون أن يشعر أو يكون قريبا (من الحادث).

الثالث : لأنهم لا يعرفون عمق أحكامه وتدبير حكمته الخفية، أي لماذا سمح للقاتل أن يقتُل، دون أن يسلب حريته ؟، ولماذا سمح للقتيل أن يتألم بهذا المقدار ويحرم من الحياة، لذا يقولون : أنه يظلم الناس ظلما ويكون زميلا وعونا للظالمين ومرتكبي الشرور، أنه لا يريد ولا يدين بعدل.

ونحن إذ نتجنب هذه الأمراض الثلاثة، نقول كما تعلمنا من الكتب : بأن الله لا يقع (لا يخضع) تحت أحكام كهذه، ولا يحدد أجل الناس منذ ولادتهم لأن له القدرة الكافية ليدير وينظم حياتهم وموتهم، وكل ما يخص هذا العالم، يغير دائماً الأزمنة والأوقات بحسب إرادته بالنسبة إلى تصرفات البشر وإلى ما يؤول إلى خلاص أولئك الذين أبدع هذا العالم من أجلهم.

ويشهد على ذلك علناً قوله : " **إذا قلت عن هذا الشعب كذا وكذا ويرجعوا عن أعمالهم مهما كانت فأرجع عن الكلام الذي قصدته عليهم إن كان خيراً أو شراً** " [١]، فالله كامل ويسمح للإنسان أن يموت بموجب أحكامه الخفية، حتى في يدي عدوّه أحياناً، وفي يدي من لم يبغضه ولم يشأ أن يميته أيضاً، كأن يسقط من السطح، أو في البئر، أو ينطحه ثور ناطح ويموت، وبأشكال كثيرة ومتنوعة، نستطيع أن نتعرف عليها من الكتب المقدسة.

ولما كان بيده ترتيب وتدبير الجنس البشري، فكان يوصيهم ويحذرهم، متى شاء، من جميع أفكار بني إسرائيل الشريرة والضالة، ومن التعاليم الباطلة العديمة الفائدة التي تلقنوها في مصر، أي عن القدر والولادات والحظ والعرافات ومن تخيلاتهم الباطلة عن مسيرة تلك الكواكب السبعة التائهة في فلك السماء. فقد أوصاهم وحذرهم أن يعملوا سياجاً لأسطحتهم لكي لا يقع أولادهم [٢]، والتي وردت في مواضع كثيرة من الكتاب، كما قال معيراً إياهم بأنهم هم الذين قتلوا أنبياءهم [٣]، وكذلك الذين يحفرون بئراً أو جبّاً، فعليهم أن يغطوه لئلا يسقط فيها إنسان أو

١- انظر ارميا ١٨: ٧ فما بعدها. ٢- انظر تثنية ٢٢: ٨

٣- الملوك الأول ١٩: ١٠، رومية ١١: ٣، متى ٢٣: ٣١

حيوان ما [١]، في حين أنه حارس لهم ولبهائمهم، ولما أراد أن يسن لهم شرائع لكي لا يقتلوا إنسانا بريئا لم يرتكب ذنبا، أمر أن يفرزوا لهم مدن الملجأ لنجاة الذي قتل دون تعمد، أي أنه هو الذي يوقع القتيل الذي يُقتل بيد من يقتله، ولذلك أمر أيضا أن لا يقتل وأن لا يطلب دمه بثأر كما هو مكتوب في سفر الخروج : " **إن ضرب إنسان إنساناً فمات يقتل قتلاً ولكن الذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده فضربه ومات، أجعل لك مكاناً يهرب إليه القاتل** " [٢]. نعرف من هذا أنه ما كان ليقتل داك من عدوه لولا التغاضي من الله، وما كان ليسقط ويموت في ذلك البئر الذي حفره لولا كشفه، ذلك الإنسان نفسه أو ثوره أو حماره، أو لمات بنوع آخر لولا أن سمحت عناية الله الكاملة بوقوع ذلك، وهو القائل : **أنه لا يترك حتى العصافير أن تسقط في الفخاخ دون أمره** [٣].

قال القديس باسيليوس : أن الارتواء فساد رهيب كالمخنوقين، والشيخوخة في غير أوانها هي موت بطيء.

وقال أيضا في مقاله عن الغضب : **يتسلط السيف نتيجة الغضب، ويتاسر الموت على الإنسان من قبل الإنسان.**

١- انظر خروج ٢١: ٣٤

٢- خروج ٢١: ١٢، وانظر بخصوص مدن الملجأ سفر العدد ٣٥: ٦ - ٣٤

٣- متى ١٠: ٢٩ - ٣١

الفصل السادس عشر

يبين كيف يجب أن نفهم الأجل

لما رأى الكثيرون أن الكتب تتحدث عن الأجل، أي أن كل إنسان يموت في أجله، وهذا ما يقوله الملافنة أيضاً. فهموه زمناً مقدراً ومحدداً فوضعوا للحياة حداً وقضاء.

أما نحن فنقول : أن الكتب تنسب الأجل إلى إرادة الله التي بها يدبر كل شيء، وكذلك الآباء أيضاً.

✠ قال **القديس مار أفرام** في ميمره الثاني عن نيقوميدية هكذا :

" لا يمكن لواضع الناموس أن يكون تحت الناموس، فإن الأجل هو رهن إرادته، فحيثما يشاء يقصر أو يطيل، فإن أطال عمر الشيخ فهو شابٌّ، وإن قصّر عمر الشاب فهو شيخٌ، فهو يقود الكثيرين بغضب، والقليلين بالرحمة، ينظم حيثما يشاء، فيرحل الشيوخ قبل الأطفال، وإذا ما أراد أن يهلك فإن سوطه يطال جميع الأعمار، وإذا ما أراد البلبلة، يرحل الأطفال قبل الشيوخ، يصنع ذلك كله بحكمة ويرشد كل واحد إلى ما ينفعه ".

وقال في ميمره السادس عن نيقوميدية :

" لا تأخذوا بفكرة أن الأجل محتوم على الإنسان، فهذا التصور يولّد فينا الضعف، فالأجَل على الباب في كل ساعة، فهو أمرٌ مسلط على الكل، وقد حمل أنفس الكثيرين فجأةً، فالأجَل إذن هو إرادة الله وأمره ".

ثم نقول في الذين يرحلون : إن يوم الأجل أي الرحيل ليس يوما محدداً ومقتضياً به، ولكنه أجل الإنسان حلّ في ذلك اليوم، سواء كان الأمر إرادياً أو طبيعياً أو قصاصا، فإنه من الله. وإذا ما سمح للعدو أن يفعل شيئاً فلا يكون ذلك دون معرفة الله وإرادته، لأنه تعالى يعلم ذلك قبل إنشاء العالم.

✠ قال **يعقوب الرهاوي** في رسالته إلى **يوحنا العمودي** :

" **لا يموت الإنسان في غير أوانه ودون أمر الله خالقه وسماحه** ". فقوله في " **أوانه** " يعني أن الله يصنع له ما ينفعه ويصلح له بمعرفته، فالإنسان يموت متى يحل الأوان وبأي طريقة يتم، وبحسب أحكامه التي لا تدرك، سواء مات بالاسقاط، أم في بطن أمه، أم في طفوليته أم في منتصف العمر، أم في شيخوخة متقدمة، أم بالمرض، أو حتى وهو في صحته، وسواها من الطرق التي يموت بها الإنسان.

الفصل السابع عشر

يبين أنواع فناء حياة البشر

نقول : يكون فناء حياة البشر كالتالي :

- إما بحكم قضاء الله، وبدون علة، أو بشكل طبيعي أو بالحرية (الشخصية) أو من قبل عدو ما، أو بالصدفة.

فالذي بحكم قضاء الله يتم إما بدون علة : كأن يرسل اللـه ملائكـة لا رحمة لهم فيمزقون عنوة وبسرعة روابط النفس مـع الجسد. فيموتـون وهم راجلون أو متكئون أو نائمون أو مضطجعون أو منهمكون في ملهاة.

أو بسبب مـا. ويتم هذا إما بنـاء على عنايتـه كالوبـاء الشـامل، كامتزاج الهواء بالبشر، فإنه يغني حياتهم، أو بزلزلـة الأرض، أو بحـرق بالنار، أو عندما يهمل فتفتك الأبالسـة بهـم، أو يقتلهم الأعداء أو تفترسـهم حيوانات شرسة، أو تصدمهم الريـح، أو عندمـا تلاطمهم اللجج فيختنقـون بالماء ويغرقون.

أما الموت الطبيعي، فيتم إما بسـبب ضعـف الطبيعـة، كتغلـب أحـد أخلاطهـا فيصيـب مختلـف الأعمـار وفـي أوج القـوة، أو نتيجـــة الضعـف والعجز كالشيخوخة، فينتقل من الحياة دون علة (خارجية).

والموت الحر، كالذي يخـرج للحـرب فيطعـن مـن قبـل الجبنـاء أو الشـجعان فيمـوت، أو عندمـا يذهـب ليسـرق بيتـاً مـا فيجرحـه رب البيـت فيموت، أو عندما يحضر مجلس شراب فتهيّجهـم الخمـرة ويمـزق بعضهـم بعضاً بالسكاكين. والذي من قبل العـدو، أو الصدفـة، مثـال ذلـك إذا رُشـق مقلاع وصادف أن أصاب الحجر شخصاً فيموت، أو صادفـه سـهم طـائش فسقط ومات، أو إذا هاجمه حصان جامح صدفة وصدمه فسقط ومـات، أو عندما يكون ماشياً وصـادف أمامه حفرة فسقط فيها، أو عندما يكـون نائمـاً على السطح فسقط ومات لاختلال توازنه دون أن يعلم.

✠ وهذا جدول بأسباب فناء الحياة البشرية :

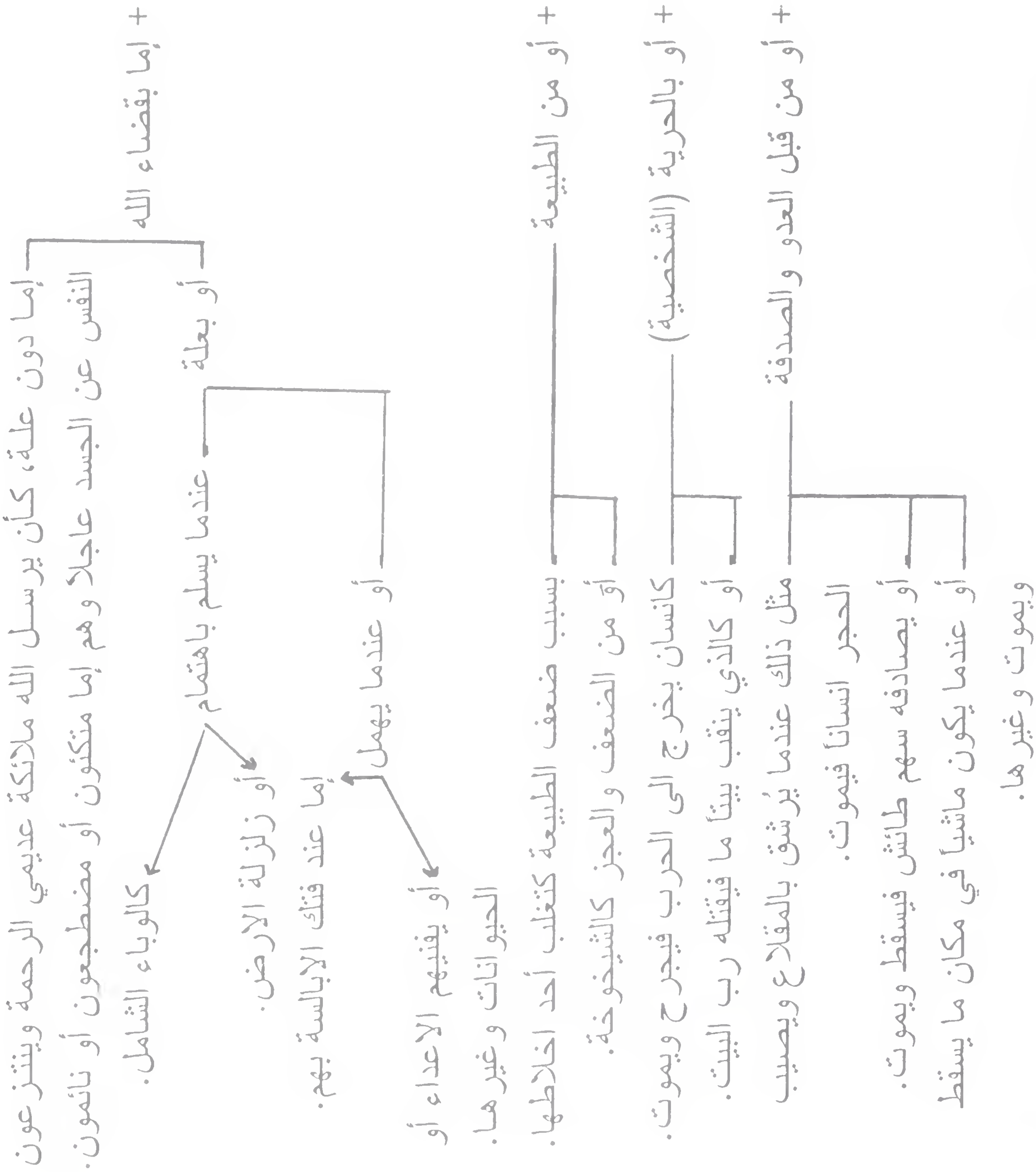

ولهذا التقسيم الرابع حدّدوه كالثالث مستندين إلى قول المرتل داود الذي كان يقول عن شاول : " **إما يأتي يومه فيموت أو ينزل إلى الحرب ويهلك أو سوف يضربه الرب** "[1]، ونسوا عما هو للصدفة، مثلما قال موسى أيضا عن الذي قتل بسبب إفلات الفأس دون أن تكون له قوة طبيعية أو اختيار حيث قال : " **وهو غير مبغض له منذ أمس وما قبله** "[2]، ولم يكن (الحدث) حتى كقصاص.

١- صموئيل الأول ٢٦: ١٠ ٢- تثنية ١٩: ٥ - ٦

الفصل الثامن عشر

يبين أن جميع الأوبئة الرهيبة والفتاكة مصدرها العناية الإلهية. كيف وبأي نوع تكون ؟

قول : أن جميع الأوبئة المخيفة والفتاكة سواء أكانت القتل بأنواعه، أو أمطار من النار، أو هيجان البحر، أو انشقاق الأرض وغيرها، عامة كانت أم خاصة، فإن مصدرها هو العناية الإلهية، سواء جاءت من جراء الإهمال، أو عن قصد، كما يتبين من الجدول أدناه..

جميع الأوبئة الفتاكة تحدث من الله بنوعين

- منها ما يحدث نتيجة الاهمال
  - مثال ذلك عندما يتخاصم رجلان ويتمكن أحدهما من سفك دم رفيقه، والرب لا ينجيه لظلمه. أو كسقوط النار على الانسان فيحترق، أو صاعقة فيهلك. فلولا العناية الالهية سمحت بحدوث ذلك لما حدثت. فهذا اذن هو نتيجة الاهمال.
- منها ما يحدث عن قصد
  - عندما يشاء الله أحياناً ويأمر فيقتل البشر، كما أرسل الملاك الى أورشليم وأهلك. وعندما ينظر في الأرض أحياناً فترتعد ..والخ.

ويحدث الإهمال لسببين

- الأول
  - **أولاً:** لكي لا تظلم حرية القاتل بل تظهر سلطيه الذاتية.
  - **ثانياً:** هل من الأفضل أن يرافق العذاب موت الانسان.
- الثاني
  - **أولاً:** اذا ما كان القتيل باراً سينال أجراً مضاعفاً لبرارته أي حرمانه نظير هابيل.
  - **ثانياً:** اذا ما كان آثماً فيكون:
    - أولاً: قد ترك طريق الشر.
    - ثانياً: قد نال قصاصه عن ظلمه.

الفصل التاسع عشر

اعتراض

سواء أرضي الله بفعل القاتل أم لم يرضَ فإن شاء لا يكون القاتل ملاماً فحسب بل، ويجب أن يثنى عليه لأنه أتم إرادة الله، وإن لم يشأ الله وهو القادر على كل شيء بذلك فلماذا سمح له ؟

نقول أن القتلى والقتلة، هم على نوعين :

+ إما أن يقتل بعدل كأنبياء البعل، حيث شاء الله بهؤلاء ان يقتلوا لسببين:

الاول: لئلا يستمروا بخطاياهم فينالوا عقاباً أعظم واكي يوضع حد للعقوبة.

الثاني: لانقاذ البشر من ضلالهم.

أو ظلماً وجوراً كهابيل وأطفال بيت لحم، وقد شاء الله أن يقتلو لسن:

الاول: زيادة بالبر.

الثاني: ليتجردوا عن الافكار الدنيوية.

+ أو قتل بعدل كايليا وصموئيل حيث شاء الله أن يقتلا، ذاك (ايليا) لأنبياء البعل، وهذا (صموئيل) أجا لأن الارادة الالهية عملت من خلال غيرتهما فاستحقا الثناء والأجر العظيم لغيرتهما.

أو ظلماً كقايين وهيرودس، لم يشأ الله أن يقتلا، ذاك (قتل) هابيل، وهذا أطفال بيت لحم، لأنهما لم يفعلا ذلك تنفيذاً لارادة الله.

ولكن بوجه آخر، ومعلوم ان الله لم يشأ ان يقتل هؤلاء وأمثالهم من انه حدّد بواسطة موسى أن القاتل يقتل وسافك دم يسفك دمه، فهؤلاء مذمومون إذن.

فالله إذن له إرادة في القتيل حيثما كان، إما القاتل فلا إرادة له فيه، أينما كان، إلاّ بالنسبة إلى الذي يقتل بعدل كإيليا وصموئيل وفينحاس.

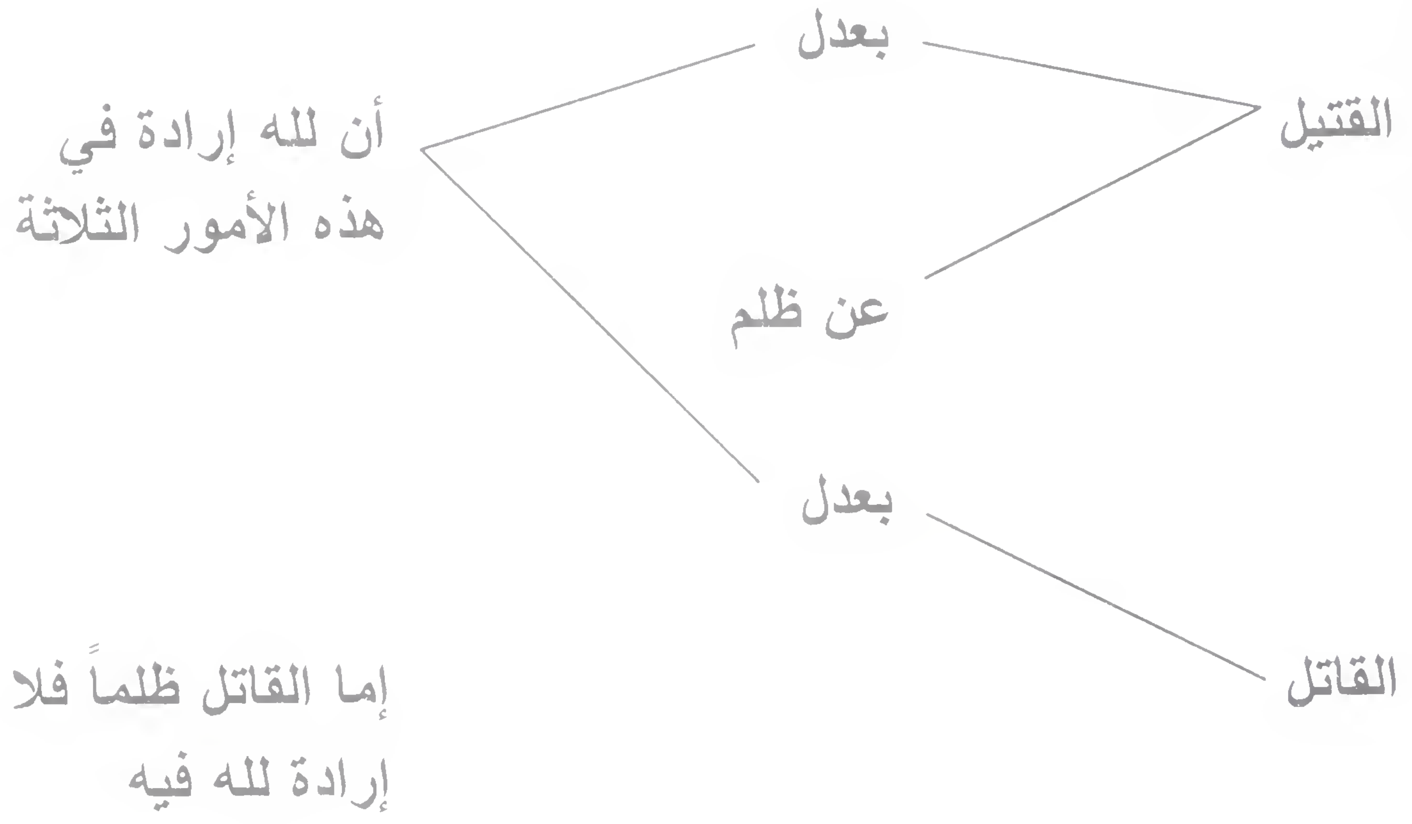

قال : " **كل قاتل يقتل** " [١]، وربما لم يمنعه من القتل لأمرين :

الأول : لئلا يسلب حرية القاتل.

الثاني : مراعاة لفائدة القتلى.

اعتراض :

كيف يقتصّ الله للقتيل عند قتله، في حين يقول حزقيال :
" **الشرير يموت بذنبه أما دمه فمن يَد الرقيب أطلبه** " [٢]؟

نقول : أن الذي اعترض على ذلك لم يحاول فحص معنى الكلمة جيداً، فقد قال : " الشرير يموت بذنبه " أي وضع نهاية لنفسه، لأنه أصبح

١- لاويين ٢٤: ١٧ - ٢١، وعدد ٣٥: ١٧

٢- حزقيال ٣٣: ٦ - ٩ و ٣: ١٨ - ٢٠

عرضة للفساد، يتضح هذا إذا ما غيرنا العبارة قليلاً " الشرير يموت بسبب ذنبه "، ـ وأنت أيضاً بدورك ترى مذنباً ـــ . فلو أنه لم يرتكب إثماً لما كانت العناية الإلهية تخلت عنه ليموت في حرب أو بأي حدث آخر، وذلك لسببين :

الأول : لكي لا يستمر في ارتكابه الإثم فيعذب أكثر.

الثاني : بما أنه نال جزاءه هنا، لذا يرفع عنه الحكم فيما بعد. وقد قال فادينا أيضاً في بشارته عن بعض الأماكن : " **ستكون لسدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة** " [1]، وكأن سدوم وعمورة قد عوقبتا منذ زمن بعيد إذ أُغرقنا بأمطار من الكبريت، فالله هو ديّان، وكله عدل واستقامة، وأن ضرباته توازي ثقل الخطيئة، ومن هذا المنطلق يقرّر الجزاء، إذا ما شاء أن يؤدب هنا قليلاً أو كثيراً.

هذا باختصار على قدر الإمكان في عناية الله الضابط الكل، في حين أن هناك أموراً كثيرة أغفلنا عنها لكي لا يطول الكلام، لأن كل ما كتبناه كان باختصار، وقد رأينا الأفضل أن نورد حسب الطاقة، من أن نوجز في كل شيء. كما يحسن للثاولوغس الذي أضاف قائلاً : " لا يقع تحت الملامة من لم يستطع على ذلك، ولكن الذي (يستطيع) ولا يفعل فإنه يُلام سواء في ما يخص الأعمال الإلهية أو البشرية ".

وهنا ينتهي المقال الثالث من **تجارة الكنوز** هذه التي جمعتها أنا الضعيف، ليتبارك بالتثليث والتوحيد حتى نبلغ النهاية.

نبدأ الآن بالمقال الرابع الذي يليه وهو في الكون أي في الملائكة والشياطين، وخلقة هذا العالم وفي النفس والقيامة والدينونة، داعين الله لعوننا والصفح عن خطايانا بلطفه، وأن يفيض جزيل رحمته في يوم الدين على الخاطئ الذي كتب ويريح نفسه آمين.

١- متى ١٠: ١٥

المقال الرابع

من تجارة الكنوز التي جمعها يعقوب الخاطئ ويتناول البحث عن هذا الكون وبه يختم الكتاب (المتاجرة)

كنّا قد باشرنا بعناية الله، أيها الأخ الربان عيسى، في المقال الأول من هذه المتجرة (البحث) وهو في لاهوت الثالوث الأقدس وتضمن قصة التجسد، ثم كان المقال الثالث في العناية الإلهية، والآن نأتي إلى المقال الرابع وهو نهاية هذه المتاجرة، والذي سنتكلم فيه عن خلقة جميع الكائنات بحسب وعدنا.

نبتهل إلى الرب الإله مانح الحكمة للبسطاء الذي أهّلنا لذلك، أن يتمّم بنعمته معنا ويكمل فينا إرادته آمين.

كما أطلب إلى كل من يصادف هذا الكتاب، أن يرفع الصلاة من أجلي أنا العاجز والخاطيء يعقوب المسكين، والراهب بالاسم، ومن أجل والديّ، ولمن حثّ على ذلك، ومن صلى يغفر الله له أيضا. فلنبدأ الحديث عن الخلقة الأولى أي الملائكة.

الفصل الأول

خلقة الملائكة

في البدء كان الله وهو كائن وسيبقى إلى الأبد، فلا بداية له ولا نهاية، وكان وحده يتعظم بالمجد والبهاء وجلال نعمته، ولا مجال للبحث عما يخص الزمن والمدة أو الأوقات أو الفترات بالنسبة إليه. قبل أن يفكّر بخلقة الأجناد الملائكية، وهذا الفكر كان عملاً بالذات، هكذا عندما حسن له شاء أن يخلق، وإذ شاء شرع بالعمل فخلق حالاً وبغتةً دون تأخير، وذلك ان الله إذا ما شاء أن يكون شيء ما، وجد فوراً، وعليه لما شاء أن يخلق الملائكة، وجدوا حالاً وبغتةً بصورة متكاملة.

☩ ويجب أن نعرف هل أن الله خلق الملائكة قبل هذا العالم أم مع هذا العالم ؟

- يقول **يعقوب السروجي في كتابه عن الأيام الستة، ومار أفرام في تفسير عمل الخليقة، وأبيفانيوس في كتابه " اليوبيل** " وغيرهم : " **خلق الملائكة مع السماء والأرض** "، إذ يقول مار يعقوب : " **قبل أن يخلق السماء والأرض لم يكن شيء قط إلاّ إيّاه أبدياً أزلياً، ولما خلق الكائنات خلق الملائكة وهذا العالم** " في الوقت ذاته قال **موسى** : " **في البدء خلق الله السموات والأرض** " [1] إذ يسمّي هنا سماء، سماء النيّرات، والملائكة الذين يسكنون فيها، ودعا العالم المحسوس أرضاً ".

١- تكوين ١: ١

غريغوريوس الثاولوغس في مقاله عن الميلاد، وغريغوريوس النوسي ومار أياونيس ويوحنا أسقف بصرى ويعقوب الرهاوي وموسى بن كيفا يقولون : **أن خليقة الملائكة سابقة لهذا العالم**، ويستند قولهم على أمرين :

الأول : من الحسابات البديهية مثلا الثلاثة تعقب الواحد، فإما أن يكون الله قد خلق الملائكة قبل هذا العالم، أو مع هذا العالم، أو بعد هذا العالم، وليس صحيحاً القول أنهم خلقوا بعد هذا العالم، كما يتضح من قول أيوب : " **لأن الله عندما خلق كواكب الصبح هتف جميع بني الله** " (١).

أما أنهم خلقوا مع هذا العالم فباطل أيضا لأنه لا موسى ولا أحد من الأنبياء قال بذلك، وعليه فأنهم يكونون قد خلقوا قبل خلقة هذا العالم.

الثاني : أن هذا العالم خلق من أجل آدم، وأحد الأسباب التي من أجلها خلق آدم هو كما يقول القديسون ليكمل العالم العلوي، والنقصان سابق الكمال، فتكون خلقة الملائكة والحالة هذه أقدم من خلقة هذا العالم، أي العناصر الأربعة وما سيكون منها. وإذ بيّنا وقت خلقة الملائكة، **نتكلم الآن عن قوة طبيعتهم**.

نقول : أنهم جواهر متكاملون، أحياء ناطقون، صالحون بطبعهم، ونازعون نحو الصلاح ومحبوه، كائنات مخلوقة، لهم بداية لا نهاية لهم، قديسون، أنقياء، قوات (أقوياء)، حكماء، وأنوار متلألئة، عقلاء وعارفون يدركون بالعقل فقط، غير منظورين يبصرون بالفكر فقط بدقة، غير محسوسين إطلاقا، وبالفكر فقط يمكن تصورهم، ليسوا مادة ولا جسما ولا شكل لهم أو صورة،

١- أيوب ٣٨: ٧، والنص الغربي : " عندما ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بنى الله ".

ولا يعرفون كمّاً أو نوعاً، ذوو طبيعة بسيطة غير مركبة، ومنزهون عن كل ما له علاقة بالأجساد، لأنهم ليسوا متغيرين كالخلائق، بل غير متغيرين وغير مائتين نظراً للنعمة المعطاة لهم من قبل خالقهم، لكي يكونوا كما هم عليه غير متغيرين بالطبع، متغيرون بالإرادة، إن شاءوا فأنهم سريعو الحركة والتنقل، مدركون دقيقون يعبرون وينطلقون بسهولة حتى في طبائع الأجساد الجامدة دون أن يقطعوها أو تنقطع من قبلهم مثل الأجساد، بسبب رقة ولا جسمية ولا مادية طبيعتهم، لا يحصرون في مكان صغير ضيق، ولا يمتدون أو ينتشرون في مكان واسع، فهم يصلون إلى الكل بسهولة بسبب خفة طبعهم ودقته، ويطيرون إلى جميع الجهات بسرعة عندما يؤمرون، ولئن كانوا محدودين بالطبع والمكان وليسوا معاً في كل مكان في آن واحد في حين أنهم ينفذون في كل شيء بخفة ورقة.

هذه هي خلقة الملائكة الأولى التي خلقها الله والتي ابتدأت ولا تنتهي، مخلوقة وغير مائتة، عاقلة غير جسدية، وشبيهة بالله خالقها، بقدر ما يمكن للمخلوقين أن يتشبهوا بخالقهم.

وينبغي أن نتحدث بعد ذلك عن معرفتهم وعملهم :

نقول : يعرفون أنهم مخلوقون ومبدَعون جاءوا إلى الوجود بإرادة الله وقدرته وأمره، وليس لهم وجود ولا حياة ولا قرار ولا ثبات إلاّ برعاية الله خالق هذا العالم... والخ، لا يعلمون ما هو عتيد أن يكون لأنهم لم يمتلكوا سبق المعرفة كالله، ولا يعرفون أفكار البشر لأنهم لا يعلمون الأمور الخفية، ولا يعلمون حتى نهاية الخلائق ومقاييسها لكونهم ليسوا خالقين بل مخلوقين. يقوم عملهم على أمرين :

الأول : تسبيحهم الله وتمجيده ومباركة اسمه دائما، وهم ينزعون إلى الصلاح دائماً.

الثاني :تنفيذهم إرادة الله وأمره بسرعة وابتهاج في كل ما يأمرهم به، باعتبارهم " **خدامه وصانعو مشيئته** " [1]، ولا يفعلون ما لا يريده، ولا يعملون ما لا يرضيه، أنهم وحدة مسالمة وغير متجزئة، وليسوا متحدين بالطبع مع بعضهم بعضا وحسب، بل بالإرادة والفكر أيضاً، وهذا ما يجعلهم يحتفظون بنظامهم ويصونونه، إذ يتقيد كل منهم بالنظام المعطى له دون تشويش أو تذبذب.

الفصل الثاني

أجواق الملائكة وأسماؤهم

الملائكة تسع طغمات، وثلاثة محافل أي رئاسات وأجواق، وتشكل المحافل ثلاث طغمات، وكل طغمة تشتمل على ثلاث رتب. **فالمحفل الأخير أو الأدنى** إلينا، كما حسن لبعضهم القول، يتألف من : الملائكة، رؤساء الملائكة، والرئاسات. و**المحفل الثاني أو الأوسط** يشتمل على : السلاطين، والعروش، والسادات. و**المحفل الثالث والأعلى** يشمل على : القوات والكروبيم والسرافيم.

فالمحفل الأول يستمد كماله من الله دون وسيط، والثاني يستمده من الأول، والثالث من الثاني، وهكذا، حيث يستمد المتقدمون الشعاع المنبثق من النور الأعظم والعقل الأول، ويستوعبونه هم أولا شيئا فشيئا، ثم يوصلون أشعة المعرفة إلى من يليهم كلما وحينما يؤمرون بذلك، وهذا

١- مزمور ١٠٣: ٢٠

هو نظام المحافل الثلاثة بحسب رأي يعقوب الرهاوي، في حين أن آخرين رتبوها على نمط آخر.

وعن التسميات الدّالة على هذه الرتب نقول باختصار :

يوصف الملائكة بأنهم مرسلون ومأمورون، كالسفراء المرسلين من قبل سلطان ما لتنفيذ أمره، يدعون ملائكة ويدعون خداماً أيضاً، ويدعى الذين أعلى منهم رتبة، رؤساء ملائكة لكونهم يرئسون من هم أدنى منهم.

ـ **فالرئاسات** : هم الذين أعطوا الرئاسة على الرتب التي لديهم، وهم سلاطين لأنهم يعملون كل شيء بسلطان إلهي.

ـ **أما العروش** : فإنهم يرمزون إلى الكرامة والراحة لأنهم يرتلون بدون انقطاع ممجدين ربهم بثبات ورسوخ.

ـ **وتسمى الرتبة السادسة، السادات** بحسب عادتنا المألوفة، حيث اعتدنا أن ندعو " **سادة** " أولئك الذين أُعطوا الرئاسة في العالم كما ندعو الملكيين من الملك. كذلك أُعطيت لملائكة السماء.

ـ **أما القوات** : فلأنها مثل رؤساء القوات ربما استمدت التسمية من كثرة الجند وقوتهم، فامتلكوا القدرة والقوة، ومن هنا دُعيت قوات ومقتدرة. وأطلقوا اسم " **كروبيم** " : على تلك الرتبة السامية والأقرب إلى الله أخذاً عن اللفظة العبرية وتعني الأكثر جمالاً وكمالاً، كما قيل في التوراة، بسبب قوة إرادتها المجيدة : " بكروبيم صنعة حائك حاذق صنعها " (١). ودُعيت " **كروبيم** " أيضاً نظراً لاتساع معرفتهم واستنارتهم الثابتة النقية والمُبهرة الأكثر كمالاً وغنى، والأسمى من بقية الرتب الأخرى الأدنى.

ـ **أما السرافيم** : فلقربهم من الذات الإلهية وصفوا بأنهم أشد حرارة وتبديداً لكل مادة شريرة، مثلما يفعل الجوهر الأول، ولكونهم أكثر قرباً فإنهم يستمدون استنارة الشعاع من الله.

١- خروج ٣٦: ٨

ورُتبت هذه الكائنات السماوية نظراً التسمياتها في ثلاثة محافل على النحو التالي :

المحفل الأعلى والأول		المحفل الثاني		المحفل الثالث	
السرافيم أي المقدسون	يقدسون	العروش أي الذين يتمتعون بالكرامة، السادات المتسلطون على الممالك	يهتفون	الرئاسات أي الزعماء، ساسة الفضاء	يرتلون
الكروبيم أي الحاملون	يباركون	السلاطين أي المتسلطون على الشعوب و على رفاقهم و على كل واحد من البشر	يمتدحون	رؤساء الملائكة أي المستيقظون و الذين يُطلق عليهم اسم الحراس	يهللون
القوات أي المهيب منظرهم	يبجّلون			الملائكة أي المرسلون	يمجدون

الفصل الثالث

سقوط الشيطان

نتحدث الآن عن الذي سقط من الملائكة القديسين بإرادته وحريته، فتغير وانحرف عن مركزه، وغدا ضد الله خالقه ومتمرداً عليه، لذلك دُعي **شيطاناً** لأنه انحرف عن درجته وإبليساً لأنه طرح من السماء، **ونمّاماً** لأنه نمَّ على الله في الفردوس، فهذا إذ نظر في عظمة ومجد طبعه وما حصل عليه من قوة وخفة وذكاء، وكما قيل عن " **الكروب المظلل والمنبسط الذي أقيم على جبل الله المقدس** "[١]، وكان يضيء من خلال الحجارة النورانية، مثل كوكب الصبح، أكثر من سائر الكواكب العاقلة التي تستمد النور الإلهي : ابتلي بمرض الكبرياء بإرادته، وأخذ يفكر بتمرد ومعاداة الله قائلاً : " **إني أصعد إلى السماوات أرفع كرسي فوق كواكب الله، وأصعد فوق السحب وأصير مثل العلي** "[٢]، وإذ كان يفكر جديّاً بهذا، فسد جماله ومعرفته، وطرح من جبل الله، وقذف به بعنف من بين الأحجار النورانية بسبب كثرة إثمه، وصار ظلاماً، وحرم من النظر الملائكي واستمداد النور والمعرفة الإلهية، وطرح إلى الأرض.

وقد يسأل سائل هل انحرف الشيطان عن الله منذ الوهلة الأولى لوجوده أم بعد فترة طويلة (من خلقه) ؟

نُجيب : أن هذا الأمر قد حُجب عنّا وعن الخصوم أيضاً، لأنه لم يكن هنالك مقياس (مقدار) للسنين ودوران الشمس في تلك الفترة، من خلقتهم وحتى سقوطهم، وحتى تلك الخليقة نفسها لم تكن لها معرفة بوقت

١- حزقيال ٢٨: ١٤ - ١٦

٢- أشعياء ١٤: ١٣ - ١٤

والفترة الزمنية، من سقوطهم حتى خلق الله هذه الخليقة المنظورة. وقد سقط الأبالسة من طغمات الملائكة التسع كما يتضح من قول الرسول (بولس) : " **فإنَّ مُصارَعَتَنا لَيسَت مَعَ دَمٍ ولَحمٍ بَل مَعَ الرؤساء مَع السلاطين مع وُلاة العالَم** " [1]. وفيهم رؤساء وزعماء ومتقدمون، ورتبة أعلى من أخرى.

لم يهمل الله الشياطين لدى سقوطهم، لأنه كان عارفاً أن خطيتهم غير قابلة للإصلاح، وكان الله عالماً بشرّهم، كما أنهم يحبّون بعضهم بعضاً، أو يتفقون مع بعضهم بعضاً ولكن ليس بصورة مطلقة، وإذا ما اتفقوا فلكي يفعلوا شراً وينصبوا أشراكاً للجنس البشري.

ويقصدون المقابر، لأنه من هناك كان انتصارهم على الإنسان الأول، إذ صاروا سبباً في ضلال آدم فأدركه الموت وقضى عليه وطرحه في القبر، ففرحوا بسقوطه وهم يفرحون ويرقصون فوق رميمه أيضاً، لكنهم لا يحلون في جميع القبور، إلاّ في تلك التي أغضب أصحابها الله، بشرّ أعمالهم، وكذلك يقصدون المقابر لكي يوهموا البشر أن الأنفس محبوسة مع الأجساد في داخل القبر، فالسحرة يضلون البسطاء ويتكلمون بلسان الأبالسة من داخل القبر وكأنهم يتكلمون كالبشر، كتلك المرأة التي دعت الآن وأرواح الموتى شبه صموئيل [2]. وبين الأبالسة من هو أكثر شراً من بعضهم بالنظر لاختلاف رتبهم لأنهم سقطوا من طغمات مختلفة كما قلنا، رهم يعذبون الإنسان بحسب ما يؤمرون به، وبقدر ما يسمو الواحد على صاحبه، هكذا وهم أذكياء جداً في الإساءة كما يلاحظ لدى البشر أيضاً، وكما هي الحالة لدى الناس حيث يتفوق الصالحون على الأشرار في الحكمة، في هذا كله فأنهم حاذقون وبارعون بما هم متمسكون به خيراً كان أم شراً.

١- أفسس ٦: ١٢ ٢- صموئيل الاول ٢٨: ٧ - ٢٠

ولا نقول أن الأبالسة في طبعهم أشرار ولا صالحون، وإن كان طبعهم وقوامهم صالحاً إلاّ أن ذلك الصلاح الثابت ليس طبيعياً، ولئن كان مناسباً، لكنه يميل إما إلى الخير أو إلى الشر لأنه يتماشى وطبيعة إرادتهم.

وهنا يتوقف البحث عن الأبالسة وبذلك ينتهي شرهم أيضاً. آمين.

الفصل الرابع

خلقة هذا العالم

إن العقل الأعظم والأول، والنور الأزلي والخفي، والعلة الخالقة وغير المخلوقة والتي هي الله صانع الكل، تحرك نحو الخلق بدافع وفرة نعمته، فإن ما دعا الله ليخلق الكائنات هو غزارة نعمته، وأنه تعالى الخالق والصانع أبداً، لكنه يمسك بحر نعمته عن الفيضان عندما يرى ذلك مناسباً، وقد أقرت حكمته الملمة بكل شيء أن الخلق صار أمراً ضرورياً، بعد مرور عصور طويلة لا يتصورها البشر، وبعد خلق تلك العقول التي أبدعها على صورته، ذلك العقل الأعظم، العقول الروحية وغير الهيولية واللاجسمية، اللطيفة والقوية والسريعة والعاقلة، شاء أن يخلق خليقة أخرى مغايرة لها وبعيدة عنها كثيراً، محسوسة وكثيفة وجسدية وكثيرة التغيّر، فتحرك نحو خلقها لكونه صالحاً، ولما شاءت إرادته نفّذ العمل فوراً، وكحكيم وعارف بكل ما هو ضروري ومطلوب، فقد أغنى هذه الخليقة التي صنعها منذ الحركة واللحظة الأولى لتكون متكاملة من كل النواحي لذاك الذي خلقت من أجله، والذي كان عتيداً أن يخلق من بعدها.

هكذا أبدع الله الآب الخالق وعلة الكل، بواسطة كلمته وروحه المساويين له في الجوهر والطبع والقوة والإرادة والعمل : هذه الخليقة المنظورة بهذه الصورة العظيمة وهذا الجمال العجيب والبديع، من سماء وأرض وما يتوسطهما وما فيهما وما معهما، أوجدها وخلقها في ستة أيام.

لذلك قال الروح الملهم عن هذه الخليقة على لسان موسى : " **في البدء خلق الله السماء والأرض** "[1]، ودعا السماء ناراً وهواءً، كما قال يعقوب الرهاوي، وكما هو مكتوب : " **فوقها طيور السماء تسكن** "[2]، تصعد إلى السماء وتنزل إلى العمق مع طل السماء. ودعا الأرض ترابا وماءً، إذ حصر الماء باسم الأرض، وخلقت هذه العناصر كما قال القديس باسيليوس ومار يعقوب الرهاوي وموسى بن كيفا، أي التراب والماء والهواء والنار، وخواصها معاً وسوية من لا شيء، وليس فيها من هو سابق لخدنه، وهذا واضح من أمرين :

الأول : لكونها متواجدة سوية، فأنت تجد في التراب ناراً وهواء وماء، فالنار تظهر شرارتها من الحجر أو الحديد عندما تحتك ببعضها بعضاً، والهواء، يتصاعد من الأرض على شكل بخار متى تقابلت رطوبة الماء وحرارة الشمس، والماء محصور وموجود في داخل الأرض كما يعرف ذلك المنقبون في بواطن الأرض.

الثاني : من قول موسى : " **وعلى وجه الغمر ظلمة** "[3].

١- تكوين ١:١

٢- مزمور ١٠٤: ١٢

٣- تكوين ١: ٢

الفصل الخامس

البحث عن ماهية العناصر الأربعة

العنصر (ܐܣܛܘܟܣܐ) كلمة يونانية معناها بالسريانية أساس وأصل التركيب الطبيعي، والعناصر أربعة، هي : التراب والماء والهواء والنار.

فالتراب : جسم يابس وصلب وجامد وأكثر برودة من الكل، وفيه ألوان متنوعة وكثيرة، وتنبعث منه روائح وعطور وأبخرة كثيرة ومختلفة، واكتسب أشكالاً وأنواعاً وطعوماً كثيرة ومتنوعة لكل جنس. طبعه يابس وبارد.

الماء : جسم له مرونة وليونة ما نسبياً، وأقل ثقلاً من التراب، وأقل شفافية من الهواء. طبعه بارد رطب.

الهواء : جسم ما يتوسط ما بين الماء والنار، وقد اكتسب نسبياً خصائص من كليهما، الرطوبة من الماء، والحرارة من النار.

النار : هو العنصر الرابع والخارجي الذي يحيط ببقية العناصر الأخرى، وهو ليّن ويابس أكثر من الكل وخال من جميع الخصائص والاختلافات والروائح ويمتلك فقط ذلك اللون الأحمر والأبيض الذي منه تنبعث ولادة النار بلا انقطاع، وهو أن يتحرك إلى فوق داخل هذه العناصر الأخرى، لأنه حدث وان تكون خارج جميعها، وبالإضافة إلى ذلك فإن لها (لهذه العناصر) أن تتحرك داخل بعضها بعضاً، إما إلى فوق أو إلى تحت، كل واحد إلى الموضع المخصص له من الكلمة الخالق الذي أوجدها ونظمها. وهذه العناصر الأربعة تناقض بعضها بعضاً، وعلى الوجه التالي :

فالماء حار يابس، والماء بارد رطب، وبما أن البرودة ضد الحرارة، والرطوبة ضد اليبوسة، هكذا الهواء حار رطب، والتراب بارد يابس، والحرارة ضد البرودة، والرطوبة ضد اليبوسة. ولكن ولئن كانت في هذا الجانب ضد بعضها بعضا، إلاّ أنها في الجانب الآخر تتحد مع بعضها، فالنار تتحد مع الماء بواسطة التراب والهواء، والهواء مع التراب بواسطة النار والماء، وهكذا تتحد النار مع الماء بواسطة الهواء الذي هو الآخر حار مثلها، ورطب كالماء، وبواسطة التراب الذي هو يابس مثلها وبارد كالماء. ويتحد التراب مع الماء بواسطة النار التي هي يابسة مثله وحارة كالهواء، وبواسطة الماء يكون باردا مثله ورطبا كالهواء، وهكذا بواسطة هذه الأخرى التي وضعها الخالق تتحد.

يقول الأطباء :

الحار والرطب يناسب الربيع والمشرق والدم والطفولة كالهواء.

والحار اليابس للصيف والجنوب والمرة الصفراء والفتوة كالنار.

والبارد اليابس للخريف والغرب والمرة السوداء والرجولة كالتراب.

والبارد الرطب للشتاء والشمال والبلغم والشيخوخة كالماء.

هذه العناصر الأربعة إذن كانت في بداية تكوينها مختلطة وممتزجة ببعضها بعضاً، وغير متميزة، وكانت أجزاؤها وذراتها صغيرة ومذابة ببعضها وممتزجة ككتلة من الطين معجونة ومجبولة ومغربلة سوية من التراب والماء والهواء والنار، ومثل قلاع مستدير مركب مجبول ومختلط معاً من الحصى الرملي والتراب والماء والتبن، ومثل سبيكة ما مختلطة ومسبوكة من ذهب وفضة ونحاس وحيد، فلما شاء الخالق الحكيم وأمر أن تنفصل وتتنقّى، الواحد من الآخر، انفصل حالاً وتنقى كل منها وأخذ مكانه وموضعه كما يتطلبه طبعه الذي خصصه له خالقه، كإناء من الزجاج مستدير وكروي ألقيتْ فيه أربعة مقادير متساوية : زيجاً وعسلاً وماءً وزيتاً، فيشاهد أن كلاً منها يستقر في المكان المناسب له بحسب خاصية طبعه، الزيج في الأسفل والعسل فوقه والماء فوق العسل والزيت فوق الماء، وعندما تقلب ذلك الإناء وتجعل عاليه سافله، تلاحظ تفاعل كل منها حتى يأخذ مكانه الذي كان مستقراً فيه (كالسابق)، هكذا وحالما شاء الله وأشار أن ينفصل كل من العناصر من خدينه، انفصل وأخذ موضعه ومكانه.

طريقة ثانية :

إذا ألقيت ماءً في إناء زجاجي فسوف تلاحظ للحال تفاعل الهواء داخل الماء وإنه يجزؤها أجزاء كثيرة، ويتصاعد من خلاله كخيوط رفيعة حتى يرتفع فوقه كلياً، ويتحرر من الاشتراك معه، وبعدما ينقص الماء إلى النصف، التي في ذلك الإناء تراباً ناعماً، وخضه بالماء وحركهما حتى يختلطا تماماً، ويفقد كل منها شكله الطبيعي وموضعه، ثم اتركهما مدة ساعة واحدة ترى كيف أن كلاً منها يتجزأ من ذاته وينفصل عن الخلطة مع رفاقه، ويأخذ مكانه كما خصصه له خالقه وأودعه في طبعه.

فسيقر التراب في الأسفل، وفوقه الماء، في حين أن الهواء يرتفع فوق كليهما، وهذا هو شأنها حيثما وجدت سواء في البحار أو الينابيع أو الجداول وغيرها، حيث يرسب التراب في الأسفل، وفوقه الماء، والهواء فوق كليهما.

وإذا أردت أن تشاهد النار على هذه الشاكلة، صب ماءً ساخنا في إناءٍ بدلاً من البارد، فتشاهد التوهجات والأبخرة تتفاعل وتتصاعد في ذلك الإناء حتى تستقر فوق الهواء الذي في (داخل) ذلك الإناء.

وعلى هذا النمط تفعل النار فتتجزأ وتنفصل من ذاتها عن بقية العناصر بالتوهجات والأبخرة المتصاعدة من القدور والمراجل المستعرة، والأبخرة المتصاعدة من الأرض الرطبة بسبب الماء وغير ذلك.

هكذا خلق الله هذه العناصر وكونها وأبدعها لتكون متحركة داخل بعضها بعضاً، كل منها نحو المكان المخصص له، **فالتراب** يتحرك داخل الماء نحو الأسفل والداخل، **والماء** (يتحرك) بالتراب نحو الأعلى والخارج، **والهواء** (يتحرك) داخل الماء نحو الأعلى والخارج، **والماء** (يتحرك) في الهواء نحو الأسفل والداخل، **والنار** (تتحرك) في الهواء نحو الأعلى والخارج، **والهواء** (يتحرك) في النار نحو الأسفل والداخل، وهكذا، فإما أن تنجذب وتترسب نحو الأسفل تلك التي خلقت لتكون في الأسفل بالنسبة إلى التي فوقها، أو تقفز وتنجذب وترتفع نحو الأعلى تلك التي خلقت لتكون أعلى من التي تحتها وداخلها.

الفصل السادس

ماهية الرّقيع

قال الفيلسوف ارسطوطاليس : " أن الرقيع عنصر خامس غير التراب والماء والهواء والنار " ومعلوم أن التراب والماء يتحركان نحو الأسفل، والهواء والنار نحو الأعلى، بينما السماء تتحرك دائرياً بحركة متساوية، وعليه فإنه جسم آخر.
فمن كانت حركتها الطبيعية مختلفة فطبعها وجوهرها مختلف بالضرورة أيضاً.
قال أشعياء النبي : " **الذي ينشر السموات كدخان** "[1]، وأوضح بذلك أنه ليس جسماً كثيفاً وثابتاً بل رقيقاً وشفافاً.
يقول مار أفرام، وثيودورس النسطوري، وآخرون كثيرون : " أن الرقيع هو من طبع الماء "، وقال مار يعقوب الرهاوي : " أن الرقيع (الجلد) هو هذا الهواء المرصوص الثابت يحيط بالأرض من سائر الجهات ".

وقال آخرون : أن الجَلَد تكوّن من تلبّد الماء والهواء وحمل الماء فوق ظهره، وذلك بسبب مسيرة الشمس والكواكب النارية في هذا الجلد، كيما لا يذوب وينحل من شدة حرارة نور الشمس، ويصاب بواسطة الماء الذي فوقه، وإن كانت طبيعة الماء مجسمة، لكنه سريع الزوال لدى اقترابه من النار.

١- أشعياء ٤٠: ٢٢ ، والنص الأصلي " الذي ينشر السموات كسرادق " وفي ٤٢: ٥ " خالق السموات وناشرها "، وفي ٤٤: ٢٤ " ناشر السموات وحدي " وفي ٥١: ١٣ " باسط السموات ".

قال موسى النبي : " **وقال الله ليكون جَلَد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه** "[١]، وعليه كما يقول بعضهم، حالما قال الله ليكن جلد، تجزأت المياه إلى ثلاثة أجزاء، وتكاثف الجزء الأوسط فغدا جلداً، ومكث الجزء العلوي فوق الجلد، وظل الجزء السفلي تحت الجلد على الأرض.

الفصل السابع

طبقات الهواء بحسب تقسيم العلماء

طبقات الهواء ثلاث، سفلى ووسطى وعليا.

- **فطبقة الهواء السفلى** هي تلك التي تحيط بالماء والتراب (الأرض) من الجهات الست، وهي لاستنشاق البشر ومطية للطيور، ويسميها الكتاب (المقدس) الجلد أو السماء وكأن " فوقها طيور السماء تسكن "[٢]، ولم يمتزج بهذه الطبقة عنصر الماء نظراً لكونها وحدها صافية ونقية وجافة.
- **والطبقة الوسطى**، تختلط وتمتزج وتذوب بها طبيعة الماء، وهي باردة ورطبة نسبيا، وفيها تتكون السحب والثلوج والأمطار والبرَد وغيرها، وهي كثيفة وأكثر صلابة وسمكا من الطبقة السفلى.
- أما **الطبقة الثالثة** فإنها مركبة وممتزجة مع النار بنسبة متساوية، وفيها تجري الشمس والكواكب وهي حارة محرقة وملتهبة دائما، وخالية من الرطوبة كلياً، ويسميها اليونان أثيرا، أي الهواء الملتهب.

١- تكوين ١: ٦

٢- مزمور ١٠٤: ١٢

الفصل الثامن

ماهية طبيعة الشمس والقمر والكواكب

يقول بعضهم، أن النور الذي خلق في اليوم الأول كان منحلاً ومنتشراً، تجزأ في اليوم الأول إلى ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول صافٍ ونقي، خلق منه الله الشمس، وخلق القمر من الجزء الثاني والأوسط، والكواكب من الجزء الثالث السفلي العكر.

وقال آخرون : أن نور الشمس والقمر والكواكب هو غير نور الشمس والقمر والكواكب هو غير نور أجسامها، ولما قال الله : " **لتكن أنوار** "[1]، أمر بذلك أن تكون أجساماً في جلد السماء، لكي تستمد النور الذي خُلق في اليوم الأول وتكون له كمطية.

وآخرون قالوا : أن طبيعة الشمس نار صافية ونقية ونيّرة ومحرقة، وذلك واضح من أنها تنير وتيبس وتحمي وتحرق وتضرم البلدان الجنوبية أكثر من الأتون، ويقولون أن طبيعة القمر هي من العناصر الأربعة، ويبدو ذلك من كونه بارداً ورطباً ونديا كما يبدو من رقة جسمه وصفائه، واحمراره ولمعانه، وقال آخرون ان طبيعته من الماء والهواء فقط.

أما العلامات السوداء التي تشاهد في القمر في يوم اكتماله (وهو بدرٌ) فإنها أغوار تشاهد فيه شبه الوديان والمضايق الجبلية، وذلك لاحتوائه جزءاً من التراب، وتكون سوداء لأن جسمه كله لمّاعٌ وبرّاق،

١- تكوين ١: ١٦

وإذ يستمد النور من الشمس في يوم اكتماله، تبدو سوداء بسبب الظل، والقمر بطبعه خالٍ من النور، وإنما يستمد النور من الشمس فينير.

ويقولون أن طبيعة الكواكب مركبة من الهواء الذي هو أكثر نقاء وصفاءً ورقةً، ويُستَدلّ على ان طبيعتها من الهواء من سرعتها وحركتها وشفافيتها واستنارتها، أما نورها فليس من طبيعتها بل تستمده من الشمس فتضيء ما على الأرض، إنها أجسام، وهذا واضح لأن حاسة البصر تدركها، ومن قول بولس : " **يوجد أجسام سماوية** "[١].

أما عن كبر (حجم) أجسامها فلم نستطع أن نحدّده بدقة لأن جرمي الشمس والقمر كبيران جداً، كما قال الطوباوي موسى : " **فعمل الله النورين العظيمين** "[٢]، ومن الكواكب ما هي كبيرة أجسامها ويخال إنها صغيرة وتبدو كبيرة لأنها تُرى (بالعين المجردة)، والكثير منها لا تدركها أبصارنا، إما لارتفاعها الشاهق، أو لصغر حجمها جداً، أو لكليهما معاً.

أما هيئة الشمس فهي دائرية وكروية ومتساوية في الطول والعرض والارتفاع والعمق ودائرية من جميع الجهات، مثل جوهرة مستديرة وصافية تماماً، وذلك واضح من إنها مستديرة بنسبة متساوية ومضيئة وترسل نورها وأشعتها إلى جميع الجهات، هكذا هو شكل القمر أيضاً.

١- كورنثوس الأولى ١٥: ٤٠

٢- تكوين ١: ١٦

الفصل التاسع

حركة الأنوار السماوية وارتفاعها وموضعها

ينبغي أن نعلم أن كل الأنوار وكواكب السماء ما عدا الشمس والقمر والكواكب الخمسة التائهة، أي زحل ܟܐܘܢ، والمشتري ܒܝܠ والمريخ ܐܪܝܣ والزهرة ܐܦܪܘܕܝܛܐ وعطارد ܗܪܡܝܣ لها حركة واحدة وهي من الشرق إلى الغرب، ويتضح ذلك من أنها لا تبتعد أو تقترب أبداً من جهة المغرب، الثريّا من الدبران، أو الدبران من الجوزاء، أو الجوزاء من كليه في جميع الأوقات والسنين والأشهر.

أما الشمس والقمر والكواكب الخمسة التائهة فلها حركتان، واحدة من الشرق إلى الغرب مع كرة السماء كلها، وأخرى من الغرب إلى الشرق والتي فيها تكمل دورتها ومدارها، وحركتها تلك التي من الشرق إلى الغرب سريعة وخفيفة (حادة)، وكل ذلك لكي تكمل دورتها في يوم واحد منذ إشراقها في الشرق حتى تشرق من الشرق ثانية، أم التي من الغرب إلى الشرق فبطيئة وثقيلة ومدتها طويلة، وذلك لكي تكمل الشمس دورتها بمدة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وست ساعات منذ بدايتها من برج الحمل وحتى وصولها برج الحمل ثانية.

وعلى هذا النمط، القمر والكواكب الخمسة التائهة، تكمل دورتها في يوم واحد بحركتها من الشرق إلى الغرب، وبحركتها من الغرب إلى الشرق، فزحل يكمل دورته في مدة ثلاثين سنة، والمشتري في نحو اثنتي عشرة سنة، والمريخ في سنة وستة أشهر، والزهرة وعطارد في سنة واحدة كالشمس، والقمر في ثلاثين يوماً.

أما ارتفاعها ومكانها، فقد تحدث عنها الصابئة، فزعموا أن موضع زحل أي كيوان فوق كل الأنوار في السماء، لكونه يكمل دورته إلى الوراء نحو الشرق في ثلاثين سنة من حركة الفلك السريعة، والمشتري أي بيل تحته (يدور في مسار يقع أسل من مساره) لأنه يكمل دورته بمدة اثنتي عشرة سنة إلى الوراء شيئا فشيئاً أقل من حركة الفلك الشديدة، و(مساء) المريخ هو تحت المشتري لأنه يكمل دورته في سنة وستة أشهر، والشمس تحت المريخ، والزهرة تحت الشمس، وعطارد تحت الزهرة لأنها تكمل دورتها بسنة واحدة، والقمر تحت عطارد لأنه يكمل دورته في مدة ثلاثين يوماً. كما هو موضح في الشكل أدناه :

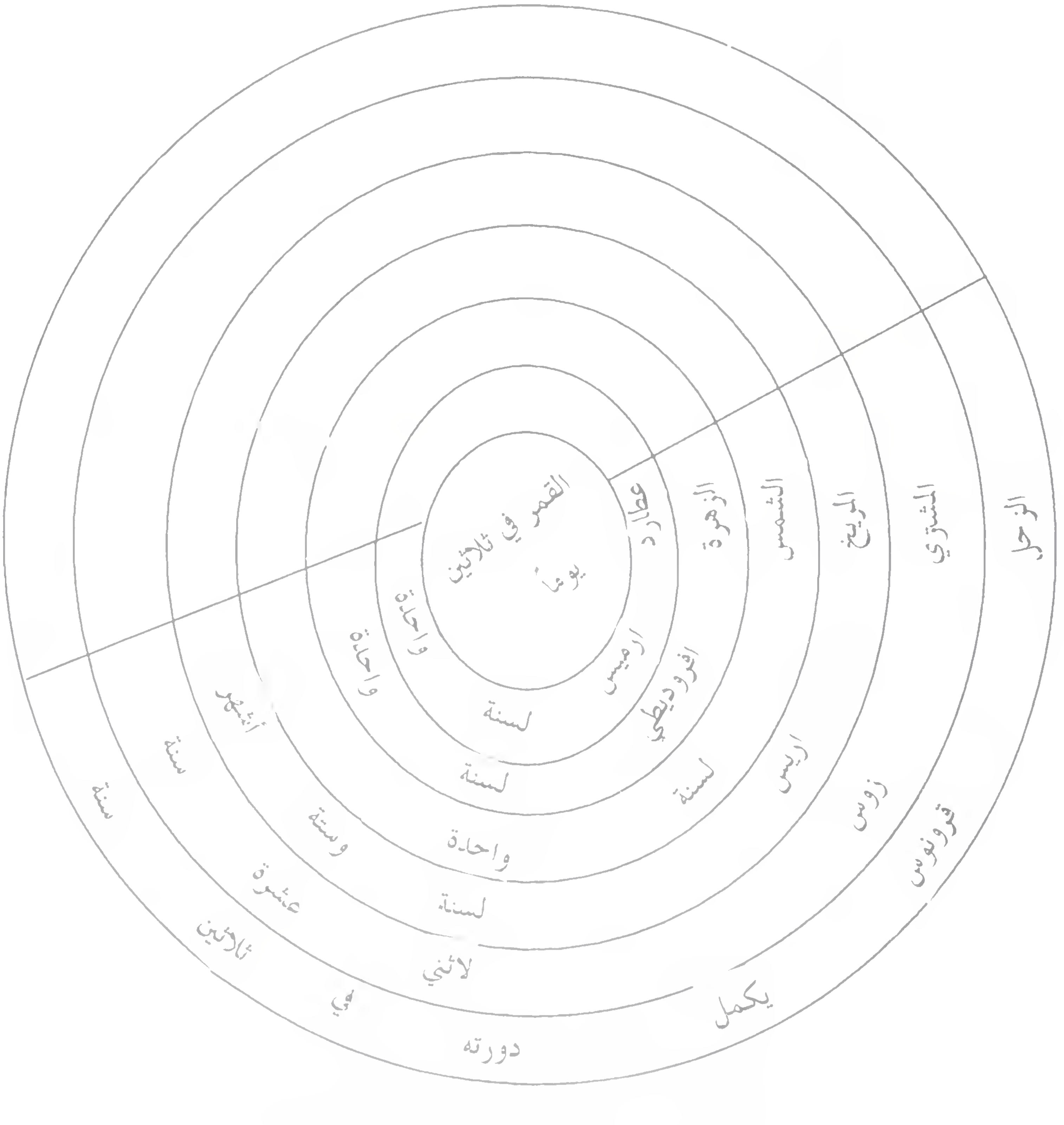

أما ملافنة الكنيسة فيقولون : أن موقع الشمس هو فوق أنوار السماء، وكما إنها أكبرها وأسناها، كذلك فإنها أعلى وفوق جميعها، بينما القمر في موقع منخفض أكثر من جميعها، وذلك معلوم من أنه عند توسطه بيننا وبين الشمس فإنه يحجب الشمس عن رؤيتنا، كذلك يحجب تلك الكواكب التي يقوم تحتها عن رؤيتنا.

ويقول بعضهم أيضاً : أن الشمس تتحكم بسرعة مسارها تماماً، وأن في طريق مسيرتها اثني عشر باباً، تمر بها خلال مسيرتها، وقد حصروا هذه الأبواب الاثني عشر في تسعة ليكون السير في طريقها سهلاً، ويبتعد كل باب عن الآخر ساعة واحدة، وكل ساعة لها درجة واحدة، ولكرة السماء رياح أربع تسيرها، لأن الريح التي فوقها ريح شديدة، ولو كان هبوبها العالي تحت الشمس قليلاً، لما تركت أبنية أو نباتات في العالم إلاّ وقلعتها وحطّمتها، لأن تلك الريح التي فوق الشمس أكثر شدة من جميع الرياح، وقد رتب بأمر الله أن تكون رياح أربع تحيط بكرة الشمس باستدارة وتنظم مسيرتها، وواحدة منها تجري أمام مسيرتها بلا انقطاع، لأنه إذا صادف واشتدت عليها تلك الريح الشمالية تقويها الريح الجنوبية، وإذا اشتدت الشرقية تقويها الغربية، غير ان هذه (الرياح) الأربع تجري بشكل دائري، وتحتفظ بكرويتها لكي لا تميل إلى أحد الجوانب.

أما الشمس فترتفع في أيام الصيف إلى تلك الطريق النارية وتنشر نورها على جميع جهات الأرض، ومتى ارتفعت إلى تلك الطريق النارية تلهب الأرض كلها بسبب التهاب كرتها من حرارة الأثير النوراني (الناري).

الفصل العاشر

علة كسوف الشمس والقمر(*)

تفتح أحياناً بأمر الله، إحدى هذه المخازن العلوية التي تخدم تلك الريح العالية، فتشتد تلك الريح العالية أكثر من الرياح الأربع المقترنة بمسيرة كرة الشمس، فتنحرف كرتها إلى الأسفل من درجات مسيرتها، ويعتم نورها ولا تتمكن أن تصعد كرتها إلى درجة مسيرتها حتى يكسر عنفوان قساوة تلك الريح العالية.

ويقول آخرون : عندما يكون القمر كاملاً ويمر أمام وجه الشمس يحجبها ونورها، ومن ثم قالوا : يكون كسوف الشمس إما كلياً أو جزئياً [1].

كسوف الشمس الكلي

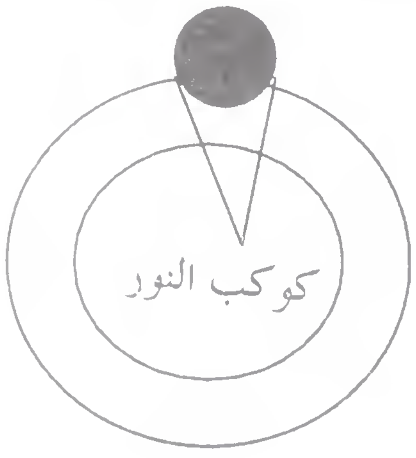

كسوف الشمس الجزئي

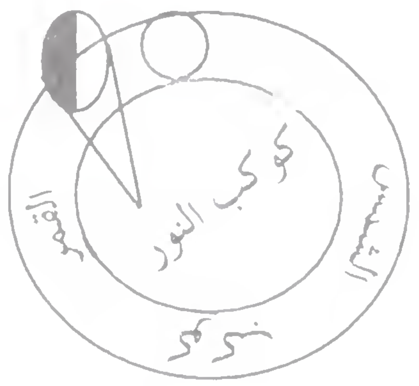

(*)رأيت من المناسب أن أعتمد على الرسم الوارد في نسخة مطرانية الموصل عن الكسوف والخسوف لأنه أقرب إلى الصواب. " **المترجم** "

١- يحدث كسوف الشمس عندما يقع القمر بين الأرض والشمس، بحيث تكون الشمس والقمر والأرض في مستوى واحد، ويحدث الكسوف الكلي عندما يكون الناظر في منطقة الظل التام، أما الكسوف الجزئي يحدث عندما يكون الناظر في منطقة شبه الظل التام للقمر.

" **المترجم** "

ويحدث خسوف [1] القمر مرتين في السنة في يوم اكتماله وغزارة نوره متى صادف ودخل في ظل الأرض ويكون بمستوى واحد طولاً وعرضاً مقابل الشمس في الجهة المقابلة، إذ لا يميل إلى أحد الجوانب، فيتوارى بظل الأرض عن رؤية الشمس كلياً أو جزئياً فيكون مظلماً وبلا نور، أو يميل إلى الإحمرار ويتشبه بلون الدم، كما توضح الصورة أدناه :

خسوف القمر الجزئي

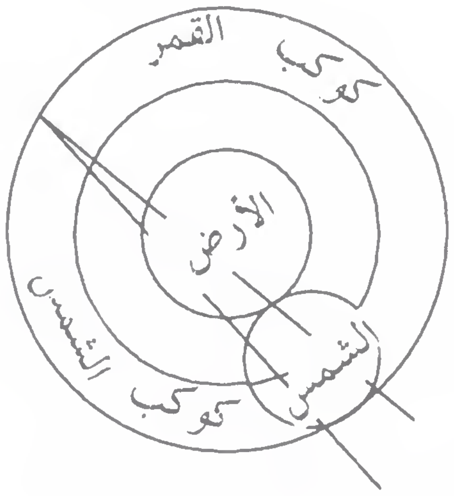

خسوف القمر الكلي

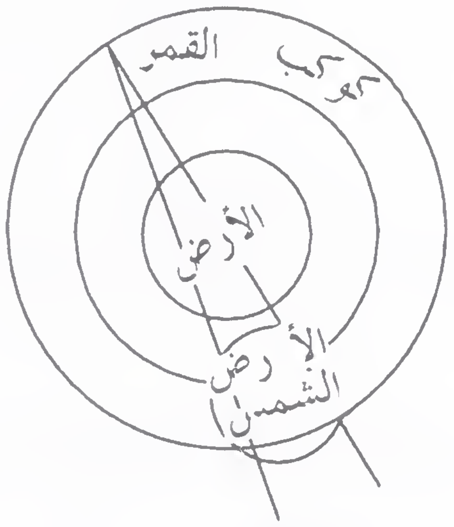

١- يحدث خسوف القمر عندما تقع الأرض بين الشمس والقمر، والشمس والأرض والقمر تكون في مستوى أفقي واحد، ويكون القمر بدراً، ويكون الخسوف كلياً عندما يقع القمر في منطقة الظل التام، ويكون الخسوف جزئياً عندما يقع القمر في منطقة شبه الظل.

" **المترجم** "

الفصل الحادي عشر

إلى أين تسير الشمس والقمر والكواكب عندما تمر وتختفي في الجهة الغربية ؟

يقول بعضهم إنها تغيب وتختفي في الجهة الغربية، وتدور مجتازة حول الأماكن الشمالية، وبسبب الجبال العالية في الشمال ومرتفعات الأرض تتحجب عنا، ويتضح قولهم من كون بعض الكواكب ثابتة وتسير دائريا من الجنوب إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الشرق، ومن الشرق إلى الجنوب، كتلك التي تدعى بنات نعش (الدّب الأكبر) والمجرّة (درب التبانة).

ونحن نقول : لو أن الشمس اجتازت في الأماكن الشمالية ليلا لما كانت الأقطار الخارجية في الشمال باردة بهذا المقدار بحيث تتعذر السكنى فيها بل لكانت قد أضافت شدة إلى تلك البرودة في دورانها فيها، إذن لا تمر الشمس والقمر والكواكب في الجهة الشمالية ليلا وإنما تسير مجتازة تحت الأرض، ويتضح ذلك من أن الشمس هي على هيئة الكرة التي تدور حول الأرض من جميع جوانبها ومن أننا نرى أن الشمس عندما يتساوى الليل والنهار، تصعد باستقامة من الشرق وتغيب باستقامة في الغرب، ذلك أن دورانها أشبه بالعجلة.

ثم أننا نرى الشمس منعطفة نحو الأسفل في الجهة التي تسير إليها هذه الأنوار سواء أكان الشرق أم الغرب وإن سارت يوما واحدا أو ألف يوم، في السهل أو في قمة الجبل، والأرض أيضا بنفس الكيفية، هكذا الشمس والقمر والكواكب عند سيرها.

أم في الجهة الشمالية فلا تسير الشمس، بسبب البرودة الفائقة التي ازدادت فيها منذ البداية، مثلما ازدادت الحرارة في الجنوب. وعليه عندما تصعد الشمس من الجهة الشرقية وتصل وسط السماء، تقف ولا تمر ثانية نحو الشمال لأنه لا يلائم طبيعتها بل تعود إلى الجهة الجنوبية التي توافق جوهرها، فالأجزاء المتشابهة والمماثلة تجري إلى بعضها بعضاً، والأجزاء الغريبة والمضادة تتنافر وتبتع عن بعضها بعضاً.

الفصل الثاني عشر

الاختلافات الكثيرة للنُهر والليالي والأصباح والأمساء والشروق والغروب التي تسببها الشمس في الأرض ولدى أولئك الساكنين عليها وعن الأقاليم

إن على الاختلافات الكثيرة للنُهر والليالي هي نتيجة انحرافات الأرض الكثيرة والمختلفة وأشعة الشمس، فكما تكثر وتختلف انحرافات الأرض كذلك تكثر وتختلف انحرافات أشعة الشمس والنُهر والليالي في الطول والقصر، في الكثرة والقلة، فكما نسمع أن هيئة الأرض كروية ومستديرة، ولكن بسبب طولها من الغرب إلى الشرق، كما قال بعض العلماء، وعرضها من الجنوب إلى الشمال، فإن الشمس تسبب في اختلافات كثيرة للنهر والليالي على طول الأرض وعرضها نتكلم أولاً عن اختلافات النهر والليالي التي تسببها الشمس بالنسبة إلى عرض الأرض، فإلى الجنوب من منطقة الحبشة، الأرض التي تسمى المحترقة، والتي تقع في منتصف كرة الشمس تماماً، فالذين يسكنون تلك الأرض تتساوى لديهم النهر والليالي مدى أيام حياتهم، وبفعل الشمس لا تطول النهر ولا تقصر

الليالي في الصيف عندما ترتفع الشمس نحو الشمال، أو في الشتاء عندما تهبط نحو الجنوب، لأن وضع كرة السماء هناك يكون مستقيما.

وقد وضع كلا قطبيهما أي ركني الشمس على استقامة واحدة، الواحد تجاه الآخر، واحد فوق الأفق الجنوبي، وآخر فوق الشمالي، أي الخط الذي يفصل بين السماء والأرض.

ويوجد أيضا في منتصف تلك الأرض مكان في الوسط يدعوه العلماء خط الاستواء، يندهش من ينظر فيه، فعندما تسير الشمس فوقه في آذار وأيلول تسبب تعادل الليل والنهار لجميع الناس المستوطنين في تلك الأرض، سواء لتلك التي إلى الجنوب من الأرض المحترقة أم التي إلى الشمال منها، ومتى سارت الشمس في منتصف خط الاستواء لتلك الأرض المحترقة وارتفعت نحو الساعة السادسة باستقامة فوق رؤوس أولئك المستوطنين في تلك الأرض، يزول الظل عنهم كليا، إذ لا يكون لهم في تلك الساعة ظل أبدا لا في الشرق ولا في الغرب، ولا في الشمال ولا في الجنوب، ولكن في الساعة التي تشرق عليهم تكون ظلالهم نحو الغرب، وعندما تغيب عنهم تكون ظلالهم نحو الشرق، ولما تميل عنهم نحو الجهة الجنوبية أثناء الشتاء تكون ظلالهم نحو الشمال، وعندما ترتفع عنهم إلى الجهة الشمالية أثناء الصيف تكون ظلالهم نحو الجنوب، لهذا فإن أولئك الناس هم ذوو ظلال أربعة، في حين أننا ذوو ظلال ثلاثة وذلك لأن ظلالنا تكون إلى الغرب والشرق والشمال، بينما لا تكون إلى الجنوب أبدا.

ولما تبدأ الشمس بالارتفاع من تلك الأرض المحترقة إلى هذه الجهة الشمالية، فإنها تسبب تغييرات كثيرة للنهر والليالي، إذ ترتفع الشمس إلى درجة عشرين، وتبتعد من منتصف خط الاستواء نحو الشمال فيزداد النهار نصف ساعة وينقص الليل نصف ساعة، وهكذا شيئا فشيئا كلما

ارتفعت نحو الجهة الشمالية يزداد النهار وينقص الليل، وهكذا تحدث تغييرات كثيرة ما بين الليل والنهار، لذلك فالناس الذين يسكنون مدينة ماروي في وسط الحبشة، ـ ولكي أُبيّن خصوصاً تلك التغييرات بالنسبة إلى الأماكن أقول ـ يكون لديهم نهار صيفي طويل مدته ١٣ ساعة، وليل قصير مدته ١١ ساعة. وينعكس الأمر في الشتاء فيكون الليل الطويل ١٣ ساعة، والنهار القصير ١١ ساعة.

أما أبناء مدينة سوايني في (جنوب) الحبشة الذين يسكنون نحو الشمال أكثر من أولئك، فيكون النهار الصيفي عندهم ١٤ ساعة، والليل قصيراً عشر ساعات، وينعكس الأمر في الشتاء.

وإلى الشمال منها، أي جزيرة رودس ومدينة أنطاكية سورية، وإلى الشمال منها أيضاً في مدينة رومية الأنطاكية، ومدينة نيقية في بيثونية، ومدينة قيصرية قبادوقية، في جميع الأماكن يكون النهار في الصيف طويلاً خمس عشرة ساعة، والليل قصيراً ٩ ساعات، وعكس ذلك في الشتاء.

وإلى الشمال من جميع هذه المناطق أي في وسط البحر المتوسط، وإلى الشمال من تراقيا يكون النهار في الصيف طويلاً ست عشرة ساعة، والليل قصيراً ٨ ساعات، وينعكس الأمر في الشتاء، وإلى أقصى الشمال منها يكون النهار طويلاً في الصيف في جزيرة بتولي في المحيط الشمالي (٢٠ ساعة والليل قصيراً) [١] ٤ ساعات. وينعكس الأمر في الشتاء.

١- سقطت الجملة التي بين قوسين من الأصل السرياني والصواب ما أوردناه ليستقيم المعنى.

" **المترجم** "

وكذلك كلما تقدم أحد نحو الشمال سواء كانت تلك المنطقة يابسة أو بحراً محيطاً موحشاً وغير صالح للملاحة، لوجد أن النهار الصيفي الطويل ٢٣ ساعة والليل قصير، ساعة واحدة، وينعكس الأمر في الشتاء وذلك لسببين :

بسبب البرد القارس والمناخ الذي لا يُطاق، وبسبب عدم الاعتدال والتقسيم غير المتوازن بين الليل والنهار، لذلك جعل الله تلك المناطق غير مستوطنة من البشر أو الحيوانات.

وإذا رام أحد الاقتراب أكثر نحو الشمال، ولئن لا يستطيع ذلك فعلياً وشخصياً، لكنه يقدر بالفكر خاصة، عندما يتأمل طبيعة الأعمال وحكمة الله، فإنه يجد ذلك المكان الشمالي، منذ ابتداء الشمس بالارتفاع من خط الاستواء الوسط في آذار نحو الجهة الشمالية حتى وصولها إلى خط الاستواء الوسط في أيلول، يشكل طوال فترة الصيف يوماً واحداً أمده ستة أشهر، لا يقطعه ليل في تلك المنطقة الشمالية.

ومن يوم ابتداء الشمس بالنزول إلى خط الاستواء الوسط في أيلول نحو الجهة الجنوبية حتى تعود فتصل إلى ذات خط الاستواء الوسط في آذار، كل هذه الفترة الشتوية التي أمدها ستة أشهر تكون ليلاً واحداً لا يقطعه نهار في تلك المنطقة الشمالية.

إن الشمس تسبب مثل هذا الاختلاف الكبير بين الليل والنهار في تلك المنطقة الشمالية بسبب ميل كرة الشمس الكثير وغير المتوازن، وميل الأرض الشديد بالمقارنة مع ميل الشمس، كل هذا الميل حتى يستقر كلا القطبين، أي أركان هذا الفلك، الواحد فوق الأرض بصورة مستقيمة، والآخر تحتها، الواحد قبالة الآخر، ولا يكون دوران هذه الكرة نحو

الأعلى والأسفل كدوران الآلة التي ترفع المياه، ولكن دوران حجر الرحى إلى جميع الجهات دائرياً أي الغرب والشمال والشرق والجنوب.

هذا ما تحدثنا به عن الاختلافات بين النهر والليالي الذي تحدثه الشمس في عرض المسكونة من الجنوب إلى الشمال. وسيتناول الحديث عن **الاختلافات بين النهر والليالي التي تحدثها الشمس من الشرق إلى الغرب على طول المسكونة** كما يلي :

عندما نحدّد في أفكارنا من جهة مدينة واقعة في الجهة الشرقية حتى بلاد أسبانيا، تلك المسكونة الواقعة في الطرف الخارجي للجهة الغربية، يجب معرفة، أن دائرة كرة الأرض كلها قسمها العلماء والقدماء إلى ثلاثمائة وستين (٣٦٠) خطّاً، كدائرة كرة الشمس، ولذلك قالوا أن طول المسكونة كلها من الشرق إلى الغرب مئة وثمانون خطّاً كنصف دائرة الأرض، وثلاثمائة وستون خطاً هي دائرة الأرض كلها، فإذا قسّمت إلى ٢٤ ساعة وهي دورة الشمس في ليل ونهار، يكون نصيب كل ساعة ١٥ خطاً عن التي في غربها، أي أن شروق الشمس عليها سبق الأخرى ساعة كاملة، مكوناً فيها منتصف النهار، كما يسبقها في الغروب مكوناً منتصف الليل قبل ساعة من المدينة الواقعة إلى أقصى الغرب، فالمدينة التي تبعد عن نظيرتها خمسة وأربعين خطاً شرقاً، تكون الشمس قد كونت فيها الصباح ومنتصف النهار والمساء ومنتصف الليل قبل ثلاث ساعات عن الأخرى قبل أن تكونها غرباً، والتي تقع نظيرتها بتسعين درجة، تتأخر عنها الشمس ست ساعات بالمقارنة مع نظيرتها إلى الشرق، أي بالنسبة إلى الصباح والمساء ومنتصف النهار ومنتصف الليل، ولهذا ففي بلاد الصين البعيدة عن المحيط الغربي وجزيرة غاديرا الموجودة فيه على خط مئة وثمانين درجة يسبق شروق الشمس عليه بـ ١٢ ساعة، وبنفس المدة تسبقها بالمغيب قبل أن تشرق أو تغيب من أولئك الساكنين في غاديرا، فيكون الصباح لدى المشارقة مساءً لدى المغاربة، وصباح المغاربة مساءً

لدى المشارقة، وليل أولئك نهار هؤلاء والعكس بالعكس، وكأن هؤلاء يعيشون فوق أولئك وتحتهم، وأولئك فوق هؤلاء وتحتهم، ولا أعرف كيف أعبّر وأنا أنظر إلى وضع الأرض وكرويتها وميلانها بالتساوي إلى كل الجوانب، فأرى أرجلهم على الأرض تقابل بعضها بعضا، أرجل أولئك مقابل أرجل هؤلاء، وأرجل هؤلاء مقابل أرجل أولئك، ورؤوس جميعهم متجهة نحو كرة الشمس التي تحيط الأرض من جميع الجهات، مثل تفاحة كبيرة ومدوّرة تعلّق بها النمل من جميع جوانبها وجهاتها، فأرجلها تقابل بعضها بعضاً وظهورها متجهة نحو كرة الشمس. هكذا أحاط البشر جميعهم بالأرض من جميع جوانبها وانجذب إليها ثقل أجسامها، أما أرجلهم فتقابل بعضها بعضا، في حين أن قاماتهم ورؤوسهم منتصبة نحو أعلى السماء.

يكفي الحديث هنا عن الاختلافات الكثيرة التي تحدثها الشمس للنهر والليالي والأصباح والأمساء والشروق والغروب.

نتحدث الآن **عن الأقاليم** :

أما الأقاليم فإنها ليست مناطق طبيعية للأرض بل علامات رسمت نتيجة اختلافات النهر والليالي لتمييز الموضع عن نظيره، وأن ميلان هذه الأرض الكروية التي نقطنها يكون من تحت الأشعة الشمسية، وتحدث اختلافات في الطول والقصر للنهر والليالي، على اتساع المسكونة.

وسُميّت أقاليم أي " ميلان " لأن ميلانها عن بعضها بعضا يكون بحسب ميلان الأرض بالنسبة إلى فلك السماء، ويمتد كل منها من أقصى المسكونة إلى أقصاها كما في الطول من الغرب إلى الشرق بالنسبة إلى نظيره.

ونقول أيضا أن بعضاً من علماء الفلك قسَموا الأرض إلى أربعة أرباع، اثنان شماليان، واثنان جنوبيان، وقالوا أن المسكونة التي تقع في الربع الجنوبي الذي نسكن فيه يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب مئة

وثمانين درجة، وعرضه ثمان وثلاثين درجة، كما قسّموها إلى سبعة أقسام، دعوا كل قسم منها إقليماً، كما في الصورة والشكل أدناه :

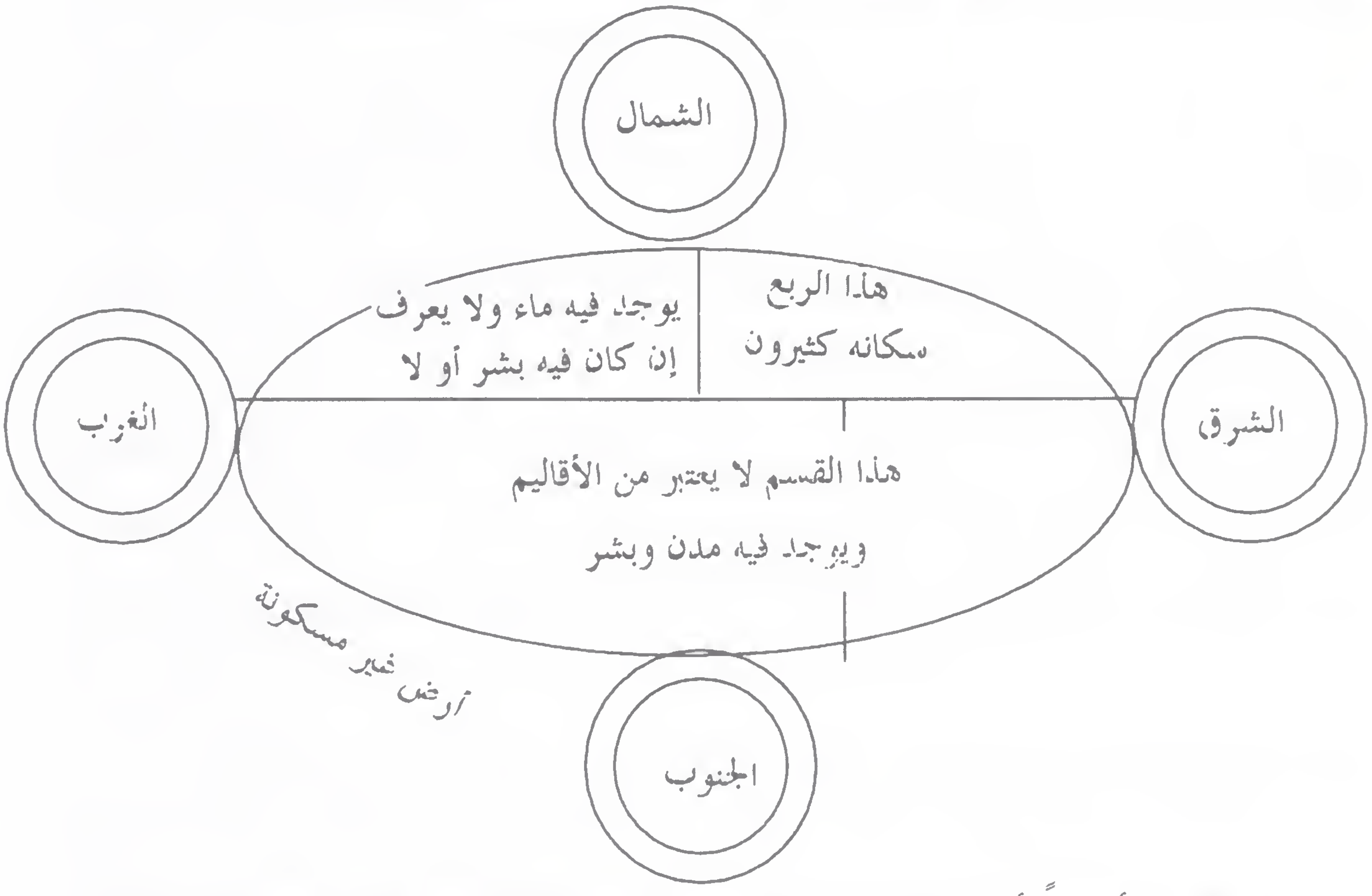

ونقول أيضاً أن الطرف الخارجي للجهة الشمالية لا يصلح للسكنى بسبب شدة البرودة، و(الطرف الخارجي) للجهة الجنوبية، بسبب شدة الحرارة وكثرة الحشرات، و(الطرف الخارجي) للجهة الغربية بسبب غزارة مياه المحيط، أما (الطرف الخارجي) للجهة الشرقية فبسبب الانهيارات والتشققات.

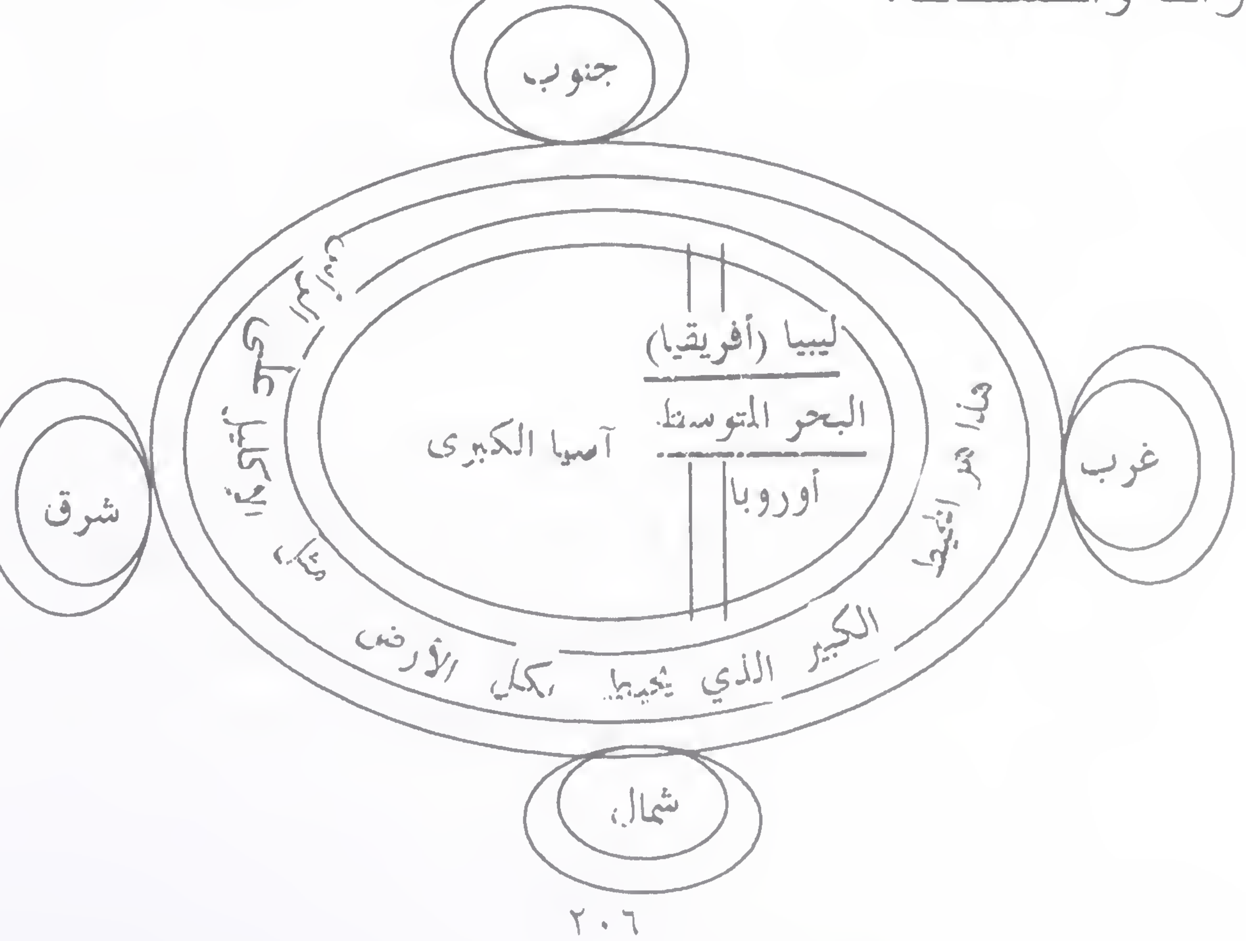

الفصل الثالث عشر

تكوين الصخور والجبال والسهول من عنصر التراب

نقول، أن الأرض منها ما هو تراب، ومنها صخور، ومنها جبال، ومنها سهول، وذلك لأن في التركيب الأول لأجزائها، جاء بعضها أكثر يبوسة وبعضها الآخر أقل يبوسة، والأجزاء التي كانت أقل يبوسة تماسكت ببعضها، وعندما تكاثفت ببعضها بعضاً بسبب الرطوبة ولمستها الحرارة، صارت كلها صخوراً، كإناء من الطين عندما تمسّه الحرارة تجفّفه وتجعله صلباً كالصخر، وتلك التي كانت أكثر يبوسة كانت أجزاؤها متفككة فكان منها التراب.

ومن ثم ينبغي السؤال : إذا كانت الصخور قد تكونت من أجزاء أقل يبوسة، والتراب من أجزاء أكثر يبوسة، فكيف ارتفعت الصخور فوق الأرض وصارت جبالاً، في حين أن السهول لبثت في الأسفل ؟

نقول : كانت العناصر الأربعة في البداية مختلطة وممتزجة ببعضها بعضاً كما بيّنا في الفصل الخامس من هذا المقال، ولما أمر خالقها أن ينفصل كل واحد عن رفيقه ويستقر في مكانه وموضعه، تحرك (عنصرا) النار والهواء وارتفعا إلى الأعلى، بينما تحرك (عنصرا) الماء والتراب إلى الأسفل، ولما تحرك (عنصر) النار نحو الأعلى وتلاقت معها أجزاء التراب التي كانت أقل يبوسة، تداخلت وتكاثفت ويبست وكوّنت صخوراً، ورفعتها إلى الأعلى بحركتها القوية والعنيفة حتى إنها تخلفت عنها بسبب ثقلها، وهكذا تكوّنت الجبال من هذه الأجزاء.

ولمّا التَقَت النار مع أجزاء التراب التي كانت أكثر يبوسة وتفتت، أفلتت النار من بين أجزائها لابتعادها عن بعض، ولم ترفعها نحو الأعلى لأنها لم تكن متراصة ومتكاثفة وجافة كتلك (الأجزاء) الأخرى، وهكذا لبثت السهول إلى الأسفل من الجبال.

ويتضح ذلك من أجزاء التراب في المناطق الشمالية أكثر تماسكاً وكثافة، فقد كثرت فيها الجبال، أما المناطق الجنوبية فقد كثرت فيها السهول لأن أجزاء التراب متفككة ومتباعدة عن بعضها، فعندما نأخذ مثلاً إناءً من الفخار كإبريق أو كوز أو قلة كبيرة يكون مملوءاً بالهواء، ثم نسد فوهته جيداً وندخله في الماء في العمق داخل مياه، فعندما نتركه، نرى ذلك الهواء الذي بداخله يحمل الإناء ويحركه ويرفعه فوق سطح الماء لعدم تمكنه من الخروج منه وذلك لتماسك أجزائه وتكاثفها وانسداد فوهته، هكذا النار أيضاً عندما تحركت في البداية وارتفعت نحو الأعلى وصادفتها أجزاء التراب المتماسكة والكثيفة، رفعتها فوق سطح السهول وصارت جبالاً أعلى من مستوى السهول.

الفصل الرابع عشر

المعادن أي المناجم

قال العلماء، أن الأبخرة والأدخنة التي كانت محبوسة داخل الأرض وداخل الجبال، امتزجت بأنواع مختلفة بحسب الأماكن والأزمنة والمواد التي كانت منها، ومنها تكونت المعادن:

فمن تغلب فيه الدخان تولد منه جواهر غير ذائبة، ولا تقبل الانحلال بالنار وتتأثر تحت المطرقة، كالنشادر والملح وغير ذلك، أما الذي تغلبت فيه الأبخرة وتماسك تماما، تولدت منه جواهر صلبة وعسرة الانحلال، ولا تتأثر تحت المطرقة كالبلور والياقوت وغير ذلك.

ويتكون الكبريت من أبخرة امتزجت بالدخان امتزاجا تاما حتى بلغ حدا معينا.

وتكون الزاج من أبخرة امتزجت بدخان الكبريت امتزاجاً خاصا غير قابل للانحلال.

وعندما تمتزج الأبخرة والدخان امتزاجا بنسب متقاربة، يتكون منها سبعة أجسام (جواهر) طبيعية وهي :

الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والإلكترون (الكهرباء).

وكانت في التراب أكثر من بقية العناصر لأن جزء التراب تغلب في تركيبها أكثر من أجزاء بقية العناصر، أما طبيعتها فمائية وذائبة، ولكن بسبب تغلب برودة التراب الزائدة فيها تخثّرت وتماسكت، ويتضح ذلك عندما نقربها من النار تطرد منها البرودة الترابية وتتحل كالماء. كالماء في فصل الشتاء متى تغلب فيه البرد الشديد يتماسك ويصير جليدا، ولكن عندما يقترب من النار يذوب ويعود إلى طبيعته الأولى.

- ورب سائل يسأل :

إذا كانت طبيعتها واحدة، فلماذا صارت أنواعا كثيرة ومتنوعة ؟

- وجوابا على ذلك نقول :

لأنه كثرت في تركيبها زيادات العناصر الكثيرة، فنتيجة الزيادة والنقصان كثرت أنواعها واختلفت عن بعضها، ومنها ما تغلب جزء النار وازداد في تركيبها كثيرا، وازدادت لدى الأخرى، الهواء أيضا، ولدى الأخرى، ازداد التراب، ولدى غيرها، الماء. ولما تغلب أحدها وازداد في تركيب نوع أيّا كان، نقص لدى الأخرى، فبسبب كثافتها وصلابها كثرت

فيها زيادة أو نقصان أجزاء العناصر ونوعيتها وفعلها، ولهذا السبب تكونت أنواع كثيرة ومتنوعة.

وخذ لك مثالاً من الذهب، فلأن الرطوبة تغلبت فيه أكثر بكثير مما في الفضة، لذلك فكميته أثقل من الفضة وأكثر ليونة منها، ونظراً لزيادة الحرارة فيه أكثر من الفضة صار لونه أصفر، ولون الفضة أبيض.

أما النحاس فلأن الحرارة واليبوسة تغلبتا فيه أكثر من الذهب والفضة، لذلك صار لونه أكثر إحمراراً من كليهما. وكذلك القصدير، فلأن الرطوبة تغلبت فيه أكثر منها، لذلك فهو يذوب في النار بسهولة أكثر، أما الحديد فلأن اليبوسة والبرودة تغلبتا فيه أكثر، صار ترابياً أكثر من جميعها، ولذلك فإنه لا يذوب في النار كالمعادن الأخرى، إلا عندما تدل عليه القوة المحلّلة والمذوبة.

والزئبق (امـى)، فلأنه أكثر قرباً من الماء بالرطوبة. وهو أكثر من جميعها انسكاباً كالماء، لذلك لا يحتاج إلى أن يذوب على شاكلتها، وإنما يتلاشى سريعاً بالنار، كالماء عندما يوضع على النار، يرتفع في الهواء بسبب رطوبته.

الفصل الخامس عشر

تقسيم الأرض

يقسم المؤرخون القدماء هذه الأرض المأهولة كلها إلى ثلاثة أقسام، ويسمون هذه الأقسام الثلاثة : أوروبا وليبيا (افريقيا) وآسيا الكبرى، وأطلقوا اسم أوروبا على الأرض الواقعة إلى الشمال من البحر المسمى

ادرياس (المتوسط)، والذي يتدفق من المحيط الشمالي ويتجه من الغرب إلى الشرق خمسة آلاف ميل حتى المحيط الشمالي طولا، وعرضا من الجنوب إلى الشمال كما في الطول من الشرق إلى الغرب، من المحيط الغربي واسبانيا الخارجية والغربية وأعمدة هرقل التي عند جزيرة غاديرا حتى نهاية تراقي حيث بنيت القسطنطينية على سواحل الخليج الذي يدعى خليج الدردنيل ܐܟܣܢܐ ܦܢܛܘܣ ، ومن هناك يخرج رافد ويمتد إلى الشمال ويمر في بلاد السقوثيين ܣܩܘܬܝܐ حتى يصل إلى المحيط الشمالي.

وأطلقوا اسم ليبيا على الأرض الواقعة جنوب هذا البحر حتى الأرض المحترقة تحت الشمس، والأرض المجهولة وغير المأهولة الواقعة جنوبي الحبشة الخارجية وعرضها من الشمال إلى الجنوب كطولها من الغرب إلى الشرق، من المحيط الغربي إزاء أعمدة هرقل حتى حدود فلسطين ومصر بالقرب من رينو، القرى والمدن التي في مدخل مصر، وكلما اتجهنا غربي البحر الذي اجتازه بنو إسرائيل.

وأطلقوا اسم آسيا على الأرض التي تبتدئ من الحدود الشرقية للقسمين الأولين حتى النهاية الشرقية للمسكونة.

الفصل السادس عشر

البحـــار

قال البعض أنه توجد بحار كثيرة في الأرض، وقال آخرون أنه يوجد بحر واحد كبير وهائل، على اعتبار أن مجمع المياه واحد، وعنصر الماء واحد، إلاّ أن هذا البحر الواحد قد خرق وهدم جهات كثيرة ومختلفة من الأرض، فتكونت بحار كثيرة. لذا نقول أنه يوجد من ناحية بحر واحد، ومن ناحية أخرى توجد بحار كثيرة، وآخرون قالوا، أنه يوجد بحر كبير يسمى المحيط " ܐܘܩܝܢܘܣ " الذي يحيط بالأرض كلها كإحاطة الإكليل للرأس، ومنه تدخل خلجان كثيرة داخل الأرض في حفر ووهاد كثيرة.

والبحار الشهيرة والمشهورة خمسة :
المحيط ܐܘܩܝܢܘܣ ، **البحر المتوسط** ܐܕܪܝܘܣ ، ܐܘܟܣܝܢܘܣ ܦܢܛܘܣ ، ܗܘܪܩܢܝܐ أو ܟܐܣܦܝܐ ، **(البحر) الأحمر** ܐܪܝܬܪܐ.

✠ **فالمحيط** : هو البحر الذي قالوا عنه أنه يحيط بالأرض، كالإكليل للرأس وكنطاق للظهر.

✠ **البحر المتوسط** : يتدفق من المحيط ويأتي من الغرب إلى الشرق، وطوله نحو خمسة آلاف ميل وعرضه أربعمائة ميل، وفيه :

- **ثمانية خلجان** وهي :

ܛܘܪܢܝܩܘܣ Turrenicos ، و ܣܝܩܠܝܩܘܣ Sikelicos ، و ܐܛܠܢܛܝܩܘܣ Atlanticos ، و ܩܪܝܛܝܘܣ Kretios (كريت)،

و ܐܓܘܦܛܝܩܘܣ Aigupticos ، و ܐܝܛܠܝܩܘܣ Italicos (إيطاليا)، أي يونياس (اليونان)، و ܐܠܝܣܦܘܢܛܘܣ Ellespontos " الدردنيل "، و ܦܘܢܛܘܣ.

- وفيه **خمس جزر كبيرة** وهي :

ܣܪܕܘ Sardo (ساردينيا) و ܩܘܪܢܘܣ Kurnos وصقليا وكريت وقبرص، وجزر أرضية : ܦܠܘܦܘܢܝܣܘܣ ، و ܦܪܘܦܘܢܝܣܘܣ وكثير غيرها.

- وفيه **خمس جزر صغيرة** وهي :

ܪܘܕܣ و ܩܘ قاو ، و ܟܝܘܣ كيوس، و ܣܡܘܣ ساموس، و ܐܘܒܐܐ ، و ܐܝܛܐܟܐ .

✠ **والبحر الثالث هو المعروف بـ ܐܘܟܣܝܢܘܣ ܦܢܛܘܣ** ، ويمتد طوله من الشرق إلى الغرب وعرضه من الجنوب إلى الشمال ويبلغ طوله نحو ألف وثلاثمئة ميل، وعرضه ثلاثمئة ميل، وإلى الشمال منه بحيرة تسمى ܡܐܘܛܝܣ Maistis .

✠ **أما البحر الرابع فهو المعروف بـ ܗܘܪܩܢܝܐ أو ܟܣܦܝܐ** :
الذي لا تختلط به أي من بحار المسكونة، والذي يمتد هو الآخر من الغرب إلى الشرق طولا، من الحدود الشرقية لأرمينيا وألبانيا وحتى الحدود الغربية لبلدان ܗܘܢܝܐ ، ويبلغ طوله نحو ألف وثمانمئة ميل، وعرضه نحو ستمائة ميل، ونظرا لعمقه ليس فيه جزر سوى اثنتين، وتصب فيه أنهار كثيرة.

✠ **أما البحر الخامس فهو البحر الأحمر** الذي هو بحر الصين والبصرة، وليس بين بحار المسكونة كلها أكبر من البحر المحيط حيث يمتد إلى نحو نصف المسكونة، يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب نحو ثمانية آلاف ميل، وعرضه من الجنوب إلى الشمال قرابة ألفين وسبعمائة ميل، ويخرج من البحر الأحمر من الجهة الشمالية خليجان :

- **الخليج المدعو العربي الذي اجتازه بنو إسرائيل**، يجري من بلاد الحبشة حتى برية فاران، ويبلغ طول هذا الخليج نحو ألف وأربعمائة ميل، وتعرض بدايته الجنوبية، نحو أربعمئة ميل.
- **والخليج الآخر المسمى بحر العيلاميين أي الفرس**، حيث يصب فيه دجلة والفرات، ويبلغ طول هذا الخليج من الشرق إلى الغرب نحو ألف وأربعمائة ميل، وعرضه من الجنوب إلى الشمال قرابة سبعمائة ميل.

أما ملوحة مياه البحر فليست في طبيعتها كما قال البعض بل من (طبيعة) الرمل الذي تجمع واستقر فيه، فإنه مالح ولا يَبتَل، لذلك فإنها مالحة مثله، ويعرف هذا من أن المياه عندما تجري في أرض ما، تكتسب طبيعة تلك الأرض، فمتى جرت (المياه) في أرض (طبيعتها) مُرّة تكون مُرّة، وعندما تجري في (أرض) مالحة تكون مالحة أيضاً، وعندما تخرج من بحار وتمر في ضفوق (الأرض) فإنها تنفض الملوحة التي ليست من طبيعتها وتعود إلى عذوبة طبيعتها.

وقال آخرون : أن ملوحتها (مياه البحر) هي بسبب حرارة الشمس لأنها تمر عليها فتسخّنها، لأن الرطوبة متى سخنتها الحرارة تصير مالحة، ومتى فعلت فيها أكثر تصير مُرّة، كالعرق والبول، فمتى أثرت فيهما الحرارة يصير مالحة، وكذلك اللحم الملتصق بالتنور متى أثرت فيه حرارة

زائدة يحترق بالنار ويصبح مالحاً، والمياه التي تنبع من الجهة الجنوبية تكون مالحة لقربها من الشمس.

وينبغي أن نعرف أن هنالك بحيرتين تزودان نهر النيل، وبحيرة أخرى تسمى ܐܩܘܠܘܢ Kolon التي تزود نهر ܐܩܝܐܢܘܣ الذي يختلط بالنيل، وأخرى تسمى ܡܐܪܘܛܣ Marutis بالقرب من الإسكندرية الكبيرة، وتلك التي يكونها نهر الأردن، وبحيرة أخرى تسمى جنارت ܓܢܐܪܬ والتي يكونها هي الأخرى نهر الأردن أيضاً، وهنالك بحيرات أخرى التي يكونها نهر ܐܘܪܢܛܣ Orantes اورناطيس، وأخرى تسمى شوشتار وشوشان التي يكونها نهر دجلة، ويوجد بحيرة أخرى في أرمينيا تسمى ܐܪܣܛܝܐ " ارسطيا " Aristia.

الفصل السابع عشر

الأنهار والينابيع والعيون والوديان

تنبع مياه الينابيع والعيون وتنساب الأنهار والوديان من مصدرين : من مياه البحار التي تعبر في أغوار الأرض، وتصعد خارقة المواضع الصالحة للخرق والنبع، ومن مياه الأمطار والثلوج التي تنحدر من الجبال وتدخل في تجاويف وأعماق الجبال، وتنحبس فيها ثم تخرق وتصعد في المواضع المناسبة وتجري منها الأنهار والوديان.

مجموع الأنهار التي في المسكونة مائتان وخمسة وخمسون نهرا كما يقول الخبراء، أما البحيرات والعيون الكبيرة فعشر. وسلّم آخرون

بوجود أربعين نهراً شهيراً وواسعاً (كبيراً)، بينما الصغيرة كثيرة لا تحصى. والأنهار الأربعة التي تخرج من الفردوس هي :

الفرات ودجلة وفيشون وجيحون (النيل)، تجري وتنساب تحت مياه المحيط حتى تصل البحر إزاء عكا.

فجيحون (أي النيل) الذي يغمر ويحصن القطر المصري، ودجلة والفرات يغمران ويحصنان بلاد ما بين النهرين، ويرويان بلدان الآشوريين والكلدانيين والعيلاميين.

و ܐܝܢܕܘܣ Endos أي فيشون، و ܓܐܢܓܝܣ اللذان يرويان بلاد الهند، و ܐܘܟܣܘܣ و ܐܠܐܟܣܐܪܛܝܣ Laxarhs Oxos التي تنساب في البلدان المنتجة للحرير (ܣܪ̈ܝܐ). و ܪܐܐ Raa أيضاً الذي يزود الأقطار الشمالية التي تنبع منها المياه بصورة مستمرة نظراً لكثرة الثلوج، و ܐܝܣܛܪܘܣ Istro الذي ينساب في بلدان أوروبا الغربية.

وقالوا أن في أبيفانيا ܐܦܝܦܢܝܐ الداخلية نهر اسمه ܒܛܣ تصب مياهه في الساعات الست الأولى من النهار في البحر حيث تجري على نظام طبيعتها، أما في الساعات الست الأخيرة فتتوقف مياه ويَيبَس.

وفي أسبانيا نهر يجري كل سبع سنوات مرة واحدة، وفي السنة التي يجري فيها تكثر مياهه، أما في السنوات الست فيجف تماماً.

وفي أسبانيا أيضاً يوجد نهر آخر يتوقف جريانه ستة أيام ويجري في (اليوم) السابع.

وقالوا عن نهر لا يجري فيه ماء بل رمل يابس، ويجري بقوة شديدة، ولا يمكن عبوره لا على الأقدام ولا بالسفن، ويتوقف جريانه يوم السبت حتى تغيب الشمس فيرى ذلك الرمل وقد تكتّل كالتراب.

في بحر سدوم لا يوجد أسماك ولا حيوانات أخرى، وعندما تأتي أسماك في الأنهار التي تصب فيه حتى مصبه وتتنسّم رائحته تعود القهقرى، وفي جزيرة ܡܐܠܘܣ حجر كونت فيه حفرة، فعند دخول ماء البحر إليها تصبير عذبة ولذيذة.

وفي مدينة ܐܠܦܢ ، يوجد بحر يرتطم بحيطانها، فأنشي ميناء هناك فعندما تسير فيه السفن تبتعد مياه فجأة وتضحى في يابسة، ثم تنعطف وعود إلى مواضعها محدثة صوتا مرعبا.

إلى جانب البحر الذي بازاء عكا يوجد مكان عميق يحول الرمل الساقط فيه إلى زجاج. في البحر المسمى ܐܘܪܩܘܣ سنـّاً يمتد ويجزر في اليوم عشر مرات، ويجزر قرابة خمسمائة ذراع في وقت واحد حتى يظهر قعر البحر، ويمتد بنفس الطريقة.

بحر كنرّوت ܟܢܪܘܬ ، لا يوجد فيه أسماك لأن مياهه تتبدل ثلاث مرات في اليوم.

وقالوا أيضا أنه يوجد نهر يسمى ܐܠܦܐܘܣ ويمر في البحر ويصل إلى ينبوع اسمه ܐܪܐܬܘܣܐ فإذ يجري بين الأمواج ويرتفع إلى الأعلى ويهبط إلى العمق لا تمتزج مياهه بملوحة البحر بل ينطلق إلى جزيرة صقليا، كجسم لا يعتريه أذى.

وكالعادة أيضاً يصعد (يلوح) في ميسان ܐܘܠܝ ودجلة ويأخذ من الفرات ومتى وصلا إلى بحر ميسان رجعا إلى الوراء فراسخ كثيرة [1]، ثم يعودا إلى موضعيهما حالاً.

وقال البعض أيضاً انهم شاهدوا مياهاً تصلبت وصارت كالزجاج صنع منها كؤوس بلّورية (كريستالية ܩܪܘܣܛܠܝܢܘܢ) وبيعت بأثمان غالية. وقالوا أيضاً أن كل من ينزل إلى (نهر) ܕܘܣܝܘܢ الذي في آسيا يموت. وثمة مكان ينبع منه قير، وقالوا أنه توجد هناك عينان تنبع منهما مياه باردة، ويشبه هذا المكان غار النمل، وفيه ثقوب صغيرة وتتصاعد منها رائحة كرائحة البخور، وكل نفس تصلها تلك الرائحة تقتلها حالاً. يقال أنه يوجد مكان في آسيا يقتُل البشر القريبين منه عندما لا يشاهد بخار يتصاعد منه.

كما قالوا أنه في بلد الرها قرية (اسمها) ܩܘܩܐ ، وفيها ماء ينبع من جوف الأرض ويدخل حفرة ويصير حجارة، وقالوا أنه المرمر.

كما يوجد بجانب ܐܘܪܗܝ الغربي عين (ماء) على مسافة من ܡܝܠܐ تكون يابسة طوال الشتاء، ويعرف يوم ظهور نبعها في نيسان.

وفي جنوب ܐܘܪܗܝ قرية تسمى ܬܠܠ ܟܘܟܒܐ ، وفي سهلها في الأرض السوداء عينان تبتعد الواحدة عن الأخرى نحو مائة خطوة، وإحدى هاتين العينين يجف ماؤها في الصيف بحيث لا يتضح أنه جرى الماء منها، ثم تعود وتنبع في اليوم عينه ويجري منها نهر، وقالوا أيضاً أنه إذا ما انقطعت وقلب أحد حصاها وحجارتها لا يجد فيها رطوبة.

١- الفرسخ : ثلاثة أميال.

ويوجد في كيوس ܟܘܣ معين مياه حارة داخل البحر. كما ويوجد في البلدان الشمالية ما يسمى حمّامات التي تقذف مياه ساخنة، وهي شقوق وتجاويف تسمح بدخول الماء والنار أي أشعة الشمس، لأن لها فوهات في الجهة الجنوبية تدخل من خلالها أشعة الشمس فتسُخّن المياه التي بداخلها فتخرج من الفوهات الأخرى الشمالية.

الفصل الثامن عشر

اختلافات الصيف والشتاء وفي الحرارة الباطنية للأرض وبرودتها

عندما ترتفع الشمس في فصل الصيف، إلى الأثير النوراني تلتهب كرته فيسخن الأرض كلها كتنور من نار، حينئذ يأمر الله الريح التي تحت ذلك البحر السفلي، لأنه كما يقول المؤرخون أنه يوجد بحر تحت الأرض، ومن تحته هواء الريّاح وتحتها نار مستعرة، وتحت ذلك لغز من الله الذي به يثبت العالم. وعليه قالوا أن الله يأمر تلك الرياح فتهب للارتفاع بشدة فتنقص حرارة تلك النار السفلى وتجتاز صاعدة في مياه البحر السفلي فتبردها، وترتفع تلك البرودة وتصعد من الأرض وتمر في عروق الأشجار والنباتات، وفي مسالك الصخور فيبرد تراب الأرض لكي لا تهلك الشمس بحرارتها الأرض والبشر الذين عليها وتحترق الأشجار وتتعذب الخليقة كلها.

أما سطح الأرض فهو مصنوع كإسفنج، ومن الداخل كقناة، الأغوار للرياح، ومجاري المياه لخدمة الحرارة والبرودة، ويستدل على ذلك من تراب الأرض، فكلما حفر فيه إنسان وعمّق كان أكثر برودة،

وكذلك الحيوانات عندما تتضايق في الصيف بسبب العطش، فإنها تحفر وتعمق وتربض وتحصل على راحة وسكينة، وكذلك يفعل الناس القاطنون في البلدان الجنوبية، حيث يجعلون لهم مساكن في التراب.

في فصل الشتاء تنحو كرة الشمس نحو الجنوب، فتبتعد حرارتها عن الشمال، وتشتد الرياح الباردة، وحيث أن كرة الشمس تبتعد عن حرارة نار الأثير العلوي، فلا تستطيع الشمس أن تسخن البرودة الناجمة عن رياح الثلج والجليد، ولكي لا تفني تلك البرودة البشر الذين على الأرض وكل ما عليها، تسكن هذه الرياح السفلية، ويأمر الله فتستعر النار التي تحتها، فترتفع تلك الحرارة وتصعد في قنوات وشقوق الأرض، وتجتاز في عروق الأشجار، فتذوب برودة المياه ويصعد من داخلها دخان الحرارة، وتنتشر تلك الحرارة المرتفعة من الأسفل فتسخّن شدّة البرودة، لذلك عندما تحفر الحيوانات في تراب الأرض السفلي وتربض في حرارته تجد راحة، وكذلك الطيور فإنها تستتر في الليالي فوق مياه الأنهار والينابيع.

الفصل التاسع عشر

السحب والأمطار

قال الفيلسوف أرسطوطاليس وفلاسفة آخرون، أن الشمس تتحرك على الدوام وتجري وتدور على البحار ومجمعا المياه والمستنقعات والأنهار وعلى الأرض أيضاً فتعرج وتسخنها وتحميها جميعاً، فيتصاعد منها بخاران، بخار يابس وآخر رطب، ولما تصل إلى الأعلى تلاقيها البرودة القاسية، إذ تكون الشمس بعيدة فتتكاثف وتتلبد. فمن البخار اليابس تتكون السحب، أما الرطب فتتكون منه الأمطار داخل السحب.

وقال آخرون : أن الشمس في فصل الشتاء تنزل إلى البلدان الجنوبية والسفلى فتسخن المياه التي بداخل الأرض وتغليها، فيتصاعد منها بخار اكتسب نوعين من الجزيئات، جزيئات كثيفة وجزيئات خفيفة، فتهب عليها ريح قاسية فتتكاثف وتتلبّد، ومن الجزيئات الكثيفة تتكون السحب، ومن الخفيفة تتكون الأمطار.

قال مار يعقوب الرهاوي : أن الهواء الذي في الطبقة الوسطى مائي ورطب، وبما أنه مخلوط وممزوج بطبيعة الماء، تساقط من ذلك الهواء قطرات ماء وسيول، وتهب عليها رياح شرقية وجنوبية فتتكاثف وتتجمّد وتتلبّد وتتكون منها السحب، وإذا ما عصرت كالإسفنج يتكون منها مطر ورذاذ وطلٌّ وما يشبه ذلك.

ولدى تساقط المطر من السحب يتجزأ إلى قطرات حيث ينزل أمطاراً غزيرة ومتواصلة فيلامسها الهواء حالاً، ومن خاصية الماء أن ينجذب وينزل إلى الأسفل، في حين أن خاصية الهواء أن ينجذب ويصعد إلى الأعلى، وعندما يلامس الماء النازل الهواء الصاعد، يحاول الماء أن يسحب الهواء معه إلى الأسفل بحسب طبيعته، بينما الهواء لا ينقاد له بالنزول معه لأنه ينجذب ويصعد بحسب طبيعته، وعليه يستقر الهواء داخل الماء النازل فيقطعه مجزءا اياه هنا وهناك حتى تتكون منه قطرات كبيرة لا تحصى، ومع ذلك يجب أن نعرف ان السحب تتكون أحيانا بأمر الله من الأبخرة القريبة والسفلى الصاعدة من البحار، ومن هذه البحار تمتليء بالمياه ويكون فيها ما يشبه الضفادع والسرطانات فتصعد إلى الأعلى وتحلق في الهواء، فتصب أمطارا وضفادع وسرطانات على البلدان التي يأمرها خالقها، فالذين يسكنون بالقرب من البحار يرون في بعض الأحيان سحباً آتية من جهة البحر فتصب عليهم أمطارا غزيرة مصحوبة بضفادع وسرطانات.

أما علة ألوان السحب فهي الحرارة. فعندما يكون تأثيرها كبيراً تكون السحب سوداء، وأما إذا كان تأثيرها قليلاً فتكون بيضاء، أما إذا كان تأثيرها بسيطاً فتبدو حمراء وصفراء وألوان مختلفة.

وقال آخرون أن ألوان السحب سببها الماء ونور الشمس، لأن السحب عندما تكون خالية من الماء يخترقها نور الشمس دون عائق فتبدو بيضاء، أما إذا كانت ممتلئة بمياه كثيرة ورطوبة فتعيق نور الشمس فلا يخترقها، ولذلك تبدو سوداء، كإسفنج البحر عندما يكون فارغاً من الماء يميل إلى البياض، وعندما يكون ممتلئاً يميل إلى السواد.

تبدو السحب حمراء عندما تقع في الجهة الغربية والشمس تجاهها في الجهة الشرقية فتنعكس أشعتها تجاهها وتسقط عليها فتبدو حمراء، وكذلك عندما تقع الشمس في الجهة الغربية وتكون السحب في الجهة الشرقية تجاهها تبدو حمراء أيضاً، هكذا بدت تلك المياه للآدوميين حمراء فظنوا أنها دماً، وذلك لسقوط أشعة الشمس عليها من أمام جهة واحدة، ولكن عندما تقوم الشمس فوق السحب في وسط السماء فلا تكون السحب حمراء لأن أشعة الشمس ليست واقعة قبالتها من إحدى الجهات بل فوقها.

وتبدّد السحب عندما تهب عليها رياح شمالية، أو عندما تخلو من الأمطار التي فيها فتتلاشى شيئاً فشيئاً، ويبتلعا الهواء وكأنها لم تكن.

ونقول أيضاً إن تكوّن السحب وزوالها كيفما كان وأينما كان يتم بإشارة الخالق وأمره الإلهي.

الفصل العشرون

الندى والثلج والجليد والبَرَد

يتكون **الندى:** من الأبخرة الرطبة الصاعدة من الأرض والمياه، وتتكاثف بسبب البرودة عندما لا تكون في السحب، ثم تعود إلى الأرض كما قال أرسطوطاليس ورفاقه، أو من الذوبان والجريان النازل من ذلك الهواء المائي فيتكاثف بالبرودة التي تسبب في نزوله على الأرض كما يقول يعقوب الرهاوي، وبما أن برودة الهواء تزداد في الشتاء أكثر من الربيع وفي الليل أكثر من النهار، لهذا ينزل الندى في الشتاء أكثر من الربيع وفي الليل أكثر من النهار، ونظراً لأن كثافته أكثر ضعفاً فلا تتكون قطرات كبيرة كالمطر بل صغيرة لا يحسّ بها.

أما **الثلج** : فهو أبخرة تتصاعد من الأرض والمياه وتكون المياه في السحب وتلامسها برودة زائدة وكثيرة فتكاثف وتتلبد وتبلور داخل السحب، فتصير ثلجاً، وذلك واضح من الماء الذي عندنا على الأرض، فعندما تلامسه البرودة الزائدة يتبلور ويصير ثلجا، ويكون (لون) الثلج أبيض بفضل الهواء المحبوس في داخله، فالأجسام عندنا إذا ما إنحبس فيها هواء كثير تبدو بيضاء أيضا، كالرغوة والزيت الذي يُخضُّ بالماء. ويتضح حبس الماء فيه من نقص كميته لدى عصره باليد، ومن نقص كمية الماء لدى ذوبانه، ولا يسقط بشكل دائري أي مستدير كالبرد، لأنه قليل ومفكك الأجزاء، ولدى سقوطه يتغلغل الهواء في أجزائه ويحمله.

والجليد : هو الأبخرة الصاعدة من الأرض تصادفها برودة شديدة فتتكاثف وتتبلور ثم تعيدها إلى الأرض صقيعا وهو الندى وقد جمد نصفه.

أما البَرَد : فهو الأبخرة الصاعدة من الأرض والمياه، وتكون المياه في السحب، فتلامسها البرودة الشديدة والقوية فتتكاثف وتتبلور وتتصلب وتصير بَرَداً. لا يكون البَرَد في فصل الشتاء ولا في المكان البارد بل في فصل الربيع والخريف وفي الأمكنة الحارة لأنه يتبلور ويتصلب داخل السحب بسبب مقاومة وتناقض برودته وحرارته، حرارة الأبخرة المتواجدة داخل السحب وبرودة الهواء، وعليه لا يكون (البَرَد) في الفصل الشتوي وفي المكان البارد حيث لا توجد حرارة الأبخرة التي في داخل السحب، ولكن البَرَد يكون في فصل الربيع والخريف وفي المكان الحار، لأن الحرارة تكون موجودة في الأبخرة التي داخل السحب وذلك لقرب الشمس.

إما أن تكون بعض أجزائه صغيرة ومستديرة، وبعضها كبيرة ومختلفة الأشكال، فسببه هو : أن السحب إذا كانت عالية وبعيدة عن الأرض تكون الأجزاء صغيرة لأنها تذوب تدريجياً لبعد المسافة، أما إذا كانت السحب واطئة، فتكون جزيئاتها كبيرة ومختلفة الأشكال نظراً لقصر المسافة.

وتكون مستديرة لأنها تكون في الهواء بشكل دائري ومستدير، وتكون دائرية وملساء، لأن الهواء يخرق زواياها، وكذلك لبعد المسافة لدى نزولها في الهواء.

الفصل الحادي والعشرون

الـرعـود والـبـروق

يحدث الرعد للأسباب الآتية :

أولاً : متى دخلت الريح السحابة وانحبست داخلها، تندفع للخروج بحسب طبيعتها الخفيفة فتشقها وتمزقها فيحدث الرعد، كالنفاخة متى نفخت وانفجرت أحدثت دويّا قويا، وكالزق الذي نصفه ماء ونصفه هواء، فيمتلىء وينحصر الهواء ويندفع ليشق الزق ويمزقه ويفجره، فيحدث صوتا قويا بسبب الهواء المندفع منه.

ثانياً : عندما تلامس وتصطدم سحابتان كثيفتان ببعضهما تولدان صوت الرعد، كحجري الرحى العلوي والسفلي متى لامسا بعضهما يولدان صوتا كالرعد، واليدان عندما تصفقان تحدثان صوتا قويا.

ثالثاً : وعندما تسري النار داخل سحابة ممتلئة بالماء تخمدها السحابة فوراً، فتعطي صوت الرعد، كما أن الصائغ عندما يطرح الحديد الحار في الماء يحدث صوتا.

رابعاً : عندما تدخل ريح شديدة داخل سحابة مجوفة وملتوية فتدور وتتكاثف وتدوي في وسطها فتعطي صوت الرعد.

خامساً : عندما تلامس الريح سحابة كثيفة وجليدية، وتصدمها تصدر صوت الرعد، وهنا أيضا عندما تصطدم الريح بالقرطاس أو تخترقه وتدور فيه، تحدث صوتا قويا.

سادساً :وقالوا أيضاً أن نوعين من البخار يصعدان من الأرض والماء، واحد يابس تتكون منه السحب، وآخر رطب تتكون منه الأمطار، فمتى تكونت سحابة من ذلك البخار اليابس وكان في داخلها ماء المطر من ذلك الرطب، ووجد في داخلها أيضاً بخار حار ورطب، تصارع هذا البخار وتنازع داخل السحابة بحيث يمزقها ويخرج منها، ومتى صدعها وخرج يحدث صوتاً قوياً يسمى الرعد.

وتحدث البروق أيضاً من هذه الأسباب لأن البرق يبرق مع الرعد أيضاً (في آن واحد) :

أولاً : عندما تدخل الريح أو بخار يابس وحار داخل السحابة، يتصارعان لتمزيقها لكي يخرجا فيمزقاها للحال، فيحدث دويّ قوي وتقدح النار حالاً، فالصوت هو الرعد، والنار هي البرق.

ثانياً : عندما تصطدم سحابتان ببعضهما يحدث دويّ قوي وتقدح النار، فذلك الصوت هو الرعد، والقدح هو البرق، كما تقدح نار عند اصطدام (ملامسة) الصوان والحديد ببعضهما.

ثالثاً : وعندما تسري نار داخل المياه التي في السحب يحدث صوت وتقدح النار.

قال بعض ملافنة الكنيسة، أن الله خلق الرعود والبروق لتأديب الأشرار والأثمة كما قال داود : " **أرعَدَ الربُّ من السموات والعَليّ أعطى صَوتَهُ** " (١) و " **صَوتُ رَعدِكَ في الزوبعة** " (٢)، و " **أَبرِق بروقَكَ وبَدِّدْهُم** " (٣).

١- مزمور ١٨: ١٣ ٢- مزمور ٧٧: ١٨ ٣- مزمور ١٤٤: ٥

أما نحن فنقول : سواء أكانت العلل الطبيعية هي التي تسبب الرعود والبروق، أو إشارة الرب لتأديب الأشرار والمنافقين، فإن جميعها تحدث بفضل العناية الإلهية كيفما كانت.

أما الرعود التي تسمع دون مصاحبة البروق، فإما لأن النار لا تكون محصورة في السحب، أو لأن النار قليلة لا تكفي لتوليد البرق، أو أن النار كثيرة ولكون السحابة سميكة جداً بحيث لا تتمكن أن تولد برقا بل رعداً فقط.

أما حدوث البروق دون رعود. فإما لأن تصادم السحب يكون هادئاً بحيث تفلت النار فيظهر البرق، أما الصوت فيحبس ولا يكون رعد، أو لكون السحب متفرقة وغير متراصة بحيث أن النار التي في داخلها تولد برقاً بينما لا يكون هناك صوت.

الفصل الثاني والعشرون

العسل والمن النازلين من فوق

تتصاعد في فصل الربيع من نباتات الأغراس العطرية ومن الأشجار حلوة المذاق ومن الأزهار والورود والزروع والأعشاب الذكية الرائحة : روائح ما وأبخرة، فتتكاثف في الهواء وتتضج فيه أكثر. كما تتصاعد من هذه الثمار اللذيذة التي نضجت بسبب الشمس أبخرة وروائح في فصلي الخريف والصيف، فتتكاثف في الهواء وتتضج فيه بتأثير الحرارة المخزونة فيه، فتنزل حالا كأنداء لينة من نوع العسل والمن الأبيض (اللون) الذي يستقر على أوراق الأشجار، كذلك المن الذي أنزله

الله على بني إسرائيل في البرية [1]، أما العسل فيجمعه النحل، بينما الناس يلتقطون المن.

الفصل الثالث والعشرون

ماهية الريح

يقول بعضهم : أن الريح هي بخار مركب من بخار خفيف، ومن بخار ثخين، إلاّ أن البخار الخفيف يتغلب في تركيبه.

يقول أرسطو في كتابه الآثار العلوية : " أن الريح بخار يابس يصعد من الأرض "، بينما موسى بن كيفا ܡܘܫܐ ܒܪ ܟܐܦܐ وغيره من ملافنتنا يقولون : " أن الريح هي حركة الهواء من مكان إلى آخر ".

أما سبب حركتها فهي كما قال أرسطو : " بسبب تصاعد البخار اليابس لأن الريح تهب عند صعوده، بينما لا تهب عندما لا يتصاعد ".

وقال آخرون : أن الهواء هو الذي يحرك الريح فتهب، لأن الهواء إذا تكاثف في إحدى الجهات، فإنه يجري من هناك إلى الجهة الأخرى جالباً معه الريح الهابّة، لأن الريح هي غير الهواء كقولهم.

١- انظر سفر الخروج ١٦: ١٣ - ٣٦

وقال آخرون أيضا : أن الحرارة والبرودة تتصارعان مع بعضهما كثيرا، فعندما تفوق وتتغلب إحداهما تدفع الهواء وتحركه.

أما موسى بن كيفا (ابن الحجر) ومن يسلّم بذلك فيقولون : أن الهواء خفيف بطبعه، ويتحرك بصورة طبيعية، فتهب الريح عند تحركه، لأنهم يقولون، أن الريح هي حركة الهواء.

ويتضح ذلك من مفتاح الصاغة [1] الذي عندما يفتحه أولاد الصاغة ويرفعونه يمتلئ بالهواء، وعندما يضغطون عليه بأيديهم يتحرك الهواء الذي في داخله فتخرج منه ريحا تهيّج النار القريبة فتتّقد.

وعندما توضع أخشاب رطبة على النار وتتصارع حرارة النار مع البرودة والرطوبة التي في الأخشاب، يتحرك الهواء الذي في داخل الأخشاب ويخرج من أطرافها ويسمع صوت الريح الخارجة منها.

وعندما تزداد الحرارة صيفا نأخذ (نستعمل) المراوح وندفع الهواء المتحرك فتهب ريح وترطّب الحر.

قال داود النبي : " **الله يَهُبُّ بريحِهِ فَتَسيلُ المياه** " [2] و " **المخرِجُ الريح من خزائنه** " [3]. نقول : وإن كانت الريح هي حركة الهواء، إلاّ أن الله هو الذي يثيرها لأنه خالقها.

١- وردت حرفياً في النص السرياني " اما " بمعنى الزق.

٢- مزمور ١٤٧: ١٨

٣- مزمور ١٣٥: ٧

الفصل الرابع والعشرون

العواصف والأعاصير

تحدث **العاصفة** عندما تتحرك الريح إلى أحد الجوانب فتصادفها أخرى وتصدها وتعيدها إلى الوراء، ومتى انحصرت من جميع الجوانب ودفعتها رياح أخرى مضادة لها، فإنها تدور وتلتف، ومتى انحصرت من جميع الجوانب تسقط من الأعلى إلى الموضع السفلي، وأن حدة الحركة العارضة للريح من فوق، تعطيها سرعة فائقة لدى نزولها، ولهذا تهب بقوة وتمر خاطفة وكأنها تبغي أن تزعزع الجبال والبيوت.

أما **الأعاصير** فتحدث هكذا :

عندما يسقط المطر في الشتاء ويتغلغل داخل الأرض، يدخل معه هواء خفيف فيصير بارداً لبرودة الأرض ورطباً بسبب ما يصطحبه. وعليه يستقر في داخل الأرض، الشتاء كله، ويتحرك في أيام الصيف ويرتفع، فيلاقيه هواء حار، وإذا ما هَبَّ نحو الشرق حصره الهواء الحار، وإذا ما هبَّ نحو الغرب حصرهُ وأعاده أيضاً، وهكذا الأمر إذا ما هبَّ نحو الجنوب والشمال، وإذ ينحصر من جميع الجوانب، يحدث حركة دائرية حالاً، ويثب صاعداً نحو الأعلى حاملاً معه غباراً وتراباً وهشيماً ناعماً ويابساً.

وتحدث الأعاصير في الصيف، حيث تحدث في الأرض شقوق واسعة وفوهات مفتوحة، وتخرج تلك الرياح من داخلها فترتفع وتسبب الأعاصير.

أما في الشتاء فلا تكون على سطح الأرض شقوق وفوهات، بل يكون سطحها أملس ومسدودا، فلا تتمكن الرياح من الخروج منها، ولا تحدث في السهول لأن فيها شقوق وتصدعات وفوهات مفتوحة.

الفصل الخامس والعشرون

الزلازل والهزّات والرجّات التي تحدث في الأرض

قال بعضهم، يوجد في الأرض تجويف كبير وواسع جدا، كالمغاور والشقوق والحفر، وعندما تجف الأرض التي فوقها وتتجزأ، أو تترطب بالماء وتذوب، تسقط داخل ذلك التجويف، فتحدث فيها هزّة وزلزلة، مثل كومة من الجارة، إذا ما سقط (حجر) واحد منها فإنها تتداعى جميعاً وتسقط وتحدث هزّة وصوتاً.

وقال آخرون : أن الأرض باردة ويابسة ومتراصة، والهواء حار ورطب ومنتشر (في كل مكان)، ولذلك فهو عكسها تماماً، وتوجد في الأرض تجاويف كبيرة مملوءة بالهواء الذي يتصارع للخروج والصعود إلى الأعلى، وعندما يثب ويرتفع يحدث في الأرض اهتزازاً وحركة وزلزلة وصوتاً، كالفحم الموضوع على النار، فإن الهواء يثب من داخله ويدفع أمامه الأجزاء الصغيرة أيضا. وكذلك عندما نضع أخشابا رطبة على النار، فإن الهواء يخرج من خلالها مصدرا صوتا وكذلك عندما نضع قدراً مملوءا بالماء على النار ونغطيه بغطاء قوي، ونوقد (النار) تحته بشدة، فإن الهواء يدفع الغطاء ويرميه بعيدا عن فم القدر.

قال آخرون : أن نوعين من الأبخرة يتصاعدان من الأرض بفعل الشمس، واحد يابس والآخر رطب الذي تتكون منه الأمطار والانداء كما بيّنا. أما اليابس فهو مادة الرياح والسحب.

قلنا : أنه يتولد من الأرض على نحوين، أحدهما يتولد من سطح الأرض ويرتفع إلى الأعلى، والآخر يتولد من باطنها، فعندما يتحرك للخروج بحكم طبيعته نحو الأعلى، ويصادف أرضاً رخوة، يخرج دون أن يحدث هزة أو زلزلة، أما إذا صادف أرضاً صلبة تعيقه عن الخروج، فيتحرك حركة قاسية داخل الأرض محدثاً فيها هزة ورجّة وزلزلة.

ويقول بعض من ملافنة الكنيسة، أن الله الخالق يصنع الهزات والزلازل إذا ما شاء أن يخيف الأشرار والأثمة كما قال المرتل :

" **النّاظِرُ إلى الأرضِ فتَرتَعِدُ. يَمَسُّ الجبالَ فتُدَخِّنُ** "... الخ

الفصل السادس والعشرون

القوس الذي يحدث في السحاب

يحدث القوس في السحب على النحو التالي :

عندما ينزل المطر ويتوقف ويبدأ الصحو، تبقى في الهواء رطوبة خفيفة وشفافة، ورطوبة أخرى ثخينة وكثيفة، حينئذٍ تشرق أشعة الشمس وتسقط على تلك الرطوبة الخفيفة والصافية والشفافة، ثم تنعكس على الرطوبة الكثيفة والمتلبدة فتراءى لنا في الهواء ثلاثة ألوان، كأشعة الشمس

الساقطة على الهواء والماء، ثم تنعكس ساقطة على الجدار (حيث يرى فيها ثلاثة ألوان) أي أحمر وأخضر وأصفر، ويكون حدوثها بسبب الشمس، فمتى صادفت مقاومتها المادة المضادة لها تعطيها لونها أولا أي الأحمر، مثلما تحمر أولا ألوان الذين يقفون قبالة الشمس، فإذا احترقوا كان لونهم أسود، والأخشاب أيضا عندما ترمى في النار تحمر في البداية وتسوّد بعد أن تحترق.

وقالوا أيضاً أنه بسبب تلك الرطوبة تكاثفت جزيئاتها والتحمت ببعضها فأصبح لونها أخضر.

ويحدث اللون الأصفر أي الكركمي من تركيب اللون الأحمر الذي في الرطوبة والأبيض الذي في الشمس.

ويحدث القوس في السحب هكذا، عندما تخترق أشعة الشمس الهواء الرطب تحت السحابة التي تسبب في نزول المطر وتستقر على سحابة أخرى يكتمل هذا القوس الدائري والمستدير، فالمناطق الحمراء والنيّرة والخضراء هي علامة النار والماء والهواء الذي فيه يتم ذلك.

وتكون نصف دائرة لأن الشمس عندما تكون واقعة على الأفق الآخر الذي يواجهها فإن وسط تلك الدائرة المتكون من الأشعة على الأفق المقابل يكون بصورة مستقيمة، ولذلك فإن نصف الدائرة المتكون من الأشعة يكون أفق الأرض نحو الأعلى، ويبدو نصف دائرة لأولئك الذين يواجهونه في وسط الجبل شبه القوس.

الفصل السابع والعشرون

الهالة التي تُرى حول الشمس والقمر والكواكب الساطعة

إذا ما كثرت الرطوبة والكثافة في الهواء، فإن أشعة الشمس والقمر تخترقها وتمر فيها وتصل إلينا، فيتراءى لنا حواليها هالة دائرية ومستديرة كالتي تحدث عندما نرمي حجراً في الماء، أو كتلك التي تبدو لنا عندما يمتلئ البيت دخاناً، فنضع سراجاً في إحدى جهاته ثم نقف إزاءه في الجهة الثانية، فنبصرها.

الفصل الثامن والعشرون

العاصفة المسماة إعصاراً التي تنزل من السماء إلى البحر فتقذف بالسفن وترفعها، وتبدو كعمود من هواء

يحدث هذا العمود الهوائي أي العاصفة من السحابة المجوفة القائمة باتجاه الريح، فعندما تدفعها الريح تمتد حتى البحر فتصدم، السفن وتصعدها نحو الأعلى، لأن هذه الريح عندما تصطدم بشيء ما تحدث انعطافاً اضطرارياً وبانعطافها تدفع الهواء، وإذ يدفع الهواء بحيث لا يبقى مكان فارغ فإنه يرفع السفن كما يرفع الماء أيضاً أثناء رفعه السفن نحو الأعلى، فإذا ما هدأ الريح شيئاً فشيئاً وانخفضت حدته وتوقف، فإنه لا يضر السفن، أما إذا توقف فجأة لأي سبب كان، فإنه يسبب في تلف السفن.

الفصل التاسع والعشرون

الصاعقة التي تتولد من السحب فتحرق جميع الأجسام الساقطة عليها

الصاعقة [1] هي نار أو ريح نارية، إلاّ أنها ليست كالنار التي نعرفها، وتحدث بفعل ثلاثة أمور، إما من النار التي تتحبس في السحب فتتحصر ثم تنطلق فجأة، وتسقط فتحرق الذي تسقط عليه. أو عندما تتحبس الريح في السحب وتتحصر وتنطلق فجأة وتنزل في الهواء، وبنزولها الصاعق المفاجيء تلتهب فتحرق ما تسقط عليه، كالرصاص عندما يرمى في مقلاع، فنتيجة لاحتكاكه مع الأثير، يحمى وينير ويلتهب ويذوب. أو من سحب كثيرة تتجمع فتكوّن سحابة واحدة كبيرة وتنتج منها هذه الصاعقة، وتحدث في فصل الربيع لكثرة السحب والرياح والنار، لأنه فصل يتوسط ما بين الصيف والشتاء.

١- ܩܪܘܢܘܣ Keraunos كلمة يونانية تعني الصاعقة وقد أورد المؤلف مرادفها بالسريانية ܚܡܕܐ.

الفصل الثلاثون

الشهب والكواكب المذنبة والأعمدة التي ترى في الجو وغيرها

يقول بعض الفلاسفة، أن أبخرة يابسة وحارة تتصاعد من الأرض ومن البحار بفعل حرارة الشمس، وتصل إلى الهواء النوراني فتستنير وتلتهب، وإذا كان لها طول وعرض فإنها تبدو كأعمدة من النار، أما إذا لم يكن فيها طول وعرض أو كان قصيراً، وكانت جزيئاتها متفرقة، فإنها تبدو كالسرج والكواكب المذنبة. وإذا كانت جزيئاتها متصلة ببعضها فتبدو كالشهب المرسلة إلى هنا وهناك.

وقال آخرون : أنها أبخرة رطبة تتصاعد من الماء ومن الأماكن الرطبة بفضل حرارة الشمس، وعندما تصل إلى الأثير النوراني تكون شهباً مضيئة وكواكب منقضّة فترسل إلى هنا وهناك، كلهيب النار عندما تدنو منه الرطوبة فيحدث حركة إلى هنا وهناك ويعطي صوتاً.

وآخرون قالوا : أنها رمال يابسة وخفيفة تتصاعد من الأرض فتصل إلى الهواء الحار والنوراني فتلتهب وتضيء وتكون شهباً ترسل إلى هنا وهناك، كالمادة اليابسة عندما تُقرَّب من النار، تنبعث منها ألسنة نارية. أما الحمرة التي تبدو أحياناً في الهواء في أيام الصحو فسببها هو تراص وتكاثف جزيئات الهواء، ولدى شروق الشمس على أمكنة من الأرض أو على الماء في بعض الأماكن، تنعكس أشعتها فتسقط على ذلك الهواء الكثيف فيتأثر بها ويبدو أحمر أو أخضر.

قال بعض من ملافنة الكنيسة أن هذه جميعها تحدث بأمر الله عندما يشاء، كأحكامه التي لا تدرك. ويتضح ذلك من الحيوانات التي أبصرها حزقيال النبي وهي تركض بسرعة كمنظر البرق [1]، ومن الأحاديث أحياناً.

الفصل الحادي والثلاثون

اختلافات جنس الحيوانات بأنواعه الثلاثة

إن أنواع الحيوانات هي ثلاثة : أعني **الحيوانات والحيوانات النباتية والنباتات**.

ـ **فالحيوانات** تنقسم إلى ثلاثة أجناس أخرى : **برية، جوية، بحرية**. ـ و**الحيوانات البرية** أنواع مختلفة، كالإنسان والثور والحصان والخ.

ـ و**الجوية** هي الأخرى أنواع كالنسر والعقاب والعصفور والخ.

ـ و**البحرية** كالأسماك والسراطين والسلّوريات.

ـ و**النباتات** أيضاً هي أنواع، **الأشجار والشجيرات والأعشاب**.

ـ و**الحيوانات النباتية** أنواع أيضا كالاسفنجيات والحلزونيات وغيرها.

نتكلم الآن عن علة وعناصر نشوء الأنواع الثلاثة المختلفة لجنس الحيوانات :

١- حزقيال ١: ١٤

ـ فالحيوانات البرية يغلب فيها أثناء تركيبها من التراب والماء والهواء والنار العنصر الترابي أكثر من الناري والهوائي والمائي، مقارنة بالحيوانات الجوية والبحرية، ولهذا السبب استقرت في الأرض لا في الماء أو الهواء نظراً للتغلب الحاصل والأكثر بطئاً في الحركة، فخشن اعتدالها أكثر من الجوية والبحرية، وفي هذا التركيب أيضاً تغلبت المائية في البحريات أكثر من الجوية والبرية، فصار مقرها وسكناها في الماء، ولهذا السبب صار مزاجها متحللاً ورطباً ومائياً.

ـ أما الجوية فقد تغلبت فيها قوة الهواء أكثر من العنصر المائي والترابي، لذلك صار مقرها الهواء، فيه تحلق وتطير.

ـ ولِمَ هذا السبب ؟

نقول : لقد صار لكل واحد من العناصر خاصية الحركة منذ الوهلة الأولى، وحركة عامة بالنسبة إلى تركيب الحيوانات، وكل منها بحسب خاصية طبيعته وحركتها جذب إليه ما هو شبيه به، فسبّب تقسيماً.

فتغلب التراب بفضل خاصية الحركة مع تلك الحركة العامة وأعني بالحركة العامة تحرك العناصر مجتمعة لإنجاز جميع الأجناس والأنواع، إذ لا يوجد أي منها محروماً من أربعتها ولا خاصية التغلب لكل منها في ما يخص الأجناس والأنواع، فكانت النباتات، ولهذا السبب فإنها أكثر ترابية وثابتة في الأرض.

هكذا أعطى للطيور هواء أكثر شدة، وللأسماك ماء أكثر مائية، ولدى مقارنة الحيوانات البرية بمثل هذا التفاوت بين الطرفين، وبحركة التركيب الخاص للتراب، نرى أن الجزء الذي كان أكثر يبوسة أنتج

أشجاراً، والأكثر رطوبة أنتج بقولا وبذوراً، وما كان وسطا ما بين اليبوسة والرطوبة تكونت منه الشجيرات أي ما كان بين البذور والأشجار، كالخردل وغيره.

وبهذه الصورة أيضاً انقسمت الحيوانات النباتية إلى ثلاثة أنواع. وينبغي أن نعرف أن الحيوانات النباتية، وهي الاسفنجيات والحلزونيات والصدفيات وغيرها على شاكلتها كثير، تلك التي تنبت وتنمو في الصخور داخل مياه البحار. أنها تكونت وتركبت من كلا الأمرين الإلهيين، من قوله: "**لِتـُنبِتَ الأرضَ عُشباً** "[1]، ومن قوله : "**لِتـَفِضِ المياهُ نَفسٍ حَيَّةٍ** "[2]، لأن التراب الذي على الصخور محصور مع مياه البحر، وقد خضع تراب الأرض لأمري الله، فلما أُمر التراب أن يخرج عشباً، وأُمر الماء أن يخرج أنفس حية وحساسة، فقد اُجبر وخضع لكلا الأمرين وأخرج طبيعة ما ممتزجة وعجيبة، إذ منحها الله أن تخرج نبتاً كالعشب من التراب، في حين أنَّ أصله تشبَّث في الصخور داخل المياه كالنبات، فهو يمتلك إحساسا وحياة منحت له من قبل طبيعة المياه التي أُمرت فأخرجت أنفس حية.

وإذا كان لهذا التراب الممزوج إحساس، وَجَبَ أن يسمى حيوانا، وبما أن جذره يتغلغل بالتراب ولا يتحرك من موضعه استوجب أن يدعى نباتا. ومن حيث امتزاج وتركيب كلا الطبيعتين تمت تسميته الحيوان النباتي من قبل ذوي الاختصاص ومستنبطي الأسماء والكتّاب اليونان.

١- تكوين ١: ١١

٢- تكوين ١: ٢٠

الفصل الثاني والثلاثون

خلق الإنسان

بعد أن خلق الله هذا العالم المحسوس وزيّنه بجميع خصائصه وأقامه وأعدّه كقصر الملك والخدر، يخلق الإنسان ويضعه في داخله كالملك والعريس، وبما أن هذا العالم وكل ما فيه خلق من أجل الإنسان كان ينبغي أن تخلق تلك التي وجدت من أجل كرامته وحاجته أولاً، ومن ثم هو، إذ لم يحصل أن توجد الحاجات قبل محتاجها، بينما تجري الترتيبات قبل المدعين، وحينئذٍ يدخل العريس بعد أن أُعِدَّ الخدر، ويأتي الملك بعد أن شيّد قصر المملكة، وبعد الأفراح يدنو الذي فَرَح، كما أنه خلقه على هيئة خاصة لكي لا يتوهم أن المخلوقات ملك له، وخلق الله طبيعتين هامتين، الأولى محسوسة والأخرى عقلية، وخلق الإنسان بعدهما وركّبه من المحسوسة والعقلية، لكي من خلال تركيبه يفهم الذين ينظرون إليه أن هنالك خالقاً واحداً لكلا العقليين والمحسوسين، إذ خلقه وركّبه من الطبيعتين السابقتين له، فبنفسه يتحد مع العقليين، وبجسده مع المحسوسين.

لقد نطق الروح القدس بفم الطوباوي موسى : " **أن الله خلق آدم على صورته وشبهه** " [1]، فكان الإنسان إذن على صورة الله وشبهه، لأنه رئيس ومتسلط على كل ما في الأرض، وله حرية وسلطة ذاتية، كما أن له قواماً معتدلاً مستقيماً ينظر إلى الأعلى كما كان عتيداً أن يظهر فيه ابن الله، وغيرها من الصفات.

وقد يتساءل البعض، لماذا خلق الله الإنسان ؟

١- تكوين ١: ٢٦

نقول : أن الله صالح وعليم بكل شيء قبل أن يكون، أبدع القوات السماوية أولاً، وكان هذا الفكر عملاً، وكما قال أيوب العظيم :
" **عندما خلقت كواكب الصبح هتف بنو الله** " [١].

ولما رأى الشيطان صلاح الله، وأنه أولده من طبيعة غير مائتة، استعلى وتمرّد، فزلّ وسقط بإرادته وحريته من الخدمة الإلهية ونزل من السموات العالية مع جميع أجناده، حتى هتف جبرائيل : **الأقداس للقديسين**. ومن ثم خلق الله الإنسان وصنعه على صورته وشبهه وأمره أن يحفظ ونسله النواميس والوصايا التي سنّها له، وإذا ما حافظ عليها فإنه يرث مكان ذاك الذي سقط.

قال القديس الثاولوغس : " من اللائق أن يمتليء العالم العلوي "، وقال القديس مار اياونيس : " لا تكون نهاية حتى يكتمل الأبرار من جنس البشر بحسب عدد الشياطين الذين سقطوا من الماء ". ولهذا يعمل الأبالسة دائماً في نشر الشرور ليوقعوا بني البشر. لكي لا تأتي النهاية، فيتعذبوا. وقد أخفى المسيح سر النهاية عن الرسل بسبب الشياطين.

وقد يتساءل أيضاً : هل أن آدم خلق مائتاً بطبعه أم غير مائت ؟

يقول البعض، أنه خلق مائتا بطبعه، وآخرون يقولون، أنه غير مائت، لأنه تلقى القصاص الذي أصابه بسبب خطيئته، كما قيل له : " يوم تأكل من الشجرة تموت " [٢]، وقال آخرون، خلق مائتا وغير مائت، مائتا بجسده، وغير مائت بنفسه، وقال آخرون، أنه خلق لا مائتا ولا غير مائت بل وضع وسط حدّي الموت وعدم الموت، لأنه إذا ما انقاد للحياة الجسدية يكون مائتاً، أما إذا لازم جمال نفسه فيكون غير مائت.

١- أيوب ٣٨: ٦ ٢- تكوين ٢ : ١٧

يقول مار اياونيس في ميمره إلى سطيغريا الراهب وفي مواضع أخرى، وكذلك أثناسيوس في ميمره عن الظهور بالجسد، وكيرلس وفيلكسينوس وموسى بن كيفا : " أن آدم خلق مائتاً بطبعه ".

ويتضح ذلك من المادة التي خلق منها أي التراب، ومن تركيب وشكل الذكر والأنثى، ومن الأعضاء التي تصلح للأكل وللتناول، والأعضاء التي تحوي الطعام وتفرغه، ومن المخلوقات التي خلقت من أجله، الأرض والجَلَد والنيرات والأسماك والطيور والبهائم والحيوانات، منها ما هو لخدمته ومنها لغذائه. ويعرف أيضاً من الناموس الذي وضع له بينما لم يوضع ناموس لغير المائت إذا ما أكل أو لم يأكل، ومن قول الله له : " **أَثمِروا واكثرُوا.. وتَسَلَّطوا على سَمَكِ البَحرِ.. وكُلَّ شَجَرٍ.. لَكُم يَكونُ طَعاماً.. الخ** "[1]، ومن كونه مركباً، وما كان مركباً يمكن أن ينحل إلى العناصر التي تركب منها على الأغلب.

اتضح إذن من خلال هذه كلها أن آدم خلق مائتاً بطبعه، ولكننا نقول : " أنه كان سيمنح عدم الموت لا بطبعه بل بنعمة خالقه، لو أنه حفظ الوصية " ..

نتكلم أيضاً عن الهيئة التي خلق بها الإنسان :

خلق الله الإنسان مستقيم القامة ناظراً إلى الأعلى دون سائر الحيوانات غير الناطقة ليكون صالحاً ومناسباً للرئاسة والسلطان، هكذا شرف الإنسان وفضّله أي العالم الكبير أو العالم الصغير، كما حسن لبعضهم أن يسميه.

١- تكوين ١: ٢٨-٢٩

إن مسكن العقل هو المخ كما قال ذوو المهن الطبية وأحاطه شبه غشاء رقيق وغير قابل للّمس، ويكاد لا يرى تقريباً بسبب شفافيته، وإذا ما تضرّر ولو يسيراً يهلك الإنسان، ويحيط به عظم اسفنجي رقيق، ويحيط به من الخارج عظم آخر قوي ومتين، وأُحيط العظم من الخارج بجلد، وخارج الجلد شعر، في هذا المخ يسكن العقل ويتسلط على جميع الحواس التي تحت.

والمخ أبيض وليّن حيث تكاثف من الرغوة، وأنه بارد ورطب في مزاجه. وينقسم إلى قسمين : الأول إلى اليمين والآخر إلى اليسار، في حين أنه يوجد بين كل منهما غشاء غضروفي يفصله (عن الآخر)، وغشاء آخر صغير ورقيق لا ينفصل ومرسوم كالصليب، إلاّ أن الجانب الأول يمنح الحسّ والحركة للجانب الأيمن، والقسم الآخر يمنح للجانب الأيسر، بهذه الصورة جعل وضع الرأس، إلاّ أن قوة المخ وفاعليته، ثلاثة أقسام، أي إلى الأمام والوسط والخلف.

ففي الجزء الأمامي تقع المخيلة، وفي (الجزء) الوسط يقع الفكر، وفي (الجزء) الخلفي وضعت الذاكرة.

- وتكونت **العيون** : من أربع طبقات عصبية وحسّاسة موضوعة تحت اللون والسعة والشكل.
- أما **الآذان** : فإنها عصبية وغضروفية وحسّاسة بالأصوات التي تظنّ فيها.
- و**المناخير** : هي الأخرى عصبية وغضروفية وهي لاستقبال الروائح.
- و**اللسان** : وريدي ولحمي من غشاء حساس بالاخلاط ونافع للذوق.

- **وسقف الفم** : غضروفي به نتنفس الهواء، وتوجد فيه قوة الذوق.
- **الأسنان والأضراس** : لطحن الأطعمة وإصلاح الأشياء التي تُزدَرَد.
- **اللهاة " القصبة الهوائية "** : وظيفتها غلق الباب بوجه الرئة لئلا يدخلها شيء من الأغذية عند بلعها.
- **البلعوم** : وهو قناة لمرور الأطعمة.
- **الرئة** : وظيفتها تنقية الهواء وإدخال الجديد وإخراج القديم.
- **المعدة** : هي ميناء الأطعمة وفيها تستقر اللذة الشهية، كما يتم فيها الجوع والشبع والعطش.
- **الكبد** : مقيت الجسم ويقدم الغذاء للأعضاء.
- **الطحال** : هو مزبلة (مقبرة) الجسم وإليه تنتهي سائر فضلاته.
- **الأمعاء** : تجري فيها فضلات الجسم كافة فطرح (إلى الخارج).
- ووظيفة **الكليتين** : هي لتنبيه الفكر وغسل الزرع وتبديل السيولة وطرحها من خلال البول.
- **المثانة** : هي مجتمع البول.

فلمثل هذه الفوائد صنع الله هذه الأعضاء في الإنسان، كما جعل له رجلين نحو الأمام لكي لا يسقط عندما ينحني، كما صنع له الأعقاب لئلا يميل إلى الوراء، وجعل للأصابع أظافر صلبة لا إحساس فيها ليحك بها جسمه عندما يستدعي الأمر، ولمواجهة الصدمات العارضة من الخارج، ولئلا يتألم ويتأذى اللحم المحاط بالأصابع.

وقد يتساءل أيضاً، لماذا جعل الله للإنسان آلة للنطق ؟

نقول : لكي تغلق الأجساد بوجه النفوس كالسحب القاتمة بوجه الشمس لئلا من خلالها نُعاق من إيصال آرائنا وأفكارنا لبعضنا، وجعل الله للإنسان آلة النطق لكي يعبر البشر عما تولّد من إرادتهم.

وآلة النطق هو اللسان وسقف الفم والأسنان والشفاه والخ. هذه وإن كانت أعضاء للجسد، إلاّ أن الله جعلها آلة للنطق الفصيح.

ويكفي هذا باختصار عن التكوين العجيب للإنسان.

الفصل الثالث والثلاثون

فـردوس الـنـعـيـم

اختلفت آراء الملافنة بخصوص الفردوس الذي كتب عنه موسى، لكننا، نضرب صفحاً عنها ونسلم بما هو ثابت وصحيح.

فنقول : أن الفردوس واحد، وهذا الواحد متنوع أي أنه مادي وروحي وعقلي وجسدي، ويتضح ذلك من تكوين آدم من النفس والجسد، وعليه ينبغي أن يكون الفردوس الذي خلق لسعادته مزدوجا أيضاً أعني مادياً وروحياً، لكي يمتع جسده في الجزء المادي، ونفسه في الروحي.

إن الفردوس المادي عبارة عن أشجار كثيرة ومتنوعة وجميلة من كل جنس، حاملة ثمارا شهية وأوراقا طرية، يقع في مكان معتدل وموضع لطيف، يرويها نهر كبير وواسع، ومكان عريض ورحب يصلح لسكنى البشر.

أما الفردوس الروحي فهو السيرة الروحية المقترنة بعفة وقداسة زاخرة بالتأملات الإلهية، والتفكير بالخلائق، وهو في منأى عن الآلام والضيقات والتنهدات، ويلازمه الفرح والبهجة. خلق هذا الفردوس في اليوم الثالث الذي فيه أمر الله الأرض أن تُنبت عشباً وبقلاً وزرعاً وشجراً والخ (١)، وقد خلق من أجل كرامة آدم وسعادته، حرصاً من الله عليه أكثر من سائر ما على الأرض، كان هذا فردوس الأرض، لأن الأرض هي واحدة، وطبيعتها واحدة، إلاّ أن أرض الفردوس تختلف عن هذه التي نسكنها، لا في الطبيعة والجوهر وإنما بالرقة والكثافة، وهي أرفع وأكثر سمواً من التي نسكنها، أنها خارج سكنى البشر.

وفيما يقول بعضهم أن الفردوس يقع في الجانب الآخر من المحيط، يقول آخرون، أنه في هذا الجانب، وتوجد بيننا جبال وعرة لا يمكن سلوكها، إنه يقع في الجهة الشرقية كرأي باسيليوس وغريغوريوس النوسي ومار سويريوس، وملافنة آخرين كتلامذة مار أفرام يقولون : أنه يحيط بالأرض كلها.

ويقول موسى بن كيفا وملافنة آخرون : أن الفردوس في الجهة الشرقية للبحر فقط، ويقولون أن ذلك الجانب من البحر المحيط كبير وواسع جداً، يشهد على ذلك، النهر الذي يرويه الذي بعد انفصاله يتشعب إلى أربعة أنهار عظيمة (٢).

أما عدن فإنه مكان شاسع وفسيح، خصب ومكتظ بالأشجار، وفيه غرس الفردوس، ولم يكن في أرض عدن كلها مكان أفضل من الذي غرس فيه الفردوس، وأشجار الفردوس ليست كالتي عندنا، بل أن جمال تلك تفوق هذه بكثير، لكن تلك لم تخضع للعنة والقصاص.

١- تكوين ١: ١١ ٢- انظر تكوين ٢: ١٠-١٤

أما الشجرة التي سميت شجرة معرفة الخير والشر[١]، فقد سميت كذلك لأن بها عرف آدم الخير والشر بالتجربة العملية، ولئن كان آدم يعرف الخير والشر، ولكن لما أكل منها، علم عبر الحكم الذي صدر ضده، كم أن الطاعة جيدة والتي هي الخير بذاته، وكم أن العصيان قبيح وهو الشر بذاته.

كانت تلك الشجرة بالحقيقة تينة كما يقولون، وليست كرمة أو حنطة أو زواج. ودعيت شجرة الحياة ليس لكونها حياة في طبيعتها، بل لحثّ آدم لكي يحفظ الناموس الذي وضع له على أمل أن يأكل من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد. الآن قد عرفنا أن الشجرة مادية، أما أي نوعها فلم نتأكد منه.

ينساب من أرض عدن نهر كبير ورائع وواسع، ويمر بالفردوس ويسقيه كله. ثم يتفرع إلى أربعة أنهار كبيرة، وبعد فترة من تفرعها تتوارى في الأرض التي تحت المحيط، ثم تنبع في هذه الأرض التي نقطنها.

لقد وضع في هذا الفردوس أبوانا آدم وحواء، وأوصاهما الله أن يأكلا من جميع الأشجار، أما من شجرة معرفة الخير والشر فلا يذوقا منها لئلا يموتا [٢]، لكن الشيطان الحسود وعدو بشريتنا دخل الحية وتكلم مع المرأة كما أثبت مار يعقوب السروجي وموسى بن كيفا، وكان للحية أربعة أرجل لأنها كانت من جنس الحيوانات، واختار الشيطان الحية لا حيوانا آخر، لأنه لم يجد في جميع الحيوانات من هو أكثر حيلة ومتماسكا مع ضلاله كالحية. فهي شرسة وخبيثة وقاتلة، فقد مزج الشيطان سمّه القاتل

١- تكوين ٢: ١٧

٢- انظر تكوين ٢: ١٦ و ٣: ١-٣

بما يشبهه، نظراً للقرابة التي للشياطين مع جنس الحيات التي نجهلها نحن، فلعنت هذه الحية المحسوسة علناً، أما الروحية فسرّاً. لأنه عندما طمأنهما أن يصيرا آلهة، خالفا الوصية وأكلا من الشجرة، وعليه طردا من الفردوس وانتهيا إلى هذا العالم المليء بالمعاناة. فالإنسان لم يوضع في هذا العالم بعد خطيئته ليمكث ويستمر فيه، بل من أجل أن يؤدب فيه كالطفل في المدرسة، وتمحى خطيئته، وبعدما يتهذب يدرك أن هذا العالم هو وادي البكاء، فيتطلع نحو خالقه وينجذب نحو ما هو ثابت وباقٍ.

يبقى هذا العالم حتى يكتمل عدد المختارين الذين حدّدوا بالمعرفة الإلهية كما بيّنا أعلاه [1].

احتاج الإنسان في هذا العالم إلى بيت للاحتماء من الضرر كالبرد والحر والوحوش واللصوص والخ. كما احتاج إلى كساء ليستر عورة الذين يسكنون فيه. واحتاج إلى الغذاء للهضم وطرح الفضلات، وإلى الدواء لعلاج سوء الصحة الناتج عن المزايا المتنوعة، وإلى السكنى في المدينة لاحتياجنا إلى بعضنا البعض في الصناعات وغيرها.

الفصل الرابع والثلاثون

النفس

إن لفظة النفس " **ܢܦܫܐ** " مقتبسة من اللغة العبرية، وقد فسرها علماء اليونان " **البرودة** " لكون الأنفس تهاونت وبردت من خدمتها أمام خالقها، لذلك سميت **ܢܦܫܬܐ** أي باردة.

١- راجع الفصل الثاني والثلاثين من هذا الكتاب.

أما بالنسبة إلى لغتنا السريانية فإن لفظة " النفس " تعني الحياة، كما قال الكاتب موسى : " **نَفَخَ اللّهُ في آدم نَسمَةَ حَياةٍ** " [1]، فالنفس هي جوهر مخلوق ذاتي الحركة، وحيث أنها دون جسم وعاقلة أعدّها خالقها للارتباط بالجسد.

فالنفس والعقل والروح هذه الثلاثة شيء واحد كما ثبّت الملافنة الحقيقيون، إلاّ أن هناك فروقاً لا بالطبيعة والجوهر بل بالإرادة والنوع، فمتى مارست الأنفس تصرفات أرضية دون أن تخرج عن إطار العمل العام، يسميها الملافنة **نفوساً**، ومتى سلكت في طهارة الأعمال المقدسة والروحية يسمونها **أرواحاً**، وإذا تسامت أكثر بأعمال البر والطهر والقداسة وتكاملت فيها يسمّونها **عقلاً**.

فالفئة الأولى (الأنفس) هي فئة الخطاة، والثانية (الأرواح) هي فئة الأبرار والصالحين، والثالثة (العقول) هي فئة الكاملين.

وبعبارة أخرى، عندما تقوم النفوس بأعمال البر المحدودة يسميها الملافنة " **نفوساً** "، وعندما توغل بأعمال البر أكثر يدعونها " **أرواحاً** "، وحينما تبلغ إلى درجة الكمال الأسمى يدعونها **عقولاً**. **فالنفس والعقل والروح إذن هي واحدة بالطبع ولكنها منفصلة بالأعمال.**

☆ **قوى النفس :**

قال الفلاسفة الأجانب أن قوى النفس ثلاث وهي :

الشهوة والغضب والعقل

١- تكوين ٢: ٧

- **فالشهوة** : إذا كانت تميل إلى الاعتدال فقط تسمى عفة.
- **والغضب** : إذا كان ضد الشر فقط يسمى شجاعة.
- **والعقل** : إذا اكتمل يسمى حكمة، وإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث، حينئذٍ تكون عدالة التي توزع لكل واحد ما يلائمه.

ومن اللائق أن يخضع الغضب والشهوة للعقل لكي يوجههما. ثم أن كلاً من هذه الفضائل الثلاث موضوعة بين قوتين تبعاً للزيادة والنقصان، فزيادة الشهوة تنشيء فجوراً، ونقصانها جموداً، وزيادة الغضب تسبب حماقة، ونقصانه جبناً، وزيادة العقل تسبب خبثاً ونقصانه بلادة. وهذا يكفي عن قوى النفس، وقد كتبت عنها في رسالة خاصة. هذه القوى تكتسبها النفس وتكون لها كخواص طبيعية شبه الحواس، وتكون فيها ومعها دائماً دون انفصال.

وللنفس خواص أخرى تتميز بها عن الطبائع الأخرى سواء كانت في الجسد أم بلا جسد، وهي: **العقل** " **ܗܘܢܐ** ". **الفكر** " **ܡܕܥܐ** ". **الفهم** " **ܣܘܟܠܐ** ". **الفطنة** " **ܒܘܝܢܐ** ". **الرؤيّة** " **ܪܢܝܐ** ". **التمييز** " **ܦܘܪܫܢܐ** ".

١- الخاصية الأولى للنفس : التي تحتاج وحدها دون العقول الناطقة أن تستعمل الفكر المميز وتبصر من خلال الأفكار إن كان يجب أن تفعل شيئاً أم لا.
٢- الخاصية الثانية للنفس : حيث أنها مرتبطة بخدينها ومسكنها الجسد، فإنها تتوهم وتتخيل الأشياء البعيدة كأنها قريبة في حين لا تنتقل أو تبتعد، مسكنها.
٣- الخاصية الثالثة : عندما يرقد الجسد المرتبط معها فإنها ترتاح معه أيضاً لأنهما مرتبطان معاً، وتهتم لعمل ما كانت تردده في اليقظة.

٤- الخاصية الرابعة : بما أنها مرتبطة مع الجسد، فإنها تتألم معه في آلامه وتحزن في أوجاعه، في حين أنها غير متألمة بطبعها.
٥- الخاصية الخامسة : أنها تكره الإثم وتحب الصلاح، ولئن زلّت ومالت لكنها تحافظ على خواصها.
٦- الخاصية السادسة : قدرتها على إيجاد حرف متنوعة ومعارف مختلفة.

وقد يسأل سائل : أيهما سبق الآخر (في الخلقة) النفس للجسد أم الجسد للنفس ؟

ولئن ذهب البعض مذهباً ما، إلاّ أن الملافنة الحقيقيين يقولون :
لا النفس تسبق الجسد في خلقته ولا الجسد للنفس، ولكن الله خالق الكل، بإشارة سريعة وبقوة كلمته يخلق ويكوّن الكل، كالقادر على كل شيء أي (يخلق) النفس من لا شيء بحسب معرفته هو.

ينبغي أن نعرف أن النفس عند مغادرتها الجسد، تغدو قواها ومفاعيلها وخواصها أكثر قوة وإنارة وصفاء، فمن المعلوم أن كل ذي طبيعة نقية إذا ما امتزج بشيء آخر أدنى منه فإن مفعوله يقوى أكثر من أي شيء آخر ممزوج من غيره.

فإذا كانت هذه كلها قد حصلت من مشاركة النفس للجسد، فإنها تكون واهنة وضعيفة، بالنسبة إلى ثبات طبيعتها، وواضح أنه متى انفصلت عنها خواص النفس وتبقى بمفردها، فإنها ستعمل بسهولة ومهارة لتخلص طبيعتها من تلك التي كانت سببا لقوة التأثير.

ونقول أيضاً : أن بعضاً يقولون : أن النفس تفقد المعرفة والفكر والذاكرة بعد مغادرتها الجسد. لكننا نقول : أن لها ذلك كله، وهذا واضح من أن الفكر والمعرفة العقلية يخصان طبيعة النفس لا الجسد، ويستدل على ذلك من أن الحيوانات غير الناطقة ليس لها فكر أو مخيلة أو معرفة ناطقة، لأنها معدومة فيها، فتبين إذن أنها لا تخص طبيعة الجسد بل تخص طبيعة النفس، وبما أنها تخص طبيعة النفس وحيث أن التأثيرات الطبيعة لا تنفصل عن الطبيعة أبداً، وأن طبيعة النفس محفوظة بعد مغادرتها الجسد لأنها غير مائتة، فطبيعتها ومخيلتها محفوظتان إذن، وهذا أيضاً من الصلوات والقرابين والصدقات التي نقيمها من أجلها، فإن كانت لا تشعر بها فلا تنفعها شيئاً.

الفصل الخامس والثلاثون

مسيرتنا في هذا العالم وسلوكنا في الصالحات

خلق الله الإنسان ليصنع الصلاح في جميع مراحل حياته، لأنه يطلب الصلاح من الصغر وحتى الشيخوخة. فلما يولد الإنسان وينمو شيئاً فشيئاً حتى **السنة الثانية من عمره**، بالكاد يستطيع تثبيت رجليه، وفي حدود **السنة الرابعة أو أقل** من ذلك، تظهر النفس الناطقة ذاتها بالكلام الصادر لا غير، ومن خلال الحركات والإشارات الجزئية التي تظهر بداية ناقصة لبعض الأشياء من قوى وأعمال طبيعتها، وهكذا ينمو الإنسان حتى **السنة الخامسة** التي فيها يصبح مناسباً للتعليم والنطق وتكون فيه القدرة للدنو من الأمور الإلهية والأبدية، وعن هذه القامة (السن) **قال المسيح** : " **دَعُوا الأولادَ يأتونَ إليَّ ولا تَمنَعُوهُم** "[١]، وخلال هذا

١- مرقس ١٠: ١٤، ولوقا ١٨: ١٥

الأسبوع (أي ٧ سنين) الأول كله يكون له تفكير بسيط وصاف وبعيد عن كل شر، ولا يدرك حتى عري جسده، ولا يدان الإنسان على ذنبه لا من الله ولا من البشر.

ولدى بلوغه **العاشرة**، يصبح صالحاً لتلاوة الكلمات، ويضع أمامه شريعة الوصايا المقدسة، وفي هذا الأسبوع (السنوي) الثاني تظهر علامات الاكتساب الطبيعي لدى النفس من قوة النطق والتفكير، ويحاسب من في هذه السن على ذنوبه وتطبق عليه العقوبة الصادرة عن الحاكم.

وفي **الخامسة عشرة** من عمره يصير أكثر صلاحاً لاقتبال التربية والعلم، حيث، فكره لم يكن قد تدنّس بعد بالشهوات التي تستوجب عقاباً من قبل الموجهين، كما أنه يصبح أكثر ملائماً لحفظ الشريعة وسماع الوصايا الإلهية. عن هذه المرحلة (السن) **قال سليمان : "لتعطي الجهال ذكاءً والفتيان معرفة وفكراً** "[١]، وفي هذه السن يبدأ الإنسان يدرك العدالة والاستقامة.

كما يصلح ابن **عشرين سنة** لأن يكون طالباً ويمارس خدمة القديسين ويقدم لكل واحد ما يصلح له، وفي هذا الأسبوع (السنوي) الثالث، أي من السنة الرابعة عشرة وحتى الحادية والعشرين، تكون هذه السن مهزوزة وتنتقص بسهولة لريح الشهوات وهي بحاجة إلى يقظة وحذر دائم، والذي يكون في مثل هذه السن ينمو وينضج دون سقوط، وليس من العسير إصلاحه، أو اقتباله التأديب.

ويصلح ابن **الخامسة والعشرين** للعهد والنذور إذ يقدم نفسه بذاته لله ليكون خادماً له دائماً.

١- أمثال ١: ٤

وابن **ثلاثين سنة** يصلح لمحاربة الشياطين، وبإمكانه أن يجاهد ويدافع عن الإيمان الذي به تتجمل النفس بما هو أكثر إنارة وسمواً. وفي الأسبوع السنوي الرابع يكون قد بلغ الإنسان القامة الكاملة ويصبح أهلاً للرئاسة وإدارة الكثيرين إذا كانت لديه المعرفة والحكمة.

وابن **السنة الخامسة والثلاثين** يكون قد بلغ مرحلة الرجولة وصار رجلاً كاملاً أي تاماً جداً، يصل لأن يكمل أسرر المسيح.

ولدى ابن **الأربعين سنة** تكون قد اكتملت فيه سن العقل، والتي من خلالها يستطيع أن يرى السبل المحييّة لمعرفة الخير.

وابن **خمسين سنة** يصلح للملك ولرئاسة الكهنوت أيضاً لأنه يكون قد بلغ كمال السنّ، وأمسك بناصية حريته، وهو يصلح لأن يقودها حيثما يشاء.

وابن **ستين سنة** يكون قد بلغ منتصف العمر وانفتح على الأعمال المقدسة التي تظهر فيه جلية بهية، فيكون قدوة صالحة لجميع أولئك الذين يجب أن يتمثلوا به دائماً.

وابن **سبعين سنة** يكون قد بلغ السنين التي قيل عنها أن أيامي سبعون سنة والتي هي بداية الشيخوخة والمدخل إلى النهاية للذين تجاوزوا فترة الطفولة.

وابن **ثمانين سنة**، يكون قد بلغ الحياة الوقورة، فيحترم من قبل كل إنسان، وقد ثبتت تلك المرحلة الزمنية كأواخر الشيخوخة، كما حددّها النبي " **سبعين سنة وبالكاد ثمانين سنة** " [1] مبيناً بذلك نهايته.

١- مزمور ٩٠: ١٠

وابن **تسعين سنة**، يعلن ويشير إلى الشبع من الحياة، وأنه قد طفح كيل حياته، وبلغ ميعاد راحته وأخذ يسعى إلى النهاية لأن وقت الاستراحة من هذه الحياة المضطربة قد دنا.

وابن **مئة سنة**، يكون كيل عمره قد اكتمل، وبلغ شيخوخته بسيرة صالحة إن كان فاضلاً.

إن الصلاح ممكن وجوده في هذه المراحل كافة بالنسبة إلى الذين يتوخّون مجد الله بوداعة قلوبهم أما في البلدان الهندية، فما زالت حتى الآن فترة حياتهم طويلة، تمتد حتى إلى ثلاثمائة وخمسين سنة. أو أربعمائة سنة، وفي البلاد العربية يعيشون حتى (المئة والثلاثين) سنة.

الفصل السادس والثلاثون

حساب الأجيال والسنين لهذا العالم من آدم وحتى الآن / في الآخرة والنهاية

الفصل غير موجود في المخطوطات الثلاث المشار إليها في مقدمة هذا الكتاب. أما نسخة الموصل فتنفرد بذكر العنوان.

الفصل السابع والثلاثون

مجيء المسيح الدجّال

يعرف بـ **ضد المسيح** ܐܢܛܝܟܪܝܣܛܘܣ أو **نصف المسيح** أو **المتشبه بالمسيح**. سيحبل به في كورزين، ويولد وينشأ في بيت صيدا، ويتسلط في كفرناحوم. وتفتخر به كورزين لأنه ولد فيها، ومن أجل ذلك أعطى لها الرب الويل في إنجيله بقوله : " **ويل لك يا كورزين ويل لك يا بيت صيدا، وأنت يا كفرناحوم التي ارتفعت إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية** "[١]. وسينحر من سبط دان وسيكون إنساناً مجسماً من زرع رجل، وسيولد من امرأة متزوجة، وبما انه من زرع بشري سيتخذه مسكناً للأبالسة، وتتم به أعمال الضلال.

وقد تنبأ عنه يعقوب أبو الأسباط بقوله : " دان حية سامة رابضة على الطريق المؤدي إلى الملكوت، يلسع عقبي الفرس فيسقط راكبه إلى الوراء "[٢]، وهؤلاء هم قديسو ذلك العهد الممتطين متن الحق، والذين يسعون في عمل البر ثم يضعفون، فيلسعهم بأعاجيب وهمية مضلّة، أي يضلّهم عندما يبصرون البرص يتطهّرون، العميان يبصرون، العرج يمشون، الشمس تعود إلى الوراء، القمر يظلم، والشياطين يخرجون، والأشجار تخرج الثمار، الأرض تنبت أصولاً وزروعاً، ينابيع المياه تجف. وبواسطة هذه التخيلات يضلل القديسين، ولما نظر الطوباوي داود بعين الروح وأبصر ضيق ذلك الزمان قال : " **انتظرت خلاصك يا رب** "[٣]، **وقال ربنا : " حتى يُضِلّوا لَو أمكَنَ المختارينَ أيضاً** "[٤]، فيدخل هذا

١- متى ١١: ٢٠ و ٢٣، لوقا ١٠: ١٣ و ١٥

٢- تكوين ٤٩: ١٦ و ١٨ مع اختلاف قليل في النص.

٣- مزمور ١١٩: ١٦٦ ٤- متى ٢٤: ٢٣ و ٢٤

الدجّال إلى أورشليم ويجلس في هيكل الله ويظهر نفسه أنه إله [1]، ويستمر ضلاله مدة ثلاث سنوات.

يأتي ايليا أولاً ويتغلب عليه، " ويرد قلب الآباء على الأبناء وقلب لأباء على آبائهم " [2]**، ثم ينزل فادينا من السماء مع علامة صليبه،** ويشغل ثلث المكان ما بين السماء والأرض، حتى المكان الذي اختطف إليه بولس، ومن ثم يجرد العاصي الظالم من سلاح سلطته، ويقذف به للعذاب عقاباً له أمام طغمة الروحانيين والجسديين، فيهلك العاصي نفساً وجسداً، وهلاك جسده هو عبرة لكل ذي جسد وهلاك نفسه لإرهاب جميع الأجناد غير المجسمة. **قال بولس : " الرَّبُّ يُبيدُهُ... بِظُهورِ مَجيئِهِ "** [3]، ولا يعلم أحد كم تكون المدة لمجيء إيليا عند ظهور ربنا المحيي.

الفصل الثامن والثلاثون

قيامة الأجساد

ببرهن على وجود القيامة بأمور كثيرة طبيعية وكتابية :

١- أن الله ديّان عادل وهو الذي ركب الجسد مع النفس غير المجسمة، وكأحكامه الخفية اتحدت النفس بالجسد في هذا العالم، وتألمت وتعذبت معه، في حين أن طبيعتها غير متألمة وغير مائتة، وبما أنه يدينها ويقويها ويعطيها الغلبة في العالم الآخر الذي فيه يوزع لكليهما بمكيال واحد.

١- عن صورة هذا المخلوق الشرير، انظر رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي : ١-١٢

٢- ملاخي ٤: ٥ و ٦

٣- تسالونيكي الثانية: ٢: ٨

٢- نرى في هذا العالم موتاً وفساداً وسقوطاً، وهذه هي أمور متنوعة متجانسة. فالموت يحدد نهاية للحياة التي لا نهاية لها، والفساد بزواله يدل على عدم الفساد الذي لا يزول، والسقوط يعرف من القيامة التي لا نهاية لها، وبما أن الموت والفساد والسقوط وجدت في هذا العالم، فلا بد إذن من وجود عالم آخر يسوده عدم فساد، والقيمة والحياة التي بلا نهاية.

٣- إن الأشرار ارتكبوا السيئات، والأبرار الحسنات، ولم يجاز الأشرار الجزاء الذي يتناسب وأعمالهم، ولم يكافأ الأبرار من أجل أعمالهم مكافأة جيدة ثم مات الجميع، فلا بد إذن من أن يكون عالم آخر، يجازى فيه الأشرار عن أفعالهم، وينال الأبرار أجر أعمالهم، لأن الذي يجازي على الأعمال عادل.

٤- قال الرب في الإنجيل : " **لأنه كما ان الأب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء** " (١)، وقال أيضاً : " **مَن آمن بي.. فسيحيا** " (٢)، وأيضاً : " **تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرجون** " (٣)، وأيضاً: " **من يأكل جسدي ويشرب دمي أنا أُقيمه في اليوم الأخير** " (٤)، مع (آيات) أخرى كثيرة مدونة في الإنجيل وفي رسائل بولس وأسفار الأنبياء تشهد على حقيقة القيامة.

أما بالنسبة إلى كيفية القيامة، فقد تعددت الآراء، بعضهم لا يعترفون بالقيامة أبداً، وقال آخرون بجنون، أن ما يقوم هي أجساد روحانية وأثيرية لا أجساد كثيفة ذات إحساس ثابت وسليم، ويهذي آخرون برأي سخيف، مفاده أنه سوف لن تكون بنفس الهيئة التي كانت للأجساد قبل القيامة، ويتساءلون ما الحاجة إلى أن تكون لهم أيدٍ وهم لا يعملون

١- يوحنا ٥: ٢١
٢- يوحنا ١١: ٢٥
٣- يوحنا ٥: ٢٨ و ٢٩
٤- يوحنا ٦: ٥٤

شيئاً، ولِم تكون لهم أرجل وهم ليسوا بحاجة إلى المشي ؟ وما حاجة أعضاء التناسل وهم لا يتزوجون ؟

وهنالك من قال أنه لا يكون للأجساد شعر وأظافر، وآخرون قالوا بوجودها وكأنها هذه ليست جزءا من الجسم. ويوجد من يقول عن الختانة أنها ثابتة، ومن يقول بعدم ثباتها، وكأنها هي الأخرى لا حاجة إليها لكمال الطبيعة.

وقال آخرون بعدم وجود الأحشاء داخل البطن كالكبد والأمعاء وغيرها، ولم يعلم هؤلاء جميعهم أنه إن فقد أحد أجزاء الجسد يكون ناقصاً، وتأكيداً على القيامة، قارنها الرسول بولس بحبة خردل، فكما أن تلك الحبة تنمو بشكل كامل دون أن تفقد شيئاً، هكذا الإنسان فإنه يقوم بكامل أعضائه وأجزائه دون أي خلل في تركيبه كما هو الآن، وقد اكتسب نقاءً وتطهيراً من كثافة اختلاطاته، وليس ذلك بعجيب. فإن إناء من الطين يكتسب صلابة عند إدخاله الأتون دون أن يطرأ تغيير على هيئته، كذلك الروح يضرمنا في كور القيامة وينفض عنا اللذة المشينة القذرة الموجودة الآن، ويلبسنا عدم الفساد [١]، " **يزرع جسداً حيوانياً ويقام (جسداً) روحانياً** " [٢].

وسوف لن نسمع أو نبصر بالجسد كله كما زعم الغير، بل سنؤدي الأعمال بالأعضاء الاعتيادية ذاتها. فإذا صادف واقتضى الأمر (إلى معرفة)، فإن هناك كل الخفيات ستصبح مكشوفة، علما بأنه لا حاجة بعد إلى حديث أو نطق، واننا سوف نقوم بملء قامة المسيح كما قال بولس [٣]، إذ أننا سنقوم بجميع أعضائنا تماما كما في تركيبنا.

١- كورنثوس الأولى ١٥: ٥٤

٢- كورنثوس الأولى ١٥: ٤٤ ٣- أفسس ٤: ١٣

كما سيقوم الذكور والإناث بنفس الشكل أيضاً، أي الرجل رجلاً والمرأة (امرأة)، ولم يعنِ المسيح بقوله : "**يكونون كملائكة الله**"[1] عدم وجود تمييز بين رجال ونساء، إنما أشار بهذا فقط على أنهم لا يتزوجون، وحيث أن جميع الأجساد البشرية اشتركت في صورته فإنها ستقوم كاملة بهيئاتها وأعضائها الكبيرة والصغيرة، ويبعث من جديد صفاء الطبيعة ونقاؤها الكامل متحرراً من كل الشهوات والعيوب ومن كل الزوائد والنواقص. هكذا قال بولس الإلهي عن قيامة الأجساد البشرية[2] : "**يزرع في فساد ويقام في عدم فساد، يزرع في هوان ويقام في مجد. يزرع في ضعف ويقام في قوة**".

الفصل التاسع والثلاثون

الدينونة والمجازاة هناك

يستدل على وجود الدينونة من أن الله عادل. وبما أنه عادل فله مجازاة عن الحسنات والسيئات، وقد يقول قائل : ليس من العدالة أن يتعذب عذاباً أبدياً من أخطأ مدة عشرين سنة أو أكثر أو أقل، وكذلك البار الذي عاش بالبر عشرين سنة أو أكثر أو أقل، أن يتنعم نعيماً أبدياً، ولكنهم يقولون، بأن يعطي الإنسان أكثر مما يستحق من الثواب فهذا من خاصية الله ومراحمه، أما أن يعذبه أكثر مما يستحق فهذا أمر لا يتفق (وسماحة) الله.

١- متى ٢٢: ٣٠

٢- كورنثوس الأولى ١٥: ٤٢-٤٤

نقول : أن كل ما يفعله (الله) فبعدل وحق، لذا مُجازاته للأبرار هي لأنه يعرف بسابق معرفته، لو تركهم ليعيشوا هنا ربوات من السنين والأزمنة لظلّوا أبرارا. ويقضي بالعذاب على الآخرين لأنه سبق فعرف أيضاً لو أنهم عاشوا هنا ربوات من السنين والأزمنة لظلّوا خطاة وأثمة، وإلاّ لما أماتهم منتظراً توبتهم المحبوبة لديه كثيرا.

فهو إذن يعذب الأشرار والأثمة بلا نهاية لأن شرهم كان بلا نهاية أيضاً، ولئن انفصلت نفوسهم من أجسادهم، وذهبت نفوسهم وهي مملوءة شراً لا نهاية له، فالقصاص يوقع على المسيء بالنظر إلى فكره ونوع الخطايا، وليس بحسب المدة التي أخطأ وأذنب فيها.

فالقاتل الذي يقتل خلال لحظات يسجن مدة طويلة، كذلك يعذب الخطاة هناك أيضاً بحسب نوع الخطيئة، وليس بحسب مدة الخطيئة، كما أن الخاطيء الذي لا يتوب ولئن عاش إلى الأبد لأخطأ ولن يتوب، ولذلك فإنه يتعذب إلى الأبد، والخاطيء الذي لا يتوب بإرادته، تكون خطيئته أبدية لأن إرادته تدفعه إلى الخطيئة، ولئن لم يخطيء بالفعل إلى الأبد ذلك لأن الموت فصله، إلاّ أنه مخطيء بإرادته دائماً. أما ان إرادته تدفعه إلى الخطيئة فهذا واضح من قول الغني : " **يا نفسُ لَكِ خَيراتٌ كثيرة موضوعة لِسنينَ كثيرة.. كُلي واشربي.. والخ** " (1)، كذلك البار الذي لا يخطيء، فإن إرادته تدفعه أكثر نحو البرارة كما قال أيوب في تجربته : " **حتى أُسلَم الروح لا أعزلُ كمالي عني** " (2)، وعليه فالأبرار يتنعمون أبديا مثلما يتعذب الأشرار أبديا.

وأن الله يدين حسب الإرادة كما يتضح من مثال فعلة الكرم (3)،

١- لوقا ١٢: ١٩ ٢- أيوب ٢٧: ٥ ٣- متى ٢١: ٣٣-٤٠

وعلينا أن نفهم ما إذا كان أولئك يتعذبون في جهنم أو لا يتعذبون، وبأي شيء يتعذبون ؟ وكيف نقول عنهم بأنهم سوف لن يتعذبوا، وإن لم يتعذبوا فليس هناك عذاب إذن. نحن لا نعني العذاب، عذاب الجسد، بل العذاب الذي يشقي النفس، فهذا أيضاً هو عذاب. وإن اعترض أحد فليقل لنا بماذا ينعم الأبرار ؟ إذ لا ينعم أحد إلا عندما يشعر بنعيمه، وتكون بلا إحساس، إذ أننا ننعم دون أن نشعر، كالشمس التي لا تحس بإشراقها، والجوهرة بسنائها، فما يسبب فرح الأبرار، هو نفسه يكون سبباً لعذاب الخطاة، فليس لائق أن تنتزع منا القوة التي تتقبل التنعم أي الفطنة، وإن انتزعت، عدم النعيم.

أما نور الأبرار فليس طبيعياً، وإنما يستمد من نور ربّنا وينسكب عليهم، ذلك الذي يفوق نوره ربوات من الشموس، فيستنير كل واحد من القديسين بحسب عمله.

وكما أن قصاص الذين في جهنم ليس بدرجة واحدة، لأن كل واحد منهم يعاقب بسب خطيئته، كذلك الذين في الملكوت أيضاً، ويشهد على ذلك بولس (الرسول) : " **لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد، هكذا أيضاً قيامة الأموات** " وأيضاً : " **مجد الشمس شيء ومجد القمر شيء آخر** "[١] حيث يجتاز النور من كرة جسد ربنا في جميع أعضائهم، وعوض الكسوة فإنهم يتحلون به، وتكون لهم دالة عنده.

إن مَثَل الخطاة، مع عذاب الضمير وفقدان ما يستنيرون به، وتعريهم. هو شبيه بما أشار إليه بولس (الرسول) :

" **وإن كنا لابسين لا نوجد عراة** "[٢]، فاللباس يُشير إلى القيامة، والعري، إما يُشير إلى العري الطبيعي أو إلى العري بالخطايا لكونهم يتعرون أمام الجميع، ولو حدث الأمران، فالأشرار لا يحترقون بالنار، ولا يتعذبون عذاباً اعتيادياً، بل (ضميرياً)، وواضح أن قوة (عذاب) الضمير أشد قساوة من العذابات الجسدية.

١- كورنثوس الأولى ١٥: ٤١ و ٤٢

٢- كورنثوس الثانية ٥: ٣

الفصل الأربعون

خاتمة هذا البحث ذي الأركان الأربعة
في صحة الإيمان الأرثوذكسي الذي من أجله كتبنا هذا
فإذا وجد خطأ ما فليعزَ إلى الضعف البشري
فلا يتسرع أحد لإلقاء اللوم والشتم
بل ليصل على البائس الذي عمل بحسب طاقته

لقد أقسم داود الإلهي والنبي والملك الذي دُعي قلب الله، قسماً لله ونَذَرَ نذراً لعزيز يعقوب أن لا يدخل سقف بيته ولا يصعد سرير فراشه، ولا يعطي وَسَناً لعينيه ولا نوماً لأجفانه حتى يجد مقاماً للرب مسكناً لعزيز يعقوب [1]، من أجل الكلمة الذي كان عتيداً أن يتجسد ويولد منها بالناسوت، وبينما كان منهمكاً بهذه الفكرة، وهو يقضي لياليه دون نوم، حنّ الله على عذابه وقال له : " **أنت لا تبني البيت بل ابنك الخارج من صُلبِكَ هو يصنع ذلك ويكمل هذا العمل** " [2]. فلما ولد ابنه سليمان ومَلك، بنى بيتاً عظيماً للرب [3]، وثبت مسكناً ممجدا لعزيز يعقوب، وذاع صيته في كل المسكونة، وجاءت الأمم من جميع الجهات لتقديم السجود في ذلك البيت، لعزيز يعقوب، حتى الزمان الذي شاء فيه أن ينجز وعده ذاك لإبراهيم وداود عن المسيح. فأرسل جبرائيل الملاك أولاً وبشّر العذراء بحبلها وقال لها : " **المولود منك قدوس وابن الله يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد** " [4]، فلما ولد يسوع

١- مزمور ١٣٢: ١-٥

٢- أخبار الأيام الثاني ٦: ٩ ، وصموئيل الثاني : ٧: ١٢-١٣

٣- أخبار الأيام الثاني ٦: ١٠

٤- لوقا ١: ٣٢ و ٣٥

بالجسد وظهر للملائكة، وبشّر به بين الشعوب، وصنع خلاصاً للخليقة كلها، وأرسل تلاميذه إلى الجهات الأربع ليكرزوا بشارته، وتلمذوا وعمّدوا باسمه جميع الشعوب، لم يشيدوا ويقيموا بيتاً واحداً أو مسكناً لعزيز يعقوب فقط وإنما شيّدوا وأقاموا بيوتاً كثيرة ومساكن لا تُحصى وكنائس لا تُعد، وبينما كانت تُسمى جميعها بيوتاً لبني البشر، وسمّاها بأسمائهم، وبقي منها بيت واحد فقط، الذي أُطلق عليه اسم يعقوب.

ولما تأملت أنا التعيس الخاطيء هذه المساكن كلها، وأردت أن أعرف بدقة أيّاً هو مسكن إله يعقوب من هذه كلها، وإذ لم أكن متضلعاً بفن الكتابة لأتغلغل بمفردي إلى جبروت (أعماق) الرب، وأتذكر صلاحه، لجأت إلى كتّاب آخرين لأستوضحهم إذا ما كان هذا هو بيت الرب ومسكن إله يعقوب بالضبط، ولما كان كل منهم يتحدث عن بيته على أنه هو مسكن إله يعقوب، قررت كداود أن لا أدخل سقف بيتي الذي كان خالياً من الأفكار وأن لا أصعد إلى سرير فراشي الذي هو الراحة من العمل، والنجاة من العذاب، ولا أُعطي وَسَناً لعينيّ ولا نوماً لأجفاني حتى أجد بدقة مقاماً للرب، مسكناً لعزيز يعقوب، فلما دخلت قدس أقداس أسفار الله وتأملت بجد في مصير جميع الهرطقات، أدركت بدقة مذاهبها ومعتقداتها، وأدركت أيضاً أن بيت يعقوب الحقيقي ومسكن عزيز يعقوب هو هذا الذي يكنّى ويسمّى على اسم يعقوب، كما سبق فصوره يعقوب رئيس الآباء في الجبل بالحجر والزيت، وبناه وثبته يعقوب أخو الرب، وجدده وزينه يعقوب أحد رهبان دير فسيلتا، ولما تأكدت من ذلك وبالتدقيق وحصلت لي القناعة على ذلك من كل النواحي، وخصوصاً منك أيها **الأخ الحبيب الربان عيسى الراهب القديس**، فكرت، بناء على طلبك، أن أتدخل باندفاع وأشترك في جماله وجلاله ومجده، وكأنني عرفت بيقين أنه هو بيت الرب، لذلك آليت على نفسي أن أعرّف الآخرين به، وأكشف لهم حقائق الأمور، وأهتف أيضاً مع داود الإلهي وأصرخ أنا يعقوب الضعيف

الخاطيء، والمسمّى باسم أولئك (الرجال العظام)، ولاسيما وأنا شريكهم في المعتقد والإيمان، لكن غريب وبعيد عنهم بالأعمال، فإني أناشد رؤساء وسلاطنة الشعوب أن يرجعوا إلى إله إبراهيم ويعقوب، وطوبى لمن كان إله يعقوب في عونه، ويطلبوا برجاء إله يعقوب، ولما رأيت أن جميع الأنبياء والرسل والملافنة يحثون على ذلك، ويعدون الملافنة بثواب عظيم، ويوجهون إلى المتوانين والكسالى والذين طمروا الوزنة تهديداً ووعيداً، أكبَبتُ على العمل والتعب، فوضعت هذا الكتاب مع كتب أخرى ورسائل وتآليف وتفاسير، ولم يساعدني في ذلك أحد إلاّ الله وحده، ذلك الذي يظهر قوته في الضعفاء خاصة، فكنت أكتب ليلاً ونهاراً ما يتيسّر، وليس دائماً، نظراً لانعدام الهدوء من جراء العمل وعدم ملاءمة الوقت والحرمان من محبة الأخوة، ولأنه ليس في زماننا هذا إنسانٌ فطن يلتمس وجه الله، أو جوعان لسماع كلمة الرب، أو عطشان للإصغاء إلى الكلمة من أجل الرجاء والنعمة التي فينا. بل عكس ذلك، المتسلط يقول : " أعط "، والقاضي يقول : " ارش "، والسيد يريد تحقيق رغباته، وإذ تملكني الضجر نتيجة ذلك مرات عديدة، فكرت أن أركن إلى الإهمال، وأُفضل الصمت بسبب زمننا الشرير هذا، كما هو مكتوب. فكان الباحثون عن اللاهوت يحثونني على المواظبة على ذلك.

وعليه باشرت بهذا البحث وأطلقت عليه اسم " **الكنوز** " لأن كنوزا ولقى نفيسة مدخرة في خزائنه، وكسرته على أربعة مقالات :

✠ المقال الأول : **في علم اللاهوت في الثالوث الأقدس في ثلاثة عشر فصلاً [١].**

✠ المقال الثاني : **في تجسد المسيح وتفسير أسرار وطقوس الكنيسة كلها في واحد وأربعين فصلاً.**

١- والصحيح أحد عشر فصلاً.

✠ **المقال الثالث : في العناية الإلهية، في تسعة عشر فصلاً.**
✠ **المقال الرابع : في هذا الكون، في أربعين فصلاً.**

وهذا الفصل الذي تحت اليد هو خلاصتها وغايتها.

ولا تزال ثمة أمور كثيرة في ذهني لم تخرج إلى حيز العمل ولم تختتم تماماً، وها قد بلغت إلى هنا بعون يمين الرب، فبالجهد هدأ تفكيري عن ذلك، وتشجعت قليلاً من دانيال الحكيم حين أُمر أن :

" **أخفِ الكلام وأختم السفر إلى وقت النهاية** "[١]، فختمت هذا الكتاب في مساء السبت العظيم ليوم العنصرة الشهير من سنة ١٥٤٢ [٢] يونانية، في العاشر من شهر أيار.

إلا أنني ألتمس من جميع الذين يطالعون هذا البحث المتواضع الذي وضعه ضعفي، ويجنون الفائدة من ثماره أن يكملوا ما يجدونه من نواقص، ويصححوا الأخطاء، ولا يبادروا إلى الشتم فوراً، بل لينسبوا ذلك إلى الضعف البشري، فليس في مولودي الجسد طاهر سوى المسيح الرب.

كما أتوسل إلى كل من يصادف هذا الكتاب ويرغب أن يستنسخه، أن لا يسقط من فصوله شيئاً، بل لينسخه ويكتبه تماماً بحسب ما منحنا الروح وصنّفناه، أما إذا ما طعن أحد ومزّق هذا التأليف دون وجه حق، بل بفعل حسد أبي الشر، وتصرف بما هو لنا كما بما هو له، ليلحق له العار مع الذين مزّقوا قميص المسيح، وليتعذب مع يهوذا الذي انفصل من العدد الرسولي، كما أطلب وأتضرع متوسلاً أن يصلّوا من أجلي أنا

١- دانيال ١٢: ٤ ٢- تقابلها سنة ١٢٣١ ميلادية.

الخاطيء كي لا أُحرم من بيعة الأبكار المكتوبة (أسماؤهم) في السماء بسبب ذنوبي وخطاياي وكثرة آثامي، بل ليقبلني الديّان راحماً، ويمد إليّ يد العون، ويحامي عني حنانه، ولتظللني نعمته، ولتتضرع عني كنيسته المقدسة، وليكن لي صليبه جسراً أعبر نهر اللهيب، وأصل إلى الحياة الجديدة دون الخشية من الموت الثاني، ومع جموع المخلصين به أُصعد له حمداً وشكراً، وله أركع ساجداً، ولأبيه وروحه الحي القدوس إلى أبد الآبدين. آمين.

الفهرس

الإهداء	
المقدمة	أ
مقدمة المترجم	م

المقال الأول
اللاهوت / الثالوث الأقدس

الفصل الأول :	مقدمة هذا الكتاب	١
الفصل الثاني :	إثبات وجود الله	٣
الفصل الثالث :	يبرهن على أن الله أزلي	٤
الفصل الرابع :	أن الله غير متناه	٤
الفصل الخامس :	أن الله غير مدرك	٥
الفصل السادس :	أن الله واحد	٦
الفصل السابع :	كيف يجب أن نؤمن بأن الله واحد حقاً	٧
الفصل الثامن :	الله هو في ثلاثة أقانيم	٨
الفصل التاسع :	أن كلمته وروحه اقنومان جوهريان وأزليان	١٠
الفصل العاشر:	يتضمّن اعتراضات وردوداً	١٢
الفصل الحادي عشر:	اعتراضات وردود	١٥

المقال الثاني

تجسد الكلمة

الفصل الأول :	انشقاق الهراطقة	٢٢
الفصل الثاني:	بيان الإيمان الصحيح بالمسيح وكيف يجب أن نقر بأن المسيح هو الحق	٢٥
الفصل الثالث:	بيان سبب تجسد الابن لا الآب والروح	٢٦
الفصل الرابع:	يبين أن الذي حلّ في العذراء هو كلمة الله لا إرادته	٢٦
الفصل الخامس:	يبحث عن الصيغة التي يعبر بها الكتاب عن نزول الكلمة الله وحلوله في العذراء وكيفية إرسال الله ابنه	٢٧
الفصل السادس:	وهو عن الهاجريين الذين يقولون بأن المسيح ليس إلهاً بل انساناً	٢٧
الفصل السابع:	ضد الذين يقولون إن كلمة الله مخلوع ومبدع	٢٨
الفصل الثامن:	ضد الذين يقولون أن المسيح هو كلمة الله كعمل الله وبيت الله	٢٩
الفصل التاسع:	يبين السبب الذي أوجب أن يتجسد كلمة الله	٣١
الفصل العاشر:	في السؤال عن سبب مجيء الرب بشخصه لخلاصنا	٣٢
الفصل الحادي عشر :	اعتراض الذين يقولون: لماذا أنجز كلمة الله الخلاص لدى تجسده بالألم والموت، لا بسلطان وأمر كما يليق بالله ؟	٣٣
الفصل الثاني عشر:	سبب عدم مجيء المسيح لخلاصنا من البدء	٣٤
الفصل الثالث عشر:	أن جسد كلمة الله الذي يقول البعض أنه مخلوق والبعض غير مخلوق	٣٥

الفصل الرابع عشـــر:	يبين عن أنواع التركيب، وأنواع الاتحاد وبأن الكلمة بالجسد وكيف يعترف به طبيعة واحدة	٣٦
الفصل الخامس عشـــر:	يبين أن المسيح طبيعة واحدة مركبة	٤٠
الفصل السادس عشـــر:	يبرهن على أن المسيح ليس طبيعتين	٤١
الفصل السابع عشـــر:	اعتراض ورد	٤٢
الفصل الثامن عشـــر:	يبين ماهيـة الآلام الحقيقية وما هو عمل الطبيعة	٤٥
الفصل التاسع عشـــر:	ماهيـة آلام الطبيعة البشرية وبأي منها شارك الوحيد، ولماذا اشترك بالآلام ؟	٤٧
الفصل العشــــرون:	يبين سبب تألم الرب وموته، وما نوع موته ؟	٤٩
الفصل الحـادي والعشرون:	يبيـن فيما إذا مات المسيح موتاً طبيعياً كالبشر أو بوجه آخر	٥٠
الفصل الثـانـي والعشرون:	ضد اليهود والوثنيين والهراطقة الذين يعيبـون علينا قولنا أن الله تألم ومات	٥١
الفصل الثـالـث والعشرون:	اعتراض الخصوم	٥٣
الفصل الرابـع والعشرون:	يثبت بالبرهان أن الله لبث دون ألم حتى باتحاده بجسدنا المتألم	٥٥
الفصل الخامس والعشرون:	اعتراض الخصوم	٥٨
الفصل السادس والعشرون:	حول ما يقوله الهاجريون من أن المســيح لم يصلب بل صلب شبه له	٦١
الفصل السـابع والعشرون:	بما أنه توجد أنواع عديدة للمـوت فلماذا قبـل المسيح موت الصليب عوضا عنا	٦٣
الفصل الثامـن والعشـرون:	يبين كيف قتل الشيطان وبطلت الخطيئة ومات الموت	٦٤
الفصل التاسع والعشـرون:	وجوب السجود للصليب	٦٥
الفصـل الثـلاثــــون:	يبين سبب رسمنا الصليب بإصبع واحدة، ونقلها من اليسار إلى اليمين	٦٧

الفصل الحادي والثلاثون :	عن سؤال الهراطقة الذين يقولون: لماذا تقولون في التسبحة الملائكية قدوس أنت أيها الإله، قدوس أنت أيها القوي، قدوس أنت غير المائت، يا من صُلبت عوضاً عنا ؟	٧٠
الفصل الثاني والثلاثون :	عبارة أن مريم والدة الله	٧٢
الفصل الثالث والثلاثون :	أنه لا ينبغي السجود إلى أية جهة سوى جهة الشرق	٧٤
الفصل الرابع والثلاثون :	عن الميرون المقدس وماهيته وماذا يدل تركيبه من العقاقير.. الخ	٧٥
الفصل الخامس والثلاثون:	يتناول الكهنوت السماوي والأرضي، والمواهب الإلهية	٧٦
الفصل السادس والثلاثون:	وجوب اقتبال المعمودية المقدسة والمطهرة والمنيرة، وتنوير الذين يعتمدون، ولماذا نكمل هذه الرتبة بالماء	٨٠
الفصل السابع والثلاثون :	وجوب تناول جسد المسيح الذي أُعد من الخبز، والدم من الخمر، ومن لا يتناول فهو غريب عن الله ومذنب، وإيضاح ما يتم وقت القداس	٨٥
الفصل الثامن والثلاثون :	بداية السيرة الرهبانية، وماذا يشير الثوب الأسود الذي يرتديه الرهبان ؟	٩٥
الفصل التاسع والثلاثون :	الكنيسة المقدسة وما رتب ووضع فيها، وتفسير الأسرار وفروض الصلوات كلها	١٠٠
الفصل الأربعون :	الصلاة من أجل الموتى، وما يقبل منها، وأية منفعة تحصل لهم منها، وشرح رتبة دفن الموتى، وعن القرابين التي تقدم لأجلهم	١٣٣
الفصل الحادي والأربعون :	أن الدين المسيحي هو الأكثر حقيقة من سائر الديانات الأخرى	١٣٨

المقال الثالث

العناية الإلهية

الفصل الأول:	آراء البعض في مثل هذه الحوادث	١٤٢
الفصل الثاني:	ضد رأي ماني السخيف والقائل بإلهين: صالح وشرير	١٤٣
الفصل الثالث:	ضد الرأي السخيف للقائلين: بكائن أزلي واحد منه الخير الشر	١٤٤
الفصل الرابع:	اعتراض الخصوم	١٤٥
الفصل الخامس:	يؤكد صحة كلامنا نحن المسيحيين بأن الشر ليس من الله وليس جوهراً ولا طبيعة، ومن أين يأتي الشر	١٤٦
الفصل السادس:	أنواع خير، وأنواع شر، وأي هو الشر الحقيقي، وأي هو شر حقيقي، الذي يقال عنه أنه شر في حين أنه ليس شراً، وما كان ينبغي أن يسمى شراً	١٥١
الفصل السابع:	يبين السبب في أن كل قصاص وعقاب يأتي على البشر هو من الله، وبكم نوع يأتي ؟	١٥٢
الفصل الثامن:	أنواع التسليم	١٥٤
الفصل التاسع:	يبين أن جميع التأديبات والتجارب التي تأتي من الله على البشر بسبب خطاياهم، هي لفائدتهم	١٥٥
الفصل العاشر:	يبين سبب سماح الله بتجربة الناس القديسين في هذا العالم	١٥٨
الفصل الحادي عشر:	يبين سبب حفظ الأشرار من جميع التجارب	١٥٩

الفصل الثاني عشر:	أنه يوجد أناس قديسون ضاعت أموالهم بينما أموال الاثمة لا حصر لها	١٦٠
الفصل الثالث عشر:	يبين سبب وجود أبرار تتوفر لديهم أموال منظورة	١٦١
الفصل الرابع عشر:	سبب وجود خطاة ينالون قصاص أفعالهم في هذا العالم	١٦١
الفصل الخامس عشر:	أن أعمار البشر غير محدّدة أو مقدرة من الله	١٦٢
الفصل السادس عشر:	يبين كيف يجب أن نفهم الأجل	١٦٦
الفصل السابع عشر:	يبين أنواع فناء حياة البشر	١٦٧
الفصل الثامن عشر:	يبين أن جميع الأوبئة الرهيبة والفتاكة مصدرها العناية الإلهية ـ كيف وبأي نوع تكون ؟	١٧٠
الفصل التاسع عشر:	اعتراض.	١٧٢

المقال الرابع

خلقة هذا العالم وكل ما فيه وفي النفس والقيامة والدينونة ومجازاة الأخيار والأشرار

الفصل الأول:	خلقة الملائكة	١٧٦
الفصل الثاني:	أجواق الملائكة وأسمائهم	١٧٩
الفصل الثالث:	سقوط الشيطان	١٨٢
الفصل الرابع:	خلقة هذا العالم	١٨٤
الفصل الخامس:	البحث عن كون هذه العناصر الأربعة ماء	١٨٦
الفصل السادس:	ماهية الرقيع	١٩٠
الفصل السابع:	طبقات الهواء بحسب تقسيم العلماء	١٩١
الفصل الثامن:	ماهية طبيعة الشمس والقمر والكواكب	١٩٢
الفصل التاسع:	حركة الأنوار السماوية وارتفاعها وموضعها	١٩٤
الفصل العاشر:	علة كسوف الشمس والقمر	١٩٧
الفصل الحادي عشر:	أين تسير الشمس والقمر والكواكب عندما تمر وتختفي في الجهة الغربية ؟	١٩٩
الفصل الثاني عشر:	الاختلافات الكثيرة للنُهر والليالي والاصباح والامساء، والشروق والغروب التي تسببها الشمس في الأرض ولدى أولئك الساكنين عليها، وعن الأقاليم	٢٠٠
الفصل الثالث عشر :	تكوين الصخور والجبال والسهول في عنصر التراب	٢٠٧
الفصل الرابع عشر :	المعادن أي المناجم	٢٠٨
الفصل الخامس عشر:	تقسيم الأرض	٢١٠
الفصل السادس عشر:	البحار	٢١٢

الفصل السابع عشـــــر:	الأنهار والينابيع والعيون والوديان	٢١٥
الفصل الثامن عشـــــر:	اختلافات الصيف والشتاء وفي الحرارة الداخلية للأرض وبرودتها	٢١٩
الفصل التاسع عشـــــر:	السحب والأمطار	٢٢٠
الفصل العشـــــرون:	الندى والثلج والجليد والبَرد	٢٢٣
الفصل الحادي والعشـرون:	الرعود والبروق	٢٢٥
الفصل الثاني والعشـرون:	العسل والمن النازلين من فوق	٢٢٧
الفصل الثالث والعشـرون:	ماهية الريح	٢٢٨
الفصل الرابع والعشـرون:	العواصف والأعاصير	٢٣٠
الفصل الخامس والعشرون:	الزلزال والهزات والرجّات التي تحدث في الأرض	٢٣١
الفصل السادس والعشرون:	القوس الذي يحدث في السحاب	٢٣٢
الفصل السابع والعشـرون:	الهالـة التي ترى حول الشمس والقمر والكواكب الساطعة	٢٣٤
الفصل الثامن والعشـرون:	العاصفة المسماة إعصاراً التي تنزل من السماء إلى البحر فتقذف بالسفن وترفعها، وتبدو كعمود من هواء	٢٣٤
الفصل التاسع والعشرون:	الصاعقـة التي تتولد من السحب فتحرق جميع الأجسام الساقطة عليها	٢٣٥
الفصل الثلاثـــــون:	الشهب والكواكب المذنبة والأعمدة التي في الجو وغيرها	٢٣٦
الفصل الحادي والثلاثون:	اختلافات جنس الحيوانات بأنواعه الثلاثة	٢٣٧
الفصـل الثاني والثلاثـون:	خلق الإنسان	٢٤٠
الفصـل الثالث والثلاثـون:	فردوس النعيم	٢٤٥
الفصـل الرابع والثلاثـون:	النفس	٢٤٨
الفصل الخامس والثلاثون:	مسيرتنا في هذا العالم وسـلوكنا في الصالحات	٢٥٢

الفصل السادس والثلاثون: ورد عنوان الكتاب فقط وهو: " في حساب الأجيال والسنين لهذا العالم من آدم وحتى الآن، وفي الآخرة والنهاية " ٢٥٥
الفصل السابع والثلاثون: مجيء المسيح الدجّال ٢٥٦
الفصل الثامن والثلاثون: قيامة الأجساد ٢٥٧
الفصل التاسع والثلاثون: الدينونة والمجازاة هناك ٢٦٠
الفصل الأربعون: خاتمة هذا البحث ذي الأركان الأربعة في صحة الإيمان الأرثوذكسي الذي من أجله كتبنا هذا... ٢٦٣

الفهرس ٢٦٨

منشورات دار ماردين – حلب

١) سلسلة التراث السرياني:

١– **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (ط ٥ و ٦):**
تأليف : البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول برصوم
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٢– **الرها المدينة المباركة (ط١):**
تأليـف : اريك سيغال
ترجمة : يوسف ابراهيم جبرا
تقديـم : المطران يوحنا ابراهيم

٣– **صوت نينوى وآرام:**
تأليف : المطران اسحق ساكا
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٤– **الأيام الستة (ط١):**
تأليف : مار يعقوب الرهاوي
ترجمة : المطران صليبا شمعون
تقديـم : المطران يوحنا ابراهيم

٥– **بيث كازو بالنوطة (ط ١ و ٢):**
صوت : البطريرك يعقوب الثالث
تنويط : نوري اسكندر
إعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٦– **منارة انطاكية السريانية:**
تأليف : البطريرك أفرام برصوم
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٧– **قصائد مار يعقوب السروجي:**
ترجمة : مار ملاطيوس برنابا
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٨ – **فهارس مخطوطات دير مار مرقس.**

٩ – **فهارس مخطوطات دير الزعفران.**

١٠– **فهارس مخطوطات سريانية.**
تأليف : مار فيلكسينوس يوحنا دولباني
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

١١– **اللباب (قاموس سرياني – عربي):**
تأليف : الاباتي جبرائيل القرداحي
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

١٢– **قاموس عربي – سرياني:**
تأليف : القس ميخائيل مراد
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

١٣– **منارة الأقداس:**
تأليف :مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري
ترجمة : مار ديونيسيوس بهنام حجاوي
تقـديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

١٤– **تاريخ مار ميخائيل الكبير ج ١**

١٥– **تاريخ مار ميخائيل الكبير ج ٢**

١٦– **تاريخ مار ميخائيل الكبير ج ٣**
ترجمة : مار غريغوريوس صليبا شمعون
تقديـم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

١٧– **قاموس سرياني – ألماني:**
تأليف : جانون دوغان

١٨– **مختارات من عظات القديس يوحنا الذهبي الفم**
ترجمة :مار ملاطيوس برنابا القس يوسف

١٩– **بقايا الآرامية في لغة أهل صدد المحكية:**
تأليف : فاضل مطانيوس مباركة
تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٢٠– **الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية:**
تأليف : الخوري برصوم أيوب
تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٢١– **البيث كازو بالنوطة بحسب مدرسة الرها:**
تنويط : نوري اسكندر
تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٢٢– **إسهام السريان في الحضارة العربية:**
تأليف : محمد عبدالحميد الحمد
تقديم : الأب جوزيف شابو

٢٣– **دور السريان في العلوم العربية:**
تأليف : محمد عبدالحميد الحمد
تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٢٤– **الكنوز لمار سويريوس يعقوب البرطلي:**
ترجمة وتحقيق : الشماس بهنام دانيال
مراجعة : المطران صليبا شمعون

٢٥– **الكنوز:**
تأليف : أيوب الرهاوي
ترجمة وتقديم وتحقيق : د. يوسف حبي والشماس بهنام دانيال

(٢) سلسلة دراسات كتابية:

١– المدخل إلى العهد الجديد(٣ أجزاء)

٤– دراسات لاهوتية ولغوية في العهد الجديد.

٥– المدلولات اللاهوتية والروحية لكلمات الإنجيل.

٦– اللوغوس في كتاب العهد الجديد.
تأليف : د. موريس تاوضروس
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٧ـ تفسير رسالة رومية

مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي

ترجمة : مار سويريوس اسحق ساكا

٨ـ **تفسير رسالتي كورنثوس الأولى والثانية**

مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي

ترجمة : مار سويريوس اسحق ساكا

٩ـ **تفسير رسائل غلاطية وأفسس وفيليبي وكولوسي**

مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي

ترجمة : مار سويريوس اسحق ساكا

(٣) سلسلة دراسات سريانية:

١ -**العلاقات الثقافية الأرمنية السريانية (شهداء المشرق):**

تأليف : د. ليون دير بدروسيان

تقديم : الدكتور بوغوص سراجيان

المدخل : غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٢ - **طاقات سريانية:**

تأليـــف : سويريوس اسحق ساكا

إعداد وتقديم : غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٣ - **المراكز الثقافية السريانية:**

تأليف :غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٤ - **السريان أصالة وجذور:**

تأليف : غريغوريوس جرجس شاهين

إعداد وتقديم : غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٥ - **دير مار موسى الحبشي:**

تأليـــف : عبود حداد

إعداد وتقديم : غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٦ - **السريان في التاريخ:**

تأليـف : د. عزيز عطية

ترجمة : حنا عيسى توما

تقـديم : غريغوريوس يوحنا ابراهيم

(٤) سلسلة الله معنا والتعليم المسيحي

تأليف : المطران يوحنا ابراهيم

١ـ **عمانوئيل (ط١ و ٢)**

٢ـ **الرجاء الصالح (ط١ و ٢)**

٣ـ **حمل الله (ط١ و ٢)**

٤ـ **الراعي الصالح (ط١ و ٢)**

٥ـ **نور العالم**

٦ـ **خبز الحياة**

١ـ **حياة يسوع (ط١ و ٢)**

٢ ـ **يشوع حبرن (ط١ و ٢)**

٣ ـ **يشوع سبرن (ط١ و ٢)**

(٥) ومن منشوراتنا :

١ـ **السريان وحرب الأيقونات (ط١):**

تأليف : المطران يوحنا ابراهيم

٢ـ **أهل الكهف في المصادر السريانية**

٣ـ **عقيدة التجسد الالهي:**

اغناطيوس زكا الاول عيواص

٤ـ **الممالك الآرامية:**

غريغوريوس صليبا شمعون

٥ـ **السريان ايمان وحضارة(٥) أجزاء:**

سويريوس اسحق ساكا

٦ـ **الحوار السرياني /ج ١/**

ترجمـــة : مرسيل الخوري طراقجي

إعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٧ـ **الحوار السرياني /ج ٢/**

ترجمـــة : مرسيل الخوري طراقجي

إعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم

٨ـ **برو أورينتي ـــ الكتاب الأول:**

ترجمة : ميشيل أزرق

مراجعة : المطران يوحنا ابراهيم

٩ـ **برو أورينتي ـــ الكتاب الثاني:**

ترجمة : د. فائز اسكندر

مراجعة : المطران يوحنا ابراهيم

١٠ـ **برو أورينتي ـــ الكتاب الثالث:**

ترجمة : أوديت نصيف

مراجعة : المطران يوحنا ابراهيم

١١ـ **برو أورينتي ـــ الكتاب الرابع:**

ترجمة : مرسيل الخوري طراقجي

مراجعة وإعداد : المطران يوحنا ابراهيم

١٢ـ **برو أورينتي ـــ الكتاب الخامس:**

ترجمة : مرسيل الخوري طراقجي

مراجعة وإعداد : المطران يوحنا ابراهيم

١٣ـ **القافلة الاخيرة:**

تأليف : يوسف نامق

تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

١٤ـ **آزخ ـــ أحداث ورجال:**

تأليف : يوسف القس و د. الياس هدايا

تقديم : المطران يوحنا ابراهيم

١٥ـ **الحوار اللاهوتي:**

ترجمة : مرسيل الخوري طراقجي

إعداد : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

١٦ـ **حه تا ـــ تشاك**

١٧ـ **حكا ـــ أحلام اليقظة:**

تأليف : غطاس (دنحو) مقدسي الياس

تقديم : غريغوريوس يوحنا ابراهيم

١٨ـ **جولة مع مخطوطات سريانية مبعثرة:**

تأليف : يوسف القس عبد الأحد البحزاني

١٩ـ **رفيق المؤمن (ط١ و ٢ و ٣)**

٢٠ـ **صلوا لأجلنا (ط١ و ٢ و ٣ و ٤)**

٢١ـ **مجد السريان (ط١):**

تأليف : المطران يوحنا ابراهيم

٢٢ـ **الموسيقى السريانية (ط١):**

تأليف : المطران يوحنا ابراهيم

٢٣ــ **رجل الله (ط١):**
تأليف : المطران يوحنا ابراهيم
٢٤ــ **التحفة الروحية (ط ٨ و ٩ و ١٠ و١١و١٢و١٣):**
تأليف : البطريرك أفرام برصوم
٢٥ ــ **ما لله وما لقيصر:**
تأليف : توما الخوري
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٢٦ــ **خدمة القداس:**
إعداد : المطران يوحنا ابراهيم
٢٧ــ **يا رب ارحمنا (ط ٣)**
٢٨ــ **ܟܬܒܐ ܕܡܝ ܐܪ̈ܙܐ . مختار في الأسرار**
ܟܬ: ܡܪܝ ܦ. ܝ. ܕܘܠܒܐܢܝ
ܗ. ܟܬ: ܡܪܝ ܓ. ܝ. ܡܠܠ
٢٩ــ **العروبة والإسلام:**
تأليف : د. جورج جبور
٣٠ــ **كنيسة مار سمعان العمودي (ط ٢)**
تأليف: عبد الله حجار
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٣١ــ **صنع التاريخ:**
إعداد : برهان حنا ايليا
تقديـم : المطران يوحنا ابراهيم
٣٢ــ **عودة شاهين:**
تأليف : د. اسكندر لوقا
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٣٣ــ **الجسد المحطم:**
تأليف : جان فانييه
ترجمة : الأب يوسف قوشاقجي
٣٤ــ **الى الله توجهوا وبالرجاء ابتهجوا:**
تأليف : توماس ف. سنت
ترجمة : مرسيل الخوري طراقجي
٣٥ــ **المربي (الملفونو شكري طراقجي):**
إعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٣٦ــ **نحو مشاركة للإيمان الواحد:**
إعداد : لجنة الإيمان والنظام
ترجمة : رازق سرياني
٣٧ــ **يوميات مطران:**
يوميات المطران جرجس القس بهنام
اعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٣٨ــ **حياة التوبة والطهارة**
حروب الشياطين
حـيـــاة الإيمــــان (بالسريانية)
تأليف : البابا شنوده الثالث
٣٩ــ **دولباني ناسك ماردين:**
تأليف : المطران يوحنا ابراهيم
٤٠ــ **سنوات مع أسئلة الناس ج/١ و ٢/:**
تأليف : قداسة البابا شنوده الثالث
إعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٤١ــ **عرض ونقد:**
تأليف : توما الخوري
اعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٤٢ــ **الحياة الجماعية صفح وعيد:**
تأليف : جان فانييه
ترجمة : الاب سامي حلاق اليسوعي
٤٣ــ **ܢܫܡܬܐ ܕܛܘܪܐ . نسمات الجبل:**
تأليف : الملفونو عطاس مقدسي الناس
تقديـم : المطران يوحنا ابراهيم
٤٤ــ **تأملات يهوذا الاسخريوطي**
تأليف : توما الخوري
اعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٤٥- **سبحوا الرب (ط١):**
تأليف : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم
٤٦- **اثنتا عشرة امرأة في الأناجيل الاربعة:**
تأليف : توما الخوري
إعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٤٧- **السريان ماضيا وحاضرا:**
تأليف : كريستين شابو
ترجمة : مرسيل الخوري طراقجي
إعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٤٨- **فلنستقبل انسانيتنا:**
تأليف : جان فانييه
ترجمة : الأب سامي حلاق اليسوعي
٤٩- **مشاعل الرها:**
اعداد : سارة دوغرامجي
تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم
٥٠- **مئة كلمة وكلمة:**
تأليف : المطران صليبا شمعون
٥١- **قبول الآخر (ط ٢):**
تأليف : المطران يوحنا ابراهيم

تحت الطبع

١ــ تاريخ الأدب السرياني ــ روبنس دوفال
٢ــ تاريخ الرهاوي المجهول بالعربية.
٣ــ الألفاظ السريانية في المعاجم العربية.
٤ــ تفسير رسائل بولس الرسول والرسائل الجامعة:
(ترجمة عن السريانية).
٥ــ الايثيقون (فلسفة الآداب الخلقية):
مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري
٦ــ المختار في الأسرار:
مار فيلكسينوس يوحنا دولباني
٧ــ الايمان:
مار فيلكسينوس المنبجي
٨ــ السريان والحركة المسكونية:
مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم
٩ــ دور السريان في الحياة الثقافية للدولة الأرمنية في كيليكيا /القرنان ١٢ - ١٣/
١٠ــ المثال الرباني (تفسير مار يعقوب البرطلي)
مار فيلكسينوس يوحنا دولباني
١١ــ الحوار اللاهوتي ج٢
١٢ــ دراسات قانونية في المصادر السريانية:
مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

مطابع الف باء - الأديب
دمشق

ܝܪܘܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ

SYRIAC PATRIMONY

التراث السرياني

24

ܣܝ̈ܡܬܐ

الكنوز

تأليف

مار سويريوس يعقوب البرطلي

مطران دير مار متى وأذربيجان

ترجمة وتحقيق

الشماس بهنام دانيال

مراجعة

غريغوريوس صليبا شمعون

متروبوليت نينوى

تقديم ونشر

غريغوريوس يوحنا إبراهيم

متروبوليت حلب

٢٠٠٧

دار ماردين